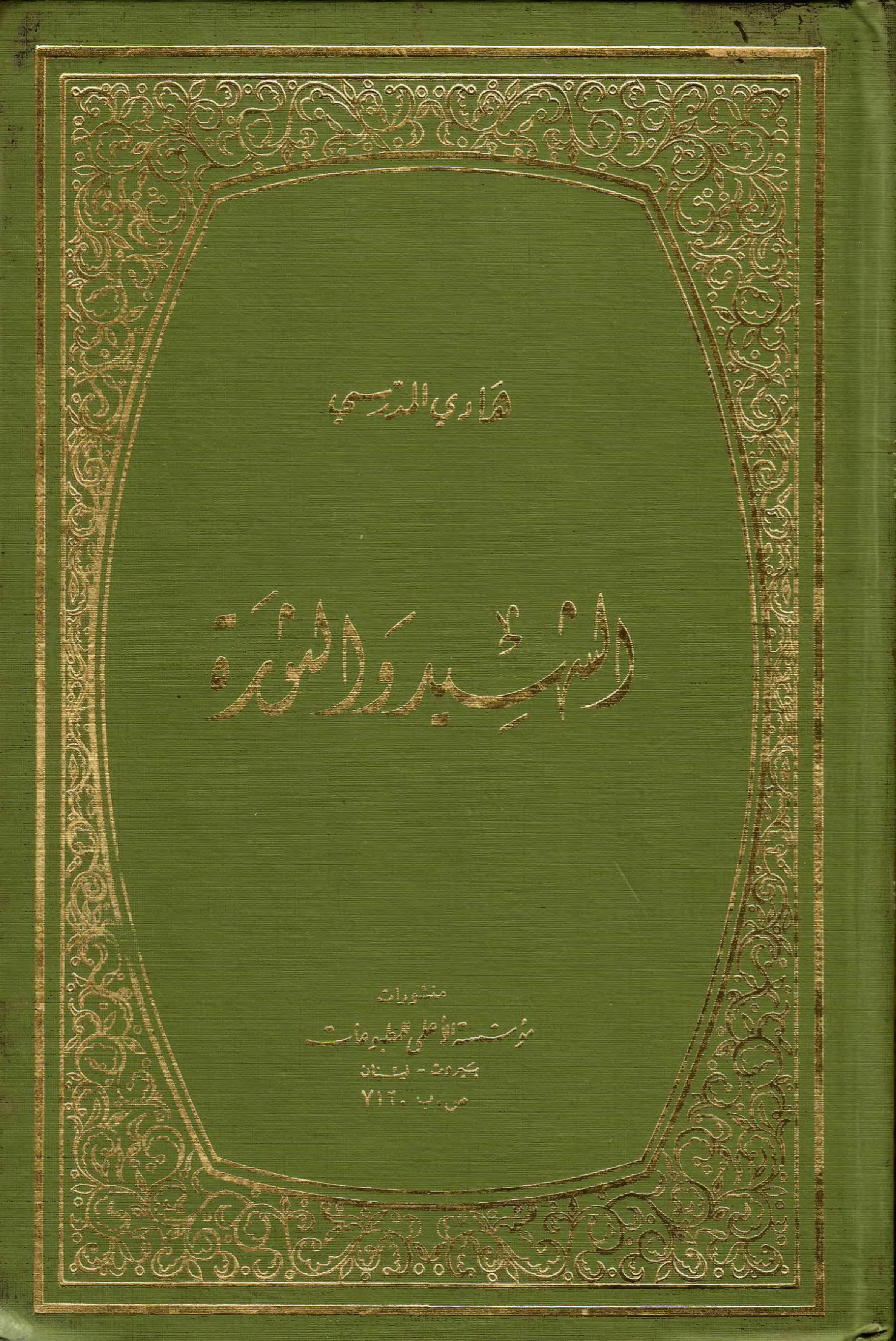


هادي المدرسي
الشهيد والثورة
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الشهيد والثورة

هادي المدرّسي

الشهيد والثورة

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ● الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ● مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ● إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ ● صِرَاطَ الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّيْنَ .



الحسين
بين الصورة والرمز

ملامح الشهيد

كانت ولادته بتاريخ ٣/٨/٣ هـ .

وكانت شهادته بتاريخ ١٠/١/٦١ هـ .

وبين هذين التاريخين فسحة زمنية تمتد حوالي ٥٨ عاماً ، وهي من اكثر الاعوام ثقلاً بالاحداث ، والتطورات .

فماذا كان يعمل فيها الشهيد ؟

وما هي عناصر تكوين شخصيته ؟



قد لا يوفق الانسان لوضع اجابات تفصيلية على هذين السؤالين ، لسبب بسيط هو : ان تاريخ العظماء لا يمكن وضعه بكتابة رؤوس النقاط عنه .

ومع الاعتراف بهذه الحقيقة ، فانني ساحاول تسجيل بعض ملامح الشهيد بشكل متقطع ، تاركاً مسؤولية تكوين الصورة الكاملة عنها ، للقارىء .

●

كان الابن الثاني للامام علي ، والحفيد الثاني للنبي .

فهو إذن حفيد نبي هزّ ـ ليس تاريخ الانسان العربي فحسب ـ وانما تاريخ البشرية جمعاء .

وهو ابن عملاق من عمالقة الفكر والقلب والضمير .

وهو ـ كذلك ـ وليد احدى عظيمات النساء ، وريحانة رسول الله ، وروحه التي بين جنبيه : فاطمة الزهراء . . . وكان يكفي ان ينشأ في هذا المجمّع الرسالي ليرتشف من نبع الرسالة ، ويرفل في احضان البطولة ، ومن ثم يصبح احد ابرز قادة التاريخ .

ولكن لا . . . إن للبطولة اسباباً اخرى ـ وراء البيت والوراثة ـ لا بد ان يمر بها الحسين . ولا بد ان نتعرف عليها لعلنا نستفيد ونقتدي :

عندما ولد الحسين ، التقى به النبي ، وكان بينه وبين الحسين حديث

هـامس .. وتعهد شخص من قبـل النبي بتربيتـه ... فماذا قـال النبي للحسين ـ وهو بعد رضيع مقمط ؟

لقد اذن رسول الله في اذن الصبي ـ ذي اليوم الواحد ـ بكامل فصول الاذان ، وكان الاذان هذا « همسات وعي » نقلها الرسول الاعظم الى الحفيد العظيم ... كان الاذان برنامج حياة لقمـه للحسين لكي يسـير عليه في حياته :

الله أكبر ... الله أكبر ... الله أكبر ... الله أكبر ... لا شيء أكبر من الله . ولا « ولاء » إلا له ... أشهد أن لا إله إلا الله ... أشهد أن لا إله إلا الله ... لا طاعة لغير الله ، إذ لا إله إلا الله .

واستمر النبي في « زرع » فصول الاذان ، في اذني الطفل ، ليزرع فيه الايمان والعزم ، والتصميم .

ومع اول لقاء استمرت لقاءات النبي بالحفيد كل يوم كان يلتقي به ، وبأخيه ويحملهما الى المسجد ، ويحملهما الى المحراب ، ويحملهما الى المنبر مرة رآه الناس ، وقد حملهما على كتفيه ، وهو يداعبهما ويقول : نعم الراكبان انتما ! .

ومرة رآه الناس ، وهو آخذ بكفي الحسين وقدماه على قدميه ، وهو يقول له : ترق ... ترق عين بقه .

وكان الحسين يرتقي على جسده ، حتى وضع قدميه على صدر رسول الله . فقال له النبي : افتح فاك ... ففتحْ . فقبله وقال : اللهم اني أحبه فأحبه .

وكان النبي بهذا الاهتمام ، والتقدير ، والمداعبة يزرع في الحسين الثقة بالنفس ويشبع فيه العاطفة ، ويملأ صدره بالحب .

والسؤال الآن هو : ماذا كان يريد النبي للحسين ان يكون ؟

هل كان يريد ان يصبح الحسين عالماً كبيراً ؟ أم فيلسوفاً ؟ أم ماذا ؟

في الواقع كان النبي ـ بتعهده للحفيدين ـ يريد أن يصنع القادة للاجيال ولكن ليس القادة الاداريين وإنما القادة الذين تتجسد فيهم الرسالة . ذلك لأن الرسالة كانت بحاجة الى « تمثيـل » خارجي ، أي الى نمـاذج بشريـة يجسدونها في كل فصول الحياة ، لكي تخرج من قوقعة النظرية الى فسحة التطبيق الخارجي بالاضافة الى أنها كانت بحاجة الى قيادات رسالية تمتد الى فترة زمنية اطول من فترة حب النبي .

ولأن الرسالة كانت شاملة ، وعامة للرجل ، والمرأة والكبير والصغير ، لذلك كان لا بد ان يكون بين من يجسد الرسالة عناصر من كل الأعمار والمستويات ويذكر التاريخ ان النبي قدم « نماذج » حية لرسالته يوم باهـل نصارى نجران ، وكانوا عبارة عن :

الإمام علي ، فاطمة الزهراء ، الحسن ، الحسين .

فكان النبي ـ والإمام علي ـ يمثلان « رجال » الإسلام كما كانت فاطمة تمثل « نساء » الإسلام .

أما الحسنان فكانا يمثلان « الأبناء » في الإسـلام ونزلت الآيـة قل : **﴿ تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾** . . وهذا يعني ان النبي كان يعتبر الحسن والحسين وهما لا يتجاوزان ـ في العمر ـ الربيع العاشر مجسدين للرسالة في فترة الشباب . . ولكن هذا التجسيد جاء نتيجة عمل .

فالام كانت تتلو آيات القرآن وهي تهز المهد . والعائلة كانت تتدارس الأحداث ، وتتحدث عن روايات ومواقف الـرسول والحـوادث الجديدة ، والآيات الواردة عندما تجتمع مع بعض ، على مائدة طعام ، او في سهرة الليل .

والام عندما تصلي لله ، تطلب من الحسنين ان يكونا عندها . . وعندما يكبران تكلفهما ان يذهبا الى المسجد بشكل مستمر ليلتقطا احاديث الرسول القائد . ويستطلعا اخباره . وينقلان ذلك اليها .

ومع كل ذلك فرأيهما كان محترماً . وموقفهما كان موضع اهتمام . هذا هو « العمل » الذي ساهم في صنع البطل .

وفي فترة الشباب عاش الإمام الحسين ثلاثة عصور :

١) عصر النبي - وقد عاشه الحسين تحت رعاية النبي سبعة اعوام .

٢) عصر الخلفاء - وقد رافقه الحسين خمسة وعشرين عاماً .

٣) عصر أبيه الإمام علي - وقد رافقه اربعة اعوام .

وفي هذه العصور كان له دور بارز في الأحداث ! والتاريخ مليء بقصصه وحكاياته . فهو لم يكن منعزلاً عن سير الامور حتى في فترة ما بعد الرسول .

وفي وعيه كانت الحياة : جهاد ومن لا يجاهد عليه ان يستعد للموت تحت سياط العبودية والذل والقهر . . ولكن كم سنة تكفي للجهاد ؟

عند الله لا وقت للجهاد . فكل الأوقات هي للجهاد . هذا قدرنا الذي لا مفر منه . فلا يكفي ان تكون مجاهداً خلال فترة من حياتك ثم تنسحب . كل لحظة أنت مطالب فيها بالجهاد : مع العدو او مع النفس ، لا فرق .

فالله لا يسألنا عن البداية فقط . ولا عن النهاية فحسب ، وإنما يسألنا عن كافة لحظات الحياة التي عشناها على وجه الأرض : كلها يجب أن تكون جهاداً .

فما هو الجهاد ؟ الجهاد هو : الثورة الدائمة في سبيل الله والحق والعدل والحرية . . هكذا كانت حياة الحسين .

فهو الطفل - كان في جهاد العدو مع رسول الله يشارك في الحرب ، قدر استطاعته كطفل . . وهو الشاب - كان من فاتحي افريقيا كما أن أخاه الحسن كان من فاتحي إيران وكان أيضاً مع ابيه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين في

فترة خلافة الإمام علي . . وهو الكهل ـ كان رئيس المعارضة قبل موت معاوية . وهو في آخر سني حياته ـ خاض معركة نبيلة كان يدعو الله أن يرزقه الشهادة .

وبالاستمرار في الجهاد طيلة العمر قام الحسين بدور بارز في تكوين عصره وترك بصماته على مرحلة دقيقة من مراحل الرسالة ، ولا تزال هذه البصمات تتسع في كل بقاع الارض وتتفاعل مع النفوس ، حتى كان « كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء . . » !

ان الجهاد ذو قيمة خاصة لدى الحسين . فيوم لا يستطيع أن يحارب تجده يتعهد أولاد المجاهدين فكان كلما وصله مال في عهد معاوية « يبدأ بأيتام من قتل مع ابيه بصفين ، فإن بقي شيء نحر به الجزر وسقى به اللبن »[1] .

وماذا عن اخلاق الإمام؟ ان الحياة : علاقات عامة . تبادل التزام بين الانسان والامة . احترام متبادل ، وحب حقيقي للناس .

وهكذا كانت حياة الحسين . . فهو كان ملتزماً باحترام الناس . يعطيهم عامة أمواله . « روى ابن عساكر في التاريخ الكبير عن أبي هشام القناد أنه كان يحمل الى الحسين بالمتاع من البصرة ، ولعله لا يقوم حتى يهب عامته » .

ويقضي حوائجهم : دخل الحسين على أسامة بن زيد ، وهو مريض ويقول : واغماه . فقال له الحسين : « وما غمك يا أخي ؟ قال : ديني . وهو ستون الف درهم . فقال الحسين : هو علي . قال : اني اخشى أن أموت . . فقال الحسين : لن تموت حتى أقضيها عنك . فقضاها قبل موته »[2] .

وروى : ان الحسين كان جالساً في مسجد الرسول ـ بعد وفاة أخيه

---

(١) عيون الاخبار ج ٣ ص ٤٠ .
(٢) الامام الحسين للعلائلي ص ١٢٨ .

الحسن ـ وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد ، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية اخرى فجاء أعرابي على ناقة فعقلها بباب المسجد ، ودخل ووقف على عتبة بن أبي سفيان فقال : اني قتلت ابن عم لي فطولبت بالدية فهل لك ان تعطيني شيئاً ؟

فرفع عتبة رأسه الى غلامه وقال له : « ادفع اليه مائة درهم . فقال الأعرابي ما اريد إلا الدية تماماً . ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له مثل ما قاله لعتبة ، فقال عبد الله لغلامه : ادفع اليه مائتي درهم . فقال الأعرابي : ما اريد إلا الدية تماماً . ثم تركه وأتى الحسين فسلم عليه ، وقال : يا بن رسول الله اني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية فهل لك ان تعطيني شيئاً ؟ .

فأمر له الحسين بعشرة آلاف درهم ، وقال : هذه لقضاء ديونك ، ! وعشرة آلاف درهم اخرى وقال : هذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك . فأنشد الأعرابي :

طربت وما هاج لي معبق ولا لي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول فلذَّ لي الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام الى المكرمات وانت الجواد فلا تلحق
أبوك الذي ساد بالمكرمات فقصر عن سبقه السبق
به فتح الله باب الرشاد[1] وباب الفساد بكم يغلق

هذا عن حب الإمام للناس . . فماذا عن حب الناس للامام ؟

من الطبيعي أن يكون للجماهير حب صادق تجاه القائد الصادق .

ولكن يبدو أن حب الجماهير للامام كان أكبر من هذه المعادلة

(١) عقد اللآل في مناقب الآل .

فاحترامهم له والتفافهم حوله ، واستماعهم اليه فريد في نوعه .

يقول معاوية : « اذا دخلت مسجد رسول الله فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير ، فتلك حلقة أبي عبد الله مؤتزراً الى انصاف ساقه»[1] .

« وكان الحسين إذا برز للناس يتحلقون بين يديه صفاً بعد صف حتى يذهب فيهم البعض ، ويقعون عليه وقوع الطير في اليوم الحرور على عمد يتبرد به ويتصابه » وكأنهم بذلك يهربون ، ولو ساعة من أسر الشهوات وعبودية انفسهم ، ليقولوا كلمة الإيمان خالصة بها قلوبهم ، كما كان يعبر الصحابة حينما يعرجون الى النبي « هيا بنا نؤمن بربنا ساعة » قال ابن كثير : « إن الحسين خرج وابن الزبير من المدينة الى مكة وأقاما بها . . عكف الناس على الحسين يفدون اليه ويقدمون عليه ، ويجلسون حواليه ، ويستمعون كلامه وينتفعون بما يسمع منه ويضبطون ما يروون عنه »[2] .

●

وعن طريق الإمام في الحياة العائلية ، نجد انه كان يمارس أجمل معاملة مع افراد اسرته . وربما خاطب بعض ابنائه بقوله : « فداك أبوك . . . » .

وليس هذا غريباً في الإمام الذي كان يعامل خدمه ، وجواريه ، أحسن مما يعامل الأخ أخاه والأب ابنته .

أ ـ هذه جارية من جواريه تدخل عليه ، وتقدم له طاقة ريحان ، فيقول لها : أنت حرة لوجه الله تعالى .

فيقول له أحدهم : جارية تجيئك بطاقة ريحان ، فتعتقها ؟

فيقول : هكذا أدبنا الله حيث قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ وكان أحسن منها : عتقها .

---

(١) التاريخ الكبير لابن عساكر ج ٤ ـ ص ٣٢٢ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير .

ب ـ يأتيه أحد عبيده ، ويقف يصب الماء على يده فيقع الإبريق من يد العبد ويتطاير الماء عى وجه الإمام ، فيقول العبد : يا مولاي « والكاظمين الغيظ » فيقول الإمام : كظمت غيظي . فيقول العبد : « والعافين عن الناس » . فيقول الإمام : قد عفوت عنك . فيقول العبد : « والله يحب المحسنين » فيقول الإمام : اذهب فأنت حر لوجه الله الكريم .

ان أخلاق الإمام ترتفع الى درجة أخلاق الأنبياء . فتكون « طاقة ريحان » تقدمه له جاريته سبباً لحريتها . وقعة الابريق ـ هي الاخرى ـ طريقاً لحرية العبد الذي وقع الابريق من يده . ومن مثل الحسين يستطيع أن يرتفع الى هذا المستوى من الخلق الكريم ؟

ج ـ يأتيه رجل من أهل الشام ـ من أصحاب معاوية ـ ويبالغ في شتمه . وشتم أبيه . فينظر اليه الإمام نظرة عطف ويقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين .

ثم توجه إليه وقال : من الشام أنت ؟

فأجاب الرجل بالايجاب .

فقال الإمام : شنشنة اعرفها من اخزم .

واضاف : خفض عليك ، واستغفر الله لي ولك . ايها الرجل إن كنت مظلوماً نصرناك . وان كنت محتاجاً اعطيناك ، وان كنت جاهلاً هديناك . .

واعطى بذلك درساً في خلق القائد ، لكل الرجال .

أما الليالي فكان يقضيها بحمل « أجربة » الطعام الى بيوت الفقراء والمساكين وقد شوهدت في جسمه آثار ذلك في صورة « ثفنات » على ظهره ، وعندما سئل ولده الامام علي بن الحسين عن ذلك ! قال : انها آثار اجربة الطعام التي كان يحملها الى بيوت الفقراء .

أو ليس على القائد أن يشارك أفراد الشعب في العمل من أجل

المظلومين والمقهورين والفقراء والمعدمين ؟

●

وأما حياته العامة : فقد قضى وقتاً طويلاً في تربية كوادر من العناصر الكفوءة فكرياً ، وايمانياً ، وقيادياً ،للعمل من اجل العدل والحق . .

وكما يكشف التاريخ : فان كثيراً من هذه العناصر كانت ملتزمة به سفراً وحضراً ، فاذا ذهب الى الحج كانوا معه ، واذا تعرض بشيء دافعوا عنه .

وكان يلقي عليهم خطباً رائعة في شتى المناسبات .

●

وتراثه : مجموعة مواقف ، وكلمات ، وخطب تعتبر من أروع ما ترك للانسان من تراث[1] .

---

(١) راجع « بلاغة الامام الحسين » (الف باء الاسلام) .

الحسين : الصورة

مات معاوية . وحل يزيد مكانه .

وفي اليوم التالي ، كان كل شيء منتهياً ، فقد بايعه الجميع ، رهبة من البطش ، أو رغبة في المغنم ... ولم يعد يسمع من أصوات المعارضة إلا همسات متقطعة أشبه ما تكون بهمسات الحزن المتبادل بين يتيمين صغيرين في ظلام الليل ... وخيم الصمت على البلاد ..

اما السجون التي كانت تمتلأ بعشرات من أفضل رجال المسلمين .. واما الصحارى القفار التي شهدت موجات متلاحقة من تهجير المناضلين .. واما البيوت التي تعرضت للهدم .. وأما العوائل التي دخلها الثكل وقتل منها الأبرياء .. اما كل ذلك فقد اصابها اليأس من امكانية التغيير .

وتوقع الجميع أن ينتهي الإسلام أيضاً ، ويتحول من دين « الثورة المستمرة » الى دولة يحكمها كل طاغ وباغ وظالم وليزداد البطش بالثوار ، واصحاب الضمائر الحرة ..

هل عادت الجاهلية

ها هي بكل ثقلها تجثو على صدر الامة ومركز الحكم الذي يفترض فيه أن يكون المدافع عن الحرية والعدالة والكرامة الانسانية ـ التي جاء بها الإسلام ـ أصبح مركز المؤامرة على كل ذلك ..

« يزيد » أصبح حاكماً على البلاد ومن هو « يزيد » ؟ .

انه « انسان حقير العقل نزق التفكير لا يهم بشيء الا ركبه » كما يصفه البلاذري في « أنساب الأشراف » .

ويصمت النـاس وهم يستمعون إلى أخبـار الحـاكم الجـديـد « أمير المؤمنين » وحامي حمى الاسلام ، وكيف لا يبالي بـالقتل أكثر من حكام الجاهلية ، ويحب الخمرة ، ومعاشرة النساء ، واللعب مع القرود ويرتكب كل خسة دنيئة من الفساد .

في الليل تزداد وطأة الحزن ، ويكبر شبح البطش ، يصبح كقدم همجية تجثم على صدور الناس . .

قناعة تامة بأن النكسة التي أصابت ثورة الإسلام ستستمر ، وان الجذوة الثورية قد انطفأت وترسخت هذه القناعة، عندما سمع الناس بأنباء البيعة ليزيد تتوالى من كل مكان .

والأوساط الحاكمة التي كانت تتوقع الانتفاضة ضد يزيد ، تطمئن مع مرور الزمن بأن أحداً لن يخالف . وان الانهيار التام الذي أصاب الناس لا يسمح لأحدهم حتى بالتفكير في المقاومة . وان السلطة باستطاعتها ان تحكم من دون خوف .

شيء وحيد كان يقلق الأوساط الحاكمة ، في البدء لم تعطه أهمية كبيرة ظناً منها أن القضاء عليه سيكون عملية سهلة ، هذا الشيء هو : الحسين .

هناك عدة أشخاص كانوا مرشحين للمعارضة ولكن الحسين كان له الثقل الأكبر . لأنه كان المخلص من بينهم . .

في البدء ، حاولت الاوساط الحاكمة أن تقلل من أهميته ، ولكن الحسين نفسه فجرَّ الموقف . . فقد رفض البيعة ، وأعلن ذلك للناس .

وحاولت الأوساط الحاكمة أن تضرب حصاراً اعلامياً على ذلك الرفض ، إلا أن الحسين انتقل فجأة من المدينة الى « مكة » حيث كانت تزدحم بالمعتمرين ، وبقي هناك لمدة تزيد على أربعة أشهر وانتشرت أنباء رفضه للبيعة كنسيم منعش . وتلقاها الناس ، وعلى الأخص المعذبين ، بكثير من الفرح . . . وللمرة الأولى شعر الناس ان النظام يمكن أن يقاوم .

وقررت الأوساط الحاكمة أن تواجه هذا الشعور بالقمع ، فبدأت عمليات الاعتقال تنتشر بين الأوساط التي كان من الممكن ان تتأثر بمعارضة الحسين ، فلا تبايع هي الاخرى . .

واشتعلت الجذوة في كل مكان . .

وكانت الكوفة السباقة الى مقاومة الحكام ، فاجتمعت فيها الطلائع هنا وهناك ، وبدأوا يرسلون خطابات تأييد الى الإمام ، حتى وصلت الى اكثر من ١٢ الف خطاب موقع من جماهير الكوفة . .

وعلى الأثر أرسل الإمام الحسين ممثلاً من قبله الى الكوفة . . . بينما بدأ يستعد للتحرك مع كل أصحابه المخلصين وأهل بيته باتجاه الكوفة . .

اشتعلت المدن بالأخبار . . ولأول مرة انطلق الناس يقيمون الوضع الذي هم فيه . . وينتقدون . . ويرفضون . .

●

هناك في الكوفة التفت الطلائع حول ممثل الإمام ، وبدأت حركة المعارضة تأخذ ابعاداً جديدة ، خاصة وان والي يزيد وهو النعمان بن بشير كان قليل الخبرة في البطش والتنكيل ، ولهذا فلم يخسه الناس . . وقد نصحه بعض المنتفعين بالنظام باتباع أساليب القمع قائلاً له :

« ان هؤلاء الناس لا يصلحهم . . الا البطش والقسوة » .

ولكنه رفض هذا الاسلوب . . فما كان من يزيد إلا أن عزله وعيّن

للكوفة والياً جديداً عرف بالبطش والقسوة وهو « عبيد الله بن زياد » وطالبه بأن يقتل « مسلم بن عقيل » ممثل الإمام الحسين في اقرب وقت ممكن .

وجاء ابن زياد الى الكوفة ، ودخلها ملثماً ، ولبس ما يشبه ثياب أهل الحجاز حتى ظنه الكثيرون أنه هو الحسين فكان لا يمر على ملأ من أهل الكوفة ويسلم عليهم إلا ردوا علي بقولهم :

« وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله » . .

وفي صباح اليوم التالي عاد البطش يخيم على مدينة الكوفة ، حيث انتشر جلاوزة الوالي الجديد في الصباح المبكر ، واعتقلوا العشرات من الطلائع المؤمنة ، واودعوهم السجن بينما بدأت الأموال تتدفق على أصحاب الضمائر الرخيصة . . وزيدت عطايا الخليفة مائة درهم لكل رأس . وملأت اشاعات الوالي عن اقتراب جيوش الشام الى مشارف المدينة ، وفي ظل الرعب الذي اجتاح الكوفة . . حول مسلم بن عقيل حركته العلنية الى حركة سرية فاختفى في بيت « هاني بن عروة » إلا أن الوالي استطاع عن طريق « جاسوس » مدرب أن يعرف البيت الذي يقود منه مسلم المعارضة فاعتقل هاني ، وفتش بيته ، ولكن مسلم كان قد اختفى في مكان آخر ، وتعرف الوالي الى ذلك المكان . . .

وهكذا انقلبت الأوضاع خلال أيام رأساً على عقب . .

وفي صبيحة يوم حزين من تاريخ الكوفة ، جندت السلطة قرابة مائتين من جنودها لاعتقال مسلم ، وتقابل معهم مسلم ، ووقعت بينهم معركة عنيفة ، وقتل الكثير منهم ، إلا أن اولئك حفروا حفيرة ، ووضعوا عليها حصيرة ثم انسحبوا الى ورائها ، فسقط فيها مسلم ، واعتقل جريحاً .

ولما حمل الى ابن زياد جرى بينهما الحوار التالي :

ـ ايه . . يا ابن عقيل جئت لتفرق كلمة الناس وتشتتهم ؟

ـ بل جئت لآمر بالعدل وأدعوا الى حكم الكتاب ، ولكنكم عملتم في الناس أعمالاً لم يقترفها كسرى وقيصر .

ـ وما شأنك أنت بذلك يا فاسق ؟

ـ ما أنا بفاسق ، ولكنك أنت الفاسق لأنك تقتل النفس التي حرم الله قتلها وتقتل على الغضب والعداوة وتسفك الدماء وكأنك تلهو وتلعب .

ـ قتلني الله ، إن لم اقتلك قتلة ، لم يقتلها أحد في الإسلام .

ـ اعلم أنك قاتلي .. فان مثلك لا يدع سوء القتلة ، وقبح المثلة ، وخبث السيرة ، ولؤم الغلبة ..

وامر ابن زياد أن يقتل مسلم ثم يرمي برأسه وبجسده من فوق قصر الامارة .

وحينما كان مسلم يمثل للقتل ، تبسم في رضى عظيم ، وقال :

ـ يا ابن زياد : لقد قتل من هو شر منك ، من كان خيراً مني .

وكان الحسين يحث السير نحو الكوفة حينما بلغه نبأ مقتل مسلم .. فلم يهن عزمه ولا تريث .. واستمر في المسير ..

وعلى بعد ثمانين كيلومتراً تقريباً من الكوفة واجهته قوة مكونة من ألف فارس بقيادة « الحر بن يزيد الرياحي » حيث منعته من الإقتراب إلى الكوفة وحتى من العودة إلى المدينة ، وبعد مداولات أتفقا على ما يلي :

ـ أن لا يأخذ الحسين طريق المدينة ، ولا طريق الكوفة . بل يبقى يسير تحت مراقبة الحر حتى يكتب هذا الأخير رسالة الى أبن زياد ويستطلع الرأي .

وهكذا أستمرت قافلة الحسين تواصل الدرب حتى وصلت كربلاء .

وهنا جاءت رسالة موقعة من قبل إبن زياد إلى الإمام الحسين تقول .

ـ أما بعد يا حسين ، فقد بلغني نزولك كربلاء ... وقد كتب اليّ امير المؤمنين (..) يزيد بن معاوية ألا أتوسد الوثير ، ولا أشبع من الخمير إلا إذا ألحقتك باللطيف الخبير أو تنزل على حكمي وحكم يزيد ... والسلام ..

وكان جواب الحسين أن رمى بالرسالة على الأرض ، وقال :

ـ لا أفلح قوم أشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق .

وفي صباح يوم عاشوراء ٦١/١/١٠ هـ . وقعت الحرب بين الحسين ومعه أقل من مائة مقاتل ، وبين جيوش إبن زياد التي كانت في اقل تقدير تزيد على ثلاثين ألفاً .

كانت الجيوش المعادية بقيادة « عمر بن سعد » وقد تلقى هذا الأخير يوم ٦١/١/٨ هـ . رسالة من عبيد الله بن زياد يقول له فيها :

ـ أما بعد . . ففيم انتظارك ؟ أني لم ابعثك إلى الحسين لتمنيه بالسلامة فإذا نزل هو وأصحابه على حكمي فأبعث بهم إليّ أسرى ، وأن أبى ، فأزحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم . وإذا قتلت الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره فإذا مضيت لأمرنا جزيناك فيه جزاء السامع المطيع ، وأن أبيت فأعتزل عملنا وجندنا وسلم الأمر إلى شمر بن ذي الجوشن فقد أمرناه بذلك .

ولكن عمر بن سعد « مضى لأمرهم » وبعد حرب طاحنة في يوم شديد الحر ، قتل الحسين وكل أصحابه ، وكل إخوته ، وكل أبنائه ، وكل أبناء اخوته وأكثر من ٥٠ طفلاً وطفلة ، وعدد من النساء ، ولم يبق من الرجال من أهل البيت إلا ولد الحسين واسمه « علي » زين العابدين وبعض الأطفال ، وحملت رؤوسهم مع السبايا إلى الكوفة ثم الشام ، ثم إنتهت رحلة السبايا بالمدينة .

وبعد عاشوراء : إنعكست روح المقاومة التي أبداها رجال الحسين خلال النهار الواحد ، وقتلوا فيها جميعاً ، إنعكست هذه الروح على الجماهير . . فشعرت ربما للمرة الأولى أن روح الثورة لا زالت تشتعل ، فها هي طلائع من الأمة تحمل السلاح وتقاتل ، وتُقتل في سبيل كرامتها ، وحريتها ، وحقها .

وأمتدت إرادة القتال إلى كل المسلمين . .

وأشعلت « عاشوراء » أملاً كاد أن يموت في القلوب . . وأصبحت

مقاومة الظلم حتمية دينية فرضتها روح كربلاء .

أليس الحسين أقدس رجل ، وقد قاتل ، وقد قتل ؟

إذن فلنقاتل . . وليكن ما يكون . .

وكان الشعار : يا لثارات الحسين .

ثوار من نوع جديد . . من الفقراء . . من الجياع . . من العبيد . . كبار السن . . شبان . صغار . . رجال . . نساء .

وأنتشر التحدي . .

وبوحشية ضربت السلطات هذه الثورات . .

بوحشية قصفت مكة . . وبوحشية ضربت المدينة . . وبوحشية قمعت حركات التحرر في الكوفة .

ولكن لا . .

لا يمكن أن تخمد تلك الثورة لأن نبعها كان من عاشوراء .

ثوار من نوع جديد « فدائيون » لا يهمهم إن إنتصروا أو قتلوا ، المهم أن يقاوموا الظلم ، وبإصرار غريب على البذل والعطاء ، كانت الثورة تنتشر .

وبعد ٤٠٠ عام على إستمرار الثورة وقف الشاعر أبو العلاء المعري ، فلم يبصر غير الدم يعم الآفاق العربية فقال :

وعلى الأفق من دماء الشهيدين علي ونجله شاهدان
فهما في أوائل الصبح فجران وفي أخرياته شفقان

ووجدت الثورة من الناس البسطاء المنسيين الدعم الكافي للاستمرار . . فكانت أنتفاضة أثر أنتفاضة وثورة وراء ثورة تتحول إلى موجة جديدة من الدم تنصب في النهر الأحمر الذي ينبع أبداً من كربلاء . . تلك هي الصورة !

الحسين : الرمز . .

ليست القضية : ان الحسين قتل . .

وإنما القضية : أن الحسين قام بثورة .

وبين القتل والثورة مسافة طويلة ، هي المسافة بين الأيديولوجية ، والشهادة من أجلها ، وبين المغامرة ، وشهوة الموت . .

وبمعرفة الظروف الموضوعية التي أحاطت بهذه الثورة يمكننا التعرف عليها في شكلها النهائي وصورتها الحقيقية . وإلا فإن عنصر العظمة في هذه الثورة ، لا يكمن في استشهاد مائة رجل ، وأسر مائة امرأة وطفل ، ولا في بشاعة الطريقة التي مارس بها العدو عملية القتل بهم .

فالتاريخ يحفل بثورات كثيرة ، وتضحيات كثيرة وأسراء بأعداد كثيرة . ولكن أياً منها لا يرقى إلى ثورة الإمام من حيث المستوى البطولي ، نظراً إلى الأوضاع الراهنة آنذاك . .

فإذا أخذنا بعين الاعتبار ظروف ثورته ! وكيف أنه ثار في ركود اجتماعي ، ولامبالية جماعية ، ويأس من إمكانية التغيير إذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار فسندرك قيمة ثورته ، ليس فقط كأنبل ثورة من ثورات التاريخ . .

وإنما . . كرمز . .

إن الحسين تحول بالشهادة المأساوية ، والتلاحم بين الفكر والممارسة ، وتقديم كل ما يملك قرباناً لتحريك الوضع وتغييره ، إلى رمز للثورة . .

فالرمز في هذه الثورة هو الأهم : لأنه العطاء الذي لن ينضب . . ونقطة الدم الساخنة التي ستظل تنزف بالكبرياء والكرامة ، وتنبض بالحق والحرية على مدى التاريخ .

لقد ثار الإمام على « ماركة الاسلام » الفارغة من حقيقته ، وفي ظروفه تلك التي إعتاد الناس فيها على التمسك بالمظاهر الاسلامية والتعصب لكل ما يصدر عن الجهات الحاكمة من دون تقييم لنوعيته ، كانت ثورته « الاولى » من نوعها .

إن الإمام عندما بدأ المسيرة لاقى معارضة عنيفة من كل « عباد » الأمة و « زهادها » وواجه فتوى صريحة بوجوب محاربته باعتباره : خارجاً على إجماع الامة ، والشاق لعصاها ، وكانت الفتوى صادرة من كبير القضاة في حينه ، وهو شريح القاضي حيث أفتى بضرورة ووجوب محاربة الإمام بإعتباره خارجاً على « أمير المؤمنين » !! انه فوجىء في كربلاء بأكبر « عالم ديني » في الكوفة وهو شبث بن ربعي ـ الذي كان يتجاوز السبعين عاماً ـ على رأس ٤ آلاف مقاتل يقف ضده ، وفي ذلك كله كانت « ثورة رائدة » .

كانت . . البداية !

وكانت . . الرمز !

وكانت . . التراث الثوري الذي يرجع إليه الثائرون على امتداد التاريخ . .

وإذا كانت الثورة ، أية ثورة ، لا تكتمل إلا إذا كانت من أجل تغيير واقع ، بهدمه ، وبناء واقع آخر مع وجود العناصر التالية :

١ ـ ايديولوجية واضحة .

٢ ـ خطة . . دقيقة .

٣ ـ ترجمة الأيديولوجية إلى سلوك عملي يمارس في النضال .

٤ ـ الاعتماد على العنف المقدس .

فإن ثورة الإمام الحسين اكتملت فيها هذه العناصر بشكل رائع لا مثيل له .

وبملاحظة « قبل » و « بعد » عاشوراء ، والتغيير الذي حدث نستطيع أن نعرف أهمية الرمز في ثورة الإمام .

فقبل الثورة ، قامت السلطات الحاكمة بسحق الروح التغييرية في الأمة ، عن طريق الإرهاب الجماعي[1] وتنمية الروح الطبقية وتعميق الهوة بين الفرد ، وإيمانه « حتى كثرت التجمعات ، وغلبت المصلحة على كل شيء ، ووصلت الأخلاق العامة إلى اقصى درجة في الإنحدار[2] » .

وفي زمن تواصل فيه السلطة القتل كأبسط الوسائل لضرب إنتماء الرجل ، كان التملص من الانتماء ، والتنقل من ولاء لآخر ، ومن جبهة إلى اخرى سمة عامة ، خاصة وأن السلطات التي كانت تحكم باسم الدين كانت هي تعاني من تحلل عميق من أي التزام .

وحين يحكم السيف تضيع الكرامة ، ويستسلم الكثيرون ، ويستدعون من أنفسهم كل الكوامن الخبيثة ، ليعايشوا السلطة الفاجرة بأسلحة من طباعها . .

وحين ينتصر الباطل ـ بما يمثله من ظلم ، واحتكار ، وطبقية ، واقطاع ـ ويكتسح الآرهاب البلاد يحدث ما يشبه الوباء ، ذلك لأنه يفصل بين لقمة عيش الرجل ، وبين إيمانه والتزامه ، فيجبر الناس على الانتماء للسلطة من اجل الحصول على لقمة الخبز .

وماذا يمكن أن يعمل الجائع ؟!

إنه يكفر بمعنى أنه يمشي خلف الخبز ، حتى فيما إذا كان عند أهل الباطل .

---

(١) للمراجعة : ١٠ ـ ١ = . . « عشرة ـ واحد = صفر » .

(٢) اليمين واليسار في الاسلام .

وهنا تكون السلطات هي المسؤولة تماماً ـ كما أن السيد الذي أجاع خادمته حتى زنت في سبيل الحصول على لقمة العيش كان هو المسؤول دون الخادمة عن عملية الزنا .

ومن الـواضح إن دافـع الإمام الحسـين إلى الثورة لم تكن القضـايا الإقتصادية وان كانت هي أيضاً مقصودة ، كقضية حق ، لأن الصراع بين الظالم والمظلوم تحول إلى صراع بين القيم الإنسانية العليا والقيم الجاهلية .

فالثورة ليست مجرد تغيير تنشده وتعمل له مجموعة مقهورة لتلغي قهرها وتسترد حقوقهـا ، بل هي أعمق من هـذا ، إنها طريق في سلم التـطور الأخلاقي للمجموعة البشرية وهذا السلم يبدأ من السلوك الفردي في أبسط صورة إلى السلوك الجماعي للأمة والأنسانية بشكل عام . والصراع من أجل توزيع الثورة هو ذريعة للتطور بالبشرية من حالة أخلاقية رديئة إلى حالة أخلاقية راقية . . بما تعني كلمة الأخلاق من التزامات وطريقة عمل . .

وقائد الثورة في كربلاء لم يكن تحركه إلى الثورة ضغوط الحرمان أو القهر ـ لأنه كان يعيش في رفاهية ، وكان يستطيع أن يترك الثورة ويحصل على ما يريد ـ ولكنه كانت تحركه قيم إنسانية أعلى من القيم السائدة .

إن التركيبة النفسية للإمام ـ التي كانت صنيعة إيمانه بالله والتزامه أمامه ـ كانت تتناقض مع القيم الاخلاقية السائدة في مجتمعه ، فهو كان مدفوعـاً بدوافع قوية للدفاع عن المثل التي أُهدرت وليشعر بأن طريق الناس إلى قيم الله ، والأرتقاء قد أحتل من قبل قوات السلطة ، وإنه المطالب بالتغيير ، أو كما عبر هو : « وأنا أحق من غير ! » . .

كانت القضية أن طريق الحق قد طمس . . فكان بحاجة إلى رش الدم عليه ليتوهـج من جديـد تحت ضوء الشمس ، ويعـود التعرف عليـه من جديد . .

كان الهدف بعث الروح من جديد .

وبعد عاشوراء . . ماذا نرى ؟

ثورات . . تمرد . . انتفاضات . . نقد . . مقاومة .

وهذا جدول سريع ببعض الثورات التي انتشرت بعد عاشوراء .

ففي سنة خمس وستين ـ وبالضبط ـ بعد أربع سنوات من عاشوراء ـ خرج سليمان بن صرد الخزاعي في عدد من أصحابه لم يتجاوز أربعة آلاف وكانت دعوته ، دعوة إلى الجهاد في سبيل الحق والموت دون تحقيقه ، ولذلك كان يقول لأصحابه :

ـ « من كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، فرحمة الله عليه حياً وميتاً ، ومن كان إنما يريد الدنيا وحدثها ، فوالله ما نأتي فيئاً نستفيئه ، ولا غنيمة نغنمها ، ما خلا رضوان الله رب العالمين ، وما معنا من ذهب ولا فضة ، ولا خز ولا حرير ، وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا ، ورماحنا في أكفنا ، وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا ، ومن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا . . » .

ونشب القتال ، وأستبسل سليمان بن صرد وأصحابه وقُتل معظمهم ، ولم يبق منهم غير القليل . .

وبعد سليمان . قام المختار ، وجعل من مقتل الحسين وسليمان دافعاً جديداً لمكافحة الطغيان ، فجمع حوله الغاصبين للحق وأخذ يتهيأ لاعلان الثورة من جديد ، وكانت أهداف ثورته « الدعوة للعمل بكتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلين ، والدفاع عن الضعفاء[1] » .

وأنتصر في ثورته ، وأنزل العقوبة بقتلة الإمام . .

وبعد المختار ، ثار صالح بن مسرح التميمي داعياً إلى « محاربة الجور ، وإقامة العدل » وقتل في عام ٧٦ هـ .

وفي سنة ٧٧ هـ ثار مطرف بن المغيرة ، فأعلن خلع عبد الملك بن

---

(١) الطبري ١٣/٦ ، ١٥ ، ٣٢ .

مروان ، والحجاج بن يوسف ودعا إلى « قتال الظلمة وجهاد من عند عن الحق وأستأثر بالفيء وترك حكم الكتاب » وقد قُتل هو وأصحابه في العام ذاته .

وفي سنة ٨١ هـ . ثار عبد الرحمن بن الاشعث ، داعياً إلى « كتاب الله وسنة نبيه وخلع ائمة الظلم » ولكنه قُتل على يد الحجاج .

وفي سنة ١٢٢ هـ . ثار زيد بن علي بن الحسين داعياً الناس إلى «كتاب الله وسنة نبيه ، وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ، ورد الظالمين ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا » . وقد قُتل هو وأصحابه في العام نفسه ولكنه بقي مصلوباً لمدة ثلاث سنوات حيث طافوا برأسه على مدن دمشق ، والمدينة ، ومصر ، ثم « أُحرق ونسف في اليم نسفاً » !

وبعده ثار إبنه يحي بن زيد في سنة ١٢٥ هـ . وقُتل أيضاً فيها .

ثم ثار عبد الله بن معاوية ، متابعاً الأتجاه العام الثوري الذي أوضحه وعمقه زيد بن علي . . وقُتل عام ١٢٧ هـ .

وفي سنة ١٢٨ هـ . ثار الحارث بن سريج « إنكاراً للجور » وقُتل في العام نفسه . .

وفي سنة ١٢٨ نفسها ، ثار أبو حمزة داعياً للثورة ومناهضة « مروان وآل مروان » .

وفي سنة ١٢٩ هـ . قام أبو مسلم الخراساني .

وفي سنة ١٣٢ هـ . كانت الدولة الأموية قد سقطت بشكل نهائي[1] .

---

(١) لماذا سقطت الدولة الاموية ذات القوة والمناعة والتاريخ العريق في السيطرة ؟

- لأن الحسين برز امامها وكرس الروح في الامة اما الدولة الاموية فانها كانت كالجسد الذي لا رأس له . فمهما مشى فلا بد انه يسقط . . ان آل البيت كانوا هم « الروح » . . هم الكفاءة . . هم « العلم » . . وعندما انفصل « جسد » الدولة عن روحها . . سقطت الدولة ذات الجسد الكبير الخاوي من الروح . .



مرحلتان . .



مرحلتان ، يجب التمييز بينهما قبل اتخاذ أي موقف ، وفي تقييم الأحداث وهما مرحلة التأسيس ، ومرحلة التصحيح . .

وتتميز المرحلتان ، عن بعضهما البعض، بما يلي :

مرحلة التأسيس هي مرحلة البداية ، وفيها تكون الحاجة ماسة إلى كل نقطة جهد ، وكل ذرة قوة ، فلا يجوز فيها التفريط بأي جهد يبذل من قبل أي كان ، فالمرحلة هي مرحلة التكوين ، ولا بد فيها من القبول بلا شروط مسبقة لأن الانسان إذا فرط في الجهود المتاحة وفوّت على نفسه الفرص الممكنة في هذه المرحلة ، فإن الولادة تتحول إلى إجهاض .

ونستطيع أن نمثل لهذه المرحلة ببداية الرسالة ، فحين قام الرسول (ص) بتحمل أعباء المسؤولية كانت المرحلة بالنسبة إليه « مرحلة التأسيس » ولذلك فنحن نجد أنه كان يستفيد من جهود المؤمنين من دون تمييز بين المؤمن الصادق مائة في المائة ، او نصف الصادق ، وحتى أنه كان يستفيد من المنافقين ، رغم أنه كان يندد بهم فكرياً وعقائدياً .

فهو كان يستفيد من طاقة كل فرد حسب ما يكون مستعداً لبذلها ، فإذا ما كان واحد من المؤمنين مستعداً لبذل ٢٠٪ فقط من طاقاته ، لم يكن النبي يفرط في هذه العشرين بالمائة بحجة ان عليه ان يقدم ١٠٠٪ من طاقاته .

فالنبي في البداية كان يتدرج في مطاليبه من الناس : فكان يقبل من كل انسان اية نسبة من التزامات الأيمان ، فالذي كانت أعماله تخالف الاسلام بمقدار ٨٠٪ ويوافقها في العشرين الباقية لم يكن الرسول يحكم عليه بالموت ، لأنه كان بحاجة إلى أي جهة بأي مقدار .

ولهذا نجد في صحابة النبي مثل عبد الله بن أُبي الذي كان يوصف « برأس المنافقين » وهم الذين تحدث القرآن عنهم بقوله ومن حولك من الاعراب ينافقون ومن اهل المدينة ، مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم . .

ونجد أيضاً في صحابته ضباطاً للجيش كان يكلفهم النبي بمهام

عسكرية ، رغم أنه لم يكن يثق فيهم ، حتى أنه كان يضطر إلى الاستعانة ببعض « العيون » لمراقبتهم حتى لا يفرطوا في الأمانة العسكرية .

ونجده ـ كذلك ـ يدخل مع طوائف مشركة ، وأخرى ملحدة في أحلاف ، ويعقد معهم الاتفاقيات التي تنص ـ فيما تنص ـ على وجوب دفاع النبي عنها من دون أن يكون لزاماً عليها الدفاع عن النبي .

والسبب في هذا « التساهل » في الأمر هو : أن المرحلة كانت بالنسبة إلى الرسالة حينئذ مرحلة : أن تكون او لا تكون ، فلو أراد النبي أن « يغربل » أصحابه ، ويشدد معهم لم يكن بإمكانه توطيد دعائم الرسالة في تلك الظروف العصيبة التي كات تمر بها . .

أما مرحلة التصحيح : فإن الأمر يختلف جذرياً . فالرسالة في هذه المرحلة مطروحة على الساحة ، ولكنها بحاجة إلى تصحيح المسيرة بها . وتصحيح المسيرة بحاجة إلى حزم ، وتشدد ، وربما العنف أيضاً .

والسبب في ذلك هو : أن مرحلة التصحيح تتميز بأن الأشياء ، والأوضاع ، والمواقف ، تكون ملونة بصبغة الرسالة ، ولكنها تفتقد جوهر الرسالة .

فالحاكم يحكم باسم الإسلام ، وخلافة الرسول .

والمظاهر هي مظاهر إسلامية .

والعبادات قائمة على قدم وساق ، ولكن الروح بعيدة كل البعد عن روح الرسالة . ومن دون استعمال الشدة ، والعنف لا يكون بالمستطاع اقناع الناس بكذب المظاهر ، وخداع الحاكم ، وخواية العبادات .

إن « الاسماء » في مرحلة التصحيح تكون حاكمة ، فلا يجد الناس أي مبرر في الظاهر للقيام ضدها . .

فاسم « القرآن » يحكم : رغم انه قد يستخدم للتخدير والخداع . . .

واسم « الخليفة عن رسول الله » هو الذي يسود : رغم انه يمارس

عملية محو أسم النبي من الجذور . . .

وأسم « الجهاد » هو الذي يحرك الناس : رغم أنه قد يكون ضد مثل الإمام الحسين .

وفي مثل هذه المرحلة يكون التشدد ، وعدم الرضى بأي إنحراف ، وعدم قبـول أي شخص في صفـوف العمـل الإسـلامي إلا إذا كـان مؤمنـاً بالأهداف ، وملتزماً بالمبادىء إلتزاماً كلياً ومطلقاً ، يكون ضرورة ملحة .

ونستطيع ان نمثل لهذه المرحلة ، بالمرحلة التي تسلم فيها الإمام علـي (ع) مسؤوليات الحكم .

فالإمام جاء بعد أن عصفت أوضاع شاذة بالأمة الاسلامية . ولكن هذه الأوضاع الشاذة لم تواجه بالرفض من قبل الأمة ، لأنها كانت قد اتخذت صبغة مقدسة بسبب تلونها بغطاء رسالي كاذب .

فالمظاهر ـ في كل مكان ـ كانت مظاهر الاسلام .

ولكن الروح كانت بعيدة ـ جداً جداً ـ عنه !

ولأن الامام كان مكلفاً بالتصحيح فانه كان يُعنّف في التشدد حتى لكأنه قائد مثالي ، يطالب الناس بأمور مثالية إلى حد بعيد .

فهل كان الإمام قائداً مثالياً (بمعنى المثالية التي يمكن تطبيقها) ؟

بالطبع : لا . ولكن كان في أوضاع خاصة تفرض عليه أن يطالب الناس بالمثالية لكي يعتدلوا . .

ولهذا فإننا نجد أن الإمام قد يسحب ثقته فوراً من كل والٍ سابق ، أرتكب أي انحراف عن الأسلام ، في أول لحظة تسلم فيها مسؤولية الحكم .

ونجده ايضاً يهدد أحد ولاته بالعزل لجرم أنه اشترك في مأدبة لبعض الأثرياء ، ويعزل آخر لأنه أخذ الناس بما لم يكلف به .

فكل مخالفة بسيطة تجابه من قبل الإمام بثورة عارمة : أخوه الضرير

يطلب منه بعض الزيادة في الراتب ، فيرفض الإمام بعنف . وابنته تستعير قلادة من بيت المال بشرط ضمان تلفها ، فيحامل عليها الإمام بتهديدها وبتهديد الأمين . . .

لماذا هذا التشدد ؟

لأن المرحلة تتطلب التصحيح ، ولولا هذا العنف في وضع الأمور مواضعها ، فإن الرسالة كانت تصبح « دين دولة » و « مهزلة حكام » و « تبرير مصالح » و « مظاهر خاوية » لا تعني شيئاً .

من هنا كان النبي (ص) يقول للإمام :

ـ « يا علي تقاتل على التأويل ، كما قاتلت على التنزيل » . . . وهكذا فإن مرحلة التأسيس بحاجة الى التساهل ، بينما مرحلة التصحيح لا تساهل فيها .

ولكن القضية بحاجة الى فهم ، ودراسة ، وتمحيص لكي يعرف الانسان في أية مرحلة يعيش ، وكيف يجب ان يتصرف ؟

●

وماذا عن مرحلة الإمام الحسين ؟

لا شك ان المرحلة التي عاشها الامام كانت مرحلة تصحيح ، فالامة كانت قد توسعت كثيراً ، والإسلام دخل الى أقاليم متعددة ، وعادات الامم الاخرى كانت تتفاعل داخل الارض الاسلامية ، والحكم تحول الى مغنم ، والجاهلية عادت مرة اخرى بثوب اسلامي ، وعادت العشائرية ، والتقاليد البالية ، وعاد معها الخضوع لغير الله .

ورغم أن الامام علياً قاد ثورة تصحيحية واسعة ، وأعاد بذلك نقاء الثورة الاسلامية وطهرها السابق ، رغم ذلك فان الأوضاع التي مرت بعد مقتل الامام ، اعادت الامة الى الجاهلية الملونة بالاسلام من جديد .

كما يقول الأستاذ عبد الله العلايلي ـ وهو من كبار علماء المسلمين في

لبنان ـ « نستقبل في عهد الدولة الأموية تجديداً يشمل الأوضاع كافة ، ويتصل بجوهرها ، حتى بات منه المجتمع العربي في شكلية لا عهد له بها ، ولا تتصل بالعهد السابق إلا اتصالاً خفياً فيه كثير من الغموض ، فهيئة الحكم وطريقة الأجراء والأدارة وقاعدة العمل العام لم تعد كما كانت » .

« وقد أنتقل هذا التحليل إلى الشعب ، فسرعان ما تغير وتحلل وطلب الحياة في الهواء الطلق ـ كما يقولون ـ وساعد الشعب على سرعة تحلله ، أن أكثر رجال القديم ذهبوا ضحية الصراع الثوري العنيف ، فالجمهور الباقي يتألف من الشباب وحدهم وخليط من الأمم المنحلة فكان لديهم الأستعداد التام لحركة انقلابية من هذا النوع ، فالأدبية الاسلامية آذن اصيبت بإنحراف كبير أن لم نقل أن الحياة العامة خرجت عن قاعدتها . وهذا ما يعلل تفشي المجون في مهبط الوحي ، وأنتشار الحياة اللاهية المفتونة هنا وهناك[1] .

إذن فمرحلة الامام الحسين كانت مرحلة تصحيح ، وهذا ما يفسر لنا نوعية الثورة التي قادها : حيث سرّح كل جنوده الذين لم يكن لديهم إستعداد للالتزام بالطهر المطلق حتى آخر لحظة ، وحيث رفض عوامل النصر عندما كانت تتعارض مع التزامات بسيطة بينه وبين عدوه !

فلولا أن الثورة كانت ثورة تصحيح : لكان على الامام أن يستغل كل جهد مع قطع النظر عن صاحبه . وكان عليه أيضاً ان يقوم بعملياته الثورية في سرية تامة : فيهاجر مثلاً من مكة إلى الكوفة كما هاجر النبي منها إلى المدينة في سرية كاملة وبلا ضوضاء ، ولكان عليه ـ كذلك ـ أن يكشف لأصحابه عن الأنتصارات فقط ، وليس عن الهزائم ـ كما كان يفعل ذلك في طول الطريق . .

ولكن الثورة كانت ثورة تصحيح ، والمرحلة كانت تتطلب التشدد في الطهر ، والهدف كان وضع « اسس الثورة الاسلامية » موضع التنفيذ ، والكشف عن الروح والجوهر في الدين .

---

(١) « الامام الحسين » للاستاذ عبد الله العلايلي .

إن الأمة الإسلامية كانت تمر في عصر الامام الحسين بأصعب فترة من فترات حياتها فلم تمر في أية فترة سابقة باضطراب فكري ، وحيرة ، وانقسام ، وتمزق ، مثل الفترة التي مر بها في ذلك الوقت .

كانت الفترة ، فترة إنعدام الرؤية ، وفي مثل هذا المجال كان الاسلام يفسّر حسب المصالح : فالتجار يفسرون مبادئه بما يتفق مع نوعية معاملاتهم التجارية . والحكام يفسرونه حسب آرائهم . والعامة يفسرونه حسب ما يريدون .

وهكذا انقلب الاسلام ـ من حيث العمل والموقف ـ إلى آلاف الاديان ، رغم أنه كان واحداً من حيث الفكر والنظرية .

ولذلك فإنه كان بحاجة إلى ثورة تفسر الاسلام تفسيراً واقعياً حقيقياً صادقاً ، وكان على الامام ـ بإعتباره الوحيد الذي يستطيع أن يصنع ذلك ـ ان يضع ثورة الاسلام في إطار دقيق من الطهر والالتزام العنيف بمبادئه .

ومن هنا نستطيع أن نعرف لماذا كانت نتائج ثورة الامام شاملة لكل جوانب حياة الأمة ؟

حيث أنها قلبت الموازين السياسية ، والأجتماعية ، والفكرية رأساً على عقب .

فكيف حدث ذلك ؟

أ ـ على الصعيد الفكري :

نسفت ثورة الإمام كل الصيغ والتراكيب الفكرية ، والنفسية التي كانت تشكل العمود الفكري للفكر ، وبعد أن بدأت تتوضح ملامح الثورة وتكشفت عن الهوى والحفر في نوعية الفكر القديم ، بدأ الأنسان المسلم يبحث عن هوية جديدة لفكره ، فقد خلقت ثورة الامام مرحلة جديدة هي مرحلة « فتح العيون » على زيف الأفكار المطلاة بالاسلام ، والبعيدة في نفس الوقت عنه !

ب ـ على الصعيد الاجتماعي :

خلقت ثورة الامام أسساً جديدة للولاء . وسقطت الولاءات القبلية ، فثار العبيد على الأسياد ، وثارت القبائل على رؤسائها .

وحطمت الثورة حاجز الخوف بين الناس وبين الثورة ، فإذا كانت « المسلمات الاخلاقية » المزيفة تحول بينهم أن يثوروا ، فإن الثورة نسفت هذه المسلمات ووضعت ضرورة الثورة مكانها .

فقامت ثورات في كل مكان من الأرض الاسلامية . وكانت الفتيلة : ثورة الامام . .

ج ـ على الصعيد السياسي :

وضعت الثورة النظام موضع المحاسبة ، وتجاوزته إلى خلفياته الفلسفية ، فنسفتها نسفاً كاملاً وكشفت عن الخلفية الصائبة للنظام : من يحكم ؟ وكيف يحكم ؟ ومسؤوليات الحاكم ؟ وواجبات الناس ؟

وكما قال الشاعر :

اعظم به بطلاً لم يعط متضعاً ... يد الصغار وأعطى دونها الراسا
كذلك الحرّ يستعدي الممات على ... عيش الدنية اذلالاً وإركاسا
أكرم بها خلة كانت لنا نهجاً ... ثم استمرت على الأيام نبراسا



الثورة :
اهداف وشعارات

الاهداف . .

من المؤكد ان الامام الحسين لم يقدم على الثورة من دون ان يكون مدفوعاً باهداف معينة . فالامـام لم يكن يرغب في الموت للموت . . ولا كان مغامراً يعشق احداث فوضى ، وبلبلة . وانما كان صاحب قضية . فما هي قضيته ؟ وما هي اهدافه ؟ .

حرام ان نخنق ثورة الامام داخل قوقعة تغيير القائم على رأس النظام فحسب ، فالنظام ـ أي نظام ـ ليس صدفة . إنما هو نتيجة اوضاع معينة . الأوضاع المعينة نتيجة رؤية معينة تنظر الامة من خلالها الى الأمور .

من هنا فنحن لا يمكن ان نعتبر إسقاط الحاكم هدفاً لثورة الامام . ولا هو صرّح بذلك . وانما كان الهدف : بالاضافة الى تغيير النظام ، صنع ثورة داخلية في الانسان ، وتغيير الافكار والرؤى ، وتبديل العلاقات الاجتماعية ، ومن ثم . . تغيير الانظمة .

إن قناعة الامام ، بأن أوضاع القائمة كلها شاذة ، وانها بحاجة الى تغيير جذري في بنيانها ، هي التي دفعته الى الثورة .

ونستطيع أن نلخص أهداف الثورة ـ التي هي بالطبع أهداف الاسلام في كل زمان ومكان ـ في الامور التالية :

١) صنع « امة رسالية » أي بناء قاعدة جماهيرية تتخذ حمل رسالة

الايمان بالله ، والالتزام بقوانينه وشريعته ، منطلق عملها في الحياة .

٢) بناء « مجتمع اسلامي » يتخذ الاسلام في علاقاته ، وانظمته ، ودساتيره ، مصدراً وحيداً في التشريع . ويبني كافة مواقفه وفق القواعد الاسلامية العامة . .

٣) تخليص « الحضارة الاسلامية » من التحريفية ، وانقاذها من السقوط .

ولأن كل ذلك ، لم يعد ممكناً مع النظام القائم آنذاك ، فقد حمل الامام السلاح ، وبدأ الثورة ضده .

فهو لم يكن يشن حرباً عدوانية . وإنما كان يشن حرباً ردّ عدوان قائم . وهو عدوان الوضع الشاذ .

انه كان يحارب من أجل اقامة « الحكم العادل » الذي يصلح الفاسد ، ويرد الظالم ، كما صرح هو بذلك :

ـ « الا واني لم اخرج اشراً ، ولا بطراً ، ولا ظالماً ، ولا مفسداً . . . وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي » .

« اريد ان آمر بالمعروف . وأنهي عن المنكر . . فمن قبلني بقبول الحق ، فالله أولى بالحق . . ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ، وهو خير الحاكمين » .

إذن فهو كان يطلب ـ ما كان يطلبه أبوه من ذي قبل ـ السلطة من أجل : « رد المعالم من دين الله » و « اصلاح البلاد » اجتماعياً ، وامنياً ، ونظامياً ، « ليأمن المظلومون من عباد الله ، وتقام المعطلة من الحدود[1] » .

ذلك لأن الأمة كانت تعاني من الأمور التالية :

١) من الناحية الاجتماعية : كان الفساد ، والرشوة ، والغش ، والظلم ، وعدم تكافؤ الفرص ، منتشراً انتشاراً واسعاً .

---

(١) راجع نهج البلاغة .

يقول الامام الحسين : « الا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد . . » .

٢) من الناحية الامنية : لم تكن تقام الحدود ، ومن ثم فلم يكن يعاقب المجرم على جريمته ، ولا العاصي على معاصيه .

وصرّح الامام بذلك بقوله : « . . وعطلوا الحدود » .

٣) من الناحية الاقتصادية : كانت هناك قلة تتحكم بمصائر الناس ، وتحتكر ارزاقهم ، وتتلاعب بمقدراتهم المعيشية .

وكما صرّح الامام : « استأثروا بالفيء » دون الناس ، وتصرفوا فيه كما املت عليهم شهواتهم .

٤) من الناحية الخلقية : كانت قيم الشيطان هي السائدة . فقد : « أحلوا الحرام ، وحرموا الحلال » .

لهذه الاوضاع . . ولصمت الذين كان عليهم الكلام على هذه الأوضاع ـ حتى أصبح اعتبارها « الحالة الطبيعية » للبلاد والعباد ، وارداً في الأذهان ـ ولموت روح الجهاد فيهم : ثار الامام الحسين ، ولكنه لم يكن يريد ان يغير الوجوه ، ويقوم باصلاحات سطحية على مستوى وقتي ، وإنما كان يحاول ان يعيد في ثورته قيم الاسلام الحقيقية ، ولذلك فانه يطلب من الناس ان يتبعوه فيما اذا وثقوا بأنه يمثل الحق ، وينطلق من اجله :

« فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق » فهو لا يطالب احداً ان يتبعه لارومته . لقرابته من النبي . . لكبر سنه . لانه من قريش . لجهاده السابق . فكل ذلك قيم طيبة وشرف وكرامة، ولكنها ليست مقاييس للحاكم ، وإنما « الحق » هو المقياس : فقبوله كحاكم انما يكون بقبول الحق ، فهو ساع اليه ، واذا قبل انسان ما الحق فعليه ان يقبل الامام لما يحمله اليه من الرفاه ، والخير .

أما خطة الامام العملية لتحقيق هذه الاهداف ، فنبحث فيها في فصل « الثورة : تخطيط وتنفيذ » ، انشاء الله تعالى .

الشعارات . .

كانت شعارات الثورة ثلاث كلمات :

من أجل الاصلاح .

من أجل الحق . .

من اجل التحرر .

أولاً ـ من أجل الإصلاح

في البيان الأول للثورة اطلق الامام كلمته الشهيرة :

« ألا واني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا ظالماً ، ولا مفسداً ، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي . . . » .

والإصلاح . . تعني ارجاع الأوضاع الشاذة إلى وضعها الطبيعي ، من دون أن يكون للإمام مطمع مادي في ذلك .

ثانياً ـ من أجل الحق

إن الحق يعني : سيـادة القيم الانسانيـة . وهي القيم التي تتكفـل بتحقيق الخير ، والرفاه للإنسان .

والحق هو هدف كل الأديان ، وكل الرسالات .

وقد رفع الإمام شعار « من أجل الحق » عندما برّر ثورته بقوله :

« إن الدنيا قد تغيرت ، وتنكرت وأدبر معروفها ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعي الوبيل : ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ؟ وإلى الباطل لا يتناهى عنه ؟ » .

«ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً . . . » .

وكانت رسالة الإمام التي بعث بها مع مبعوثه الشخصي مسلم بن عقيل تصرح :

« قد فهمت كل الذين اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلكم : أنه ليس لنا إمام ، فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق ، والهدى » .

« وانا باعث اليكم اخي ، وابن عمي ، وثقتي من اهل بيتي مسلم بن عقيل ، وامرته ان يكتب الي بحالكم وامركم ورأيكم . فان كتب الي انه قد أجمع رأي ملأكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليًّ به رسلكم وقرأت من كتبكم ، فاني اقدم اليكم وشيكاً انشاء الله » .

« فلعمري ما الامام الا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط ، الدائن بدين الحق ، الحابس نفسه على ذلك لله . والسلام » .

وجاء في خطبته الثانية التي القاها على جيش الكوفة ، قوله :

« ايها الناس . . . انكم ان تتقوا الله ، وتعرفوا الحق لأهله يكن ارضى لله عنكم ، ونحن اهل بيت محمد (ص) اولى بولاية هذا الامر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان . . » .

ويوم غفي - في الطريق الى كربلاء - واسترجع بقوله : « انا لله وإنا اليه راجعون » وهي كلمة يرددها المفجوع عادة ، قال له ولده علي الأكبر :

« يا أبتاه . . » جعلت فداك مم استرجعت ؟

اجابه : « سمعت هاتفاً يقول ، القوم يسيرون والمنايا تسير بهم الى الجنة . فعلمت انها انفسنا قد نعيت الينا » .

قال الولد : « يا أبتاه . . او لسنا على الحق ؟ » .

قال : « بلى . . والذي اليه مرجع العباد » .

فقال الولد : وهو يرى ان شعار ثورته قد تحققت : « إذن . . لا نبالي !! » .

ثالثاً ـ من أجل التحرر

التحرر من قيود المجتمع الفاسد .

والتحرر من ضغط الشهوات .

والتحرر من التقاليد الجاهلية : هدف مقدس من اهداف كافة رسالات الله .

فمن دون « الحرية » لا يمكن تحقيق الحق . ومن دون الحق لا يمكن الاصلاح .

ان الحرية مطية الحق . كما أن الحق هو الاصلاح والحرية ـ بعد ذلك ـ الميزة التي اعطاها الله للانسان ، وبها كرَّمه على كثير مما خلق .

والحرية بالنسبة الى الانسان ، كالهواء بالنسبة للطير . من دونها لن يتحقق وجوده ، ويبقى مهملاً من مهملات الكون . .

والحرية مطلوبة على كل حال : لكي يجرب الانسان ذاته ، ويحاول اكتشافها . .

ولذلك رفع الامام شعار « التحرر » من الذل والعبودية والقهر والقيم البالية .

فكان (ع) يقول :

« من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله . . » .

وكان يقول ايضاً :

« لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبيد » .

ويقول :

« كفى بك ذلاً ان تعيش ، وترغما » .

ويقول لعدوه :

» إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد فكونـوا احراراً في دنياكم » .

وعندما ابن الحر بن يزيد الرياحي ـ بعد تمرّد الأخير على قائد جيشه :

« أنت الحر كما سمتك امك » .

وكان نشيد مبعوثه الشخصي مسلم بن عقيل في شوارع الكوفة :

اقـسـمـتِ لا أُقـتـل الا حـراً   وإن رأيـت المـوت شيئـاً نـكـراً

مع الاهداف والشعارات

« ان الالف والثلاثمئة والثلاثين عاماً ، الذي مضى على ثورة الحسين عليه السلام اصبح عاملاً من عوامل نموهـا وتعميقها ، واغنـاء منطلقـاتها واهدافها » .

كانت كربلاء ارضاً في وسط العراق .

وكانت عاشوراء يوماً من شهر محرم في عام ٦١ الهجري .

والآن . وبعد مرور عشرات المئات من السنين اصبحت كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء .

كيف ولماذا ؟

كيف تحولت المأساة الى مسيرة ، وكيف انقلب الحسين (ع) من شهيد الى رمز للشهادة ومن مظلوم الى شعار عريض ضد الظلم ، ومن ذبيح عطشان الى ثأر الله العظيم .

وبالتالي ، كيف حفرت واقعة الشهيد بكربلاء ، نهراً من العاطفة في قلب كل انسان مسلم . .

والجواب . .

اولاً ـ وقبل كل شيء . . البطل يبقى في حدود واقعه المادي ملكاً

لنفسه ما دام حياً بين الناس فاذا مات او قتل انقلب الى ملك الجماهير بلا حدود ولا آفاق .

ثانياً ـ وهذا هو المهم ، حين يذوب الشخص نفسه في القيم تحمله القيم الى كل قلب وكل ارض وكل عصر .

حينما ذوب النبي ابراهيم عليه السلام نفسه الصديقة في بوتقة الدعوة الى الله ، ارتبطت شخصيته بالله ، فأحياه الله مع الزمن ، وجعل له لسان صدق في جميع العصور .

وحين ضحى الحسين من اجل الله ـ ارتبط اسمه باسم الله . واصبح في كل مكان وفي كل عصر .

ذلك لأن الله ، وتلك القيم التي يدعو اليها الله ، دائمة وباقية ويتحسس كل الناس ، وبالحاجة اليها كما الحاجة الى الضوء والدفء والغذاء .

فكلما كان ظلم ، تحسس الناس بروعة العدل ، وبالحاجة الى مكافحة الظلم .

وكلما بقي الجهل والتخلف ، بقيت الحاجة الى مقاومتهما وأحس الناس فطرياً بتلك الحاجة .

وحين اصبح الحسين قتيل الظلم من اجل العدالة . وذبيح الجهل والتخلف من اجل العلم والحضارة . اصبح يكافح باسمه الانسان ضد الظلم والجهل والتخلف واصبح ابدياً ـ كما العدالة والعلم ـ والحضارة .

من هنا كانت كلمة الحسين على شفة الثائرين ، لأن غذت في نفوسهم الحقد على السلبيات . . . والهمتهم . . روح الكفاح ضدها .

ثالثاً ـ ما دامت القيم السامية اسيرة في عبارات وكلمات تبقى حقائق نظرية لا تثير مشاعر الناس ولا تحرك اعصابهم .

بينما إذا تجسدت القيم في أشخاص ودخلت معهم في تيار الحياة برز للناس جمالها وروعتها واثارت عاصفة من الاحاسيس والعواطف .

وبالتالي اعطتهم زخماً عملياً يتسبب في تجسيد القيم في نفوسهم بأفضل ما يمكن .

فمائة كلمة توجيهية إلى الصدق والوفاء والاصلاح لا تثير في نفوس الجماهير الإحساس بروعة الصدق ، والوفاء والاصلاح بمقدار قصة رجل مثل هذه الصفات الخيرة واصبح تجسيداً لها .

وثورة الحسين عليه السلام كانت مزرعة لألف شتيلة صدق ووفاء وتضحية ، لذلك ألهبت مشاعر الناس ودفعتهم بقوة نحو القيم السامية .

فالحب ، مثلاً ـ قيمة مقدسة لا نتحسس بروعته الا حين يتجسد في انسان معروف كالحسين وآنئذ لسنا نحبه حباً عميقاً فقط ، بل ونصقل حبنا للأشياء والاشخاص بسببه .

لقد أحيا الامام الحسين الحب في كربلاء فأصبح رمزاً للحب في كل مكان .

أحب ربه . . حباً عميقاً ، قال لأعدائه ليلة عاشوراء . . أمهلونا سواد هذه الليلة لنصلي لربنا ركعات « فهو يعلم إني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والأستغفار . . » .

أن حب الحسين لربه جعله يقضي ليلته الأخيرة بين صلاة وبكاء وإستغفار وتقرب إلى ربه بكل وسيلة ممكنة .

وفي ساعات حرجة لم يمر إنسان بمثيل لها في التاريخ . في ساعة استأذن نجله علي الأكبر للبراز إلى العدو . . وفي ساعة وقوفه على جسد إبنه العزيز موزعاً بسيوف العدو ، في ساعة إنفجار الدم من نحر رضيعه . . الذي حمله إلى العدو لعلهم يسقونه ماء . . فرموه بسهم ذبحه من الوريد إلى الوريد .

في ساعة وقوعه على الارض ، بعد أن أُصيب بسبعين جراحة بليغة ، وفي ساعة إحتضانه. عبد الله ذبيحاً وهو ملقى في مقتله يعاني من كل الآلام الجسدية والنفسية .

في كل تلك الساعات لم ينس ربه بل إزداد شوقاً اليه ، وحباً عميقاً له أن الحب الصادق يتجلى كلما أعطى المحب شيئاً جديداً لمن يحبه .

في مصرعه جمع التراب ووضع جبهته عليه ، واستغرق في مناجاة ربه . . ما أروع تلك اللحظات الاخيرة التي يعشها الشهداء من أجل الله . ما أروع فيها المناجاة من أي قلب مفعم بالايمان من أي لسان طاهر ، من أي شفاه ذابلة في الله كانت مناجاة الحسين . . وكم كان الله قريباً الى الحسين ساعتئذ .

انه الحب العظيم من سيد الشهداء لله العظيم تجلى في كل ساعات حياته ، لقد عبر عن هذا الحب ، بتلك المناجاة التي سجل التاريخ بعض مقاطعها قال :

« اللهم متعال المكان ، عظيم الجبروت ، شديد المحال ، غني عن الخلائق ، عريض الكبرياء ، قادر على ما تشاء ، قريب الرحمة صادق الوعد ، سابغ النعمة حسن البلاء قريب اذا دعيت ، محيط بما خلقت ، قابل التوبة لمن تاب اليك ، قادراً على ما أردت ، تدرك ما طلبت شكوراً اذا شكرت ، ذكوراً اذا ذكرت ، ادعوك محتاجاً وارغب اليك فقيراً . . » .

كل تلك المصائب كل تلك الجراحات والعطش وسبي النساء ، والألسنة البذيئة التي كانت تنيل منه في صراخ جنوني والحراب المسعورة التي كانت تحوط به ، والحجارة والنصول التي كانت ترشقه .

كلها . . كلها . . لم تشغله عن ذكر الله وعن مناجاته بهذا الدعاء الطويل ، لأنه كان يحب ربه وقد قدم كل ما قدم لربه . .

ان حبه العظيم لله تجاوزه وانتشر من حوله حتى شمل حبه للناس جميعاً . حتى إذا كان هؤلاء اعدائه . لقد أحب اعدائه . فحاول هدايتهم بكل وسيلة ممكنة . وأحبهم حتى بكى عليهم . حين لم يجد طريقاً إلى هدايتهم .

وبقي الحسين حياً في الحياة لأنه أحيا القيم المقدسة والتي في طليعتها حب الانسان لربه .

وكذلك كانت ثورة الحسين عليه السلام ، رافداً عظيمًا للحب يصب ابداً في المجتمع الانساني فيغذيه بنوازع التضحية والفداء .

رابعاً ، واخيراً ـ كانت ملحمة كربلاء مدرسة تربوية كاملة وليست فقط درساً او دروساً في التربية .

لأنها إحتوت على دروس للرجال والنساء والكبار والصغار والأحرار والعبيد والأغنياء والفقراء .

لقد أشترك في التدريس بهذه المدرسة العظيمة من كل فئة إجتماعية نماذج معينة . فكانت مدرسة لكل الفئات فلكي لا يتصور أحد أن الكفاح وقف على الرجال قامت بطلات كربلاء زينب وأم كلثوم وأم وهب و . و . بدور بارز في الجهاد والتضحية .

وضربن للنساء والفتيات اروع الامثلة النضالية . .

لقد قامت زينب بادارة نصف الصراع الذي دار بين الحق والباطل في ملحمة كربلاء ، لتعطي نساءنا اليوم وفي المستقبل درساً عظيمًا هو ان على النساء أن يقمن بدورهن في الجهاد ضد الظلم والتحريف .

في يوم عاشوراء قامت بدور المشجعة التي لا تفتر، أنخت الأنصار وأثارت حمية الهاشميين ونصحت النساء، وحرضت للجهاد بكل وسيلة ممكنة. . .

وفي عصر عاشوراء. . . حيث احرق العدو خيم آل البيت عليهم السلام فأنتشرت النساء والأطفال في الصحراء. قامت بدور الحامية لهن، وجمعتهن عند بقايا الخيم المحترقة. . وهيأت بعض ما أمكنها من وسائل الراحة.

ثم انحدرت نحو المعركة. وفتشت عن جسد أخيها. وقفت عنده لحظات، تسترجع ذكرياتها، مع سبط رسول الله. كيف كان الرسول يقدره، ويرفعه على كتفه الشريف، كم كانت فاطمة تحبه، وكم كان الإمام علي يثني عليه، كيف كان يقف في محراب العبادة ليلاً، فلا ينتهي إلا عند طلوع

الشمس، كيف كان يحمل على كتفه الطعام إلى الفقراء.

ثم جلست عنده ، وازالت عنه بقايا السيوف والحجارة ووضعت يديها تحت ظهره ورفعته قليلاً الى السماء ثم قالت : اللهم هذا قربان آل محمد فتقبله منا .

وفي الكوفة ، حيث احتشدت الجماهير حول القافلة العائدة من كربلاء ، القت خطاباً فضحت السلطات الحاكمة قالت :

فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً فلقد خاب السعي وتبَّت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله ورسوله وضربت عليكم الذلة والمسكنة .

وفي الشام ، حيث احتفل يزيد في قصره الفخم ، وجاء بالاسارى يستعرضهم امام حزبه .

كانت زينب تراقبه حتى اذا لعب خمر النصر برأس يزيد واخذ يفتخر بآبائه الجاهليين .

ناسياً دور الإسلام في وصوله الى تلك السلطة المترامية الأطراف . هنالك جاشت نفس زينب . . بروح الدفاع عن الاسلام . ونسيت مقتل أخيها الإمام الحسين والشهداء الأبرار من اخوتها وبني اخوتها وابنائها وتجاهلت انها سبية . مصيرها في كف يزيد، وتجاهلت ان يزيد يتسلم عرش الخلافة الاسلامية .

تجاهلت كل تلك الحقائق وتذكرت ضرورة الدفاع عن الحق بالتوكل على الله وحده ، والثقة بنصره . فألقت خطاباً هز عرش يزيد ، هزاً عنيفاً وثور بعض الجالسين حول يزيد عليه ، قالت فيما قالت في الخطاب :

اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة .

ثم قالت :

ولأن جرت علي الدواهي مخاطبتك اني لاستصغر قدرك واستعظم

تقريعك واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى والصدور حزنى .

فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا

تلك كانت شجاعة الانبياء ورثتها زينب من جدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . وأرادت ان تورثها لنساءنا ، الا يخضعن لاية قوة ارضية تريد ان تسحق القيم او تلعب بالمقدسات .

ولكي لا تقول نساؤنا اليوم وغداً ان الله قد اسقط عنا الجهاد وحصره بالرجال من الامة جاءت زينب ، بتلك الامثال العملية ، في مدرسة كربلاء .

ولكن لا يتصور الصغار ان الخلق الرفيع من ميزات الكبار . . قام الاطفال بدور فعال في ملحمة كربلاء وخلفوا لاشبالنا اليوم ـ وغداً ـ الف درس ودرس في الشجاعة والتضحية والوفاء ، والصبر . بعد الغروب من ليلة عاشوراء ، اجتمع الاطفال في ناحية من الصحراء . . ذكريات الدم والجراح . ، طرية في اذهانهم ، السنتهم لا تكاد تتحرك من هول المأساة . شفاههم ذابلة من العطش ولكن عيونهم ترفض النوم . .

جاء اليهم واحد من جيش العدو . يحمل الماء ، قدم الكأس الى واحد منهم ، فرفض ان يشرب وقال : كيف اشرب وقد قتل ابن بنت رسول الله عطشاناً ؟

والثاني رفض ايضاً رغم شدة عطشه . وكذلك الآخرون بيد ان الطفل الاخير الذي كان اصغرهم سناً ، اخذ الكأس . فنظر اليه الآخرون شذراً . . ولكنه لم يشرب انما قام يركض الى المعركة . قال له الرجل الى اين . . قال ان ابي قد صرع هناك . يعاني من العطش احمل اليه الماء .

لقد كانت تربية الصالحين لاولادهم ، مثالية فعلاً حتى جعلت من الأطفال ابطالاً مضحين فعلاً .

لقد اشترك كثير من الاطفال في المعركة العسكرية وقاتلوا بشجاعة . وقتلوا لاعداء ثم صرعوا شهداء في الله . وورثوا ابنائنا درساً عظيماً في

التضحية هو انها لا تعرف حدود العمر ابداً .

وجنباً الى جنب الطبقة الراقية في المجتمع ، قامت ابناء الطبقات الدنيا في مفهوم ذلك العصر بدورهم في الجهاد .

فالعبيد لعبوا دوراً بارزاً في المعركة ليحققوا مفهوم المساواة أمام الله ، وفي معركة الحق والباطل .

كان جون ـ واحداً من اولئك العبيد ـ الذين اشتركوا في الحـرب ، وقاتلوا بشجاعة نادرة وقتلوا .

وحين صرع احد العبيد اسرع الى مقتله الامام الحسين (عليه السلام) ليؤكد مبدأ المساواة ، التي جاءت بها الرسالة الإسلامية تحت شعار : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وليس عجيباً مجيء الإمام الحسين عند هذا العبد المجهول الاسم ، بقدر ما هو عجيب احتفاء الحسين به بذات الطريقة التي احتفى بابنه علي الاكبر : حيث وضع خده على خده ، ورثاه عند مصرعه بمرارة .

ان اشتراك العبيد مع الاحرار ، والنساء مع الرجال ، والصغار مع الكبار في ملحمة كربلاء جعلت منها مدرسة متكاملة للتربية الجهادية ، وحولتها من مأساة الى مسيرة ، ومن معركة واحدة بين الحق والباطل الى شعار عريض لكل معركة تقع بين حق وباطل على امتداد الزمان[1]

(١) الامام الحسين : مسيرة ثورية وهدف مقدس .



الخطوط الأولى . . . . .
لفجر الثورة



الثورة . . .
تصميم وطهر . .

التصميم والطهر : صفتان متلازمتان ، للثورات المقدسة في مراحل التصحيح .

فلا ينفع التصميم ، إذا لم يرافقه الطهر . ولا ينفع الطهر إذا لم يرافقه التصميم .

فكيف كانت ثورة الامام ، في التصميم ؟

وكيف كانت في الطهر ؟

الغريب في تصميم الثورة ، إن الإمام كان يعرف ـ حسب الأوضاع الاجتماعية التي كانت قائمة آنذاك ـ أنه يقدم على الموت ، وأن نجاح ثورته باستلام الحكم أمرٌ غير وارد على الاطلاق .

وقد صرَّح بذلك ، مرات عديدة :

فعندما وقف خطيباً في مكة قبيل تحركه المسلح ، وقال :

« الحمد لله . وما شاء الله . ولا قوة إلا بالله .

« وصلى الله على رسوله .

« خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة . وما أولهني إلى اسلافي ، اشتياق يعقوب إلى يوسف !

« وخيرٌ لي مصرع أنا لاقيه » .

ثم سكت لحظات . عاد بعدها إلى القول :

« كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات ، بين النواويس وكربلاء ، فيملآن مني أكراشاً جوفاً ، وأجربه سغباً . لا محيص عن يوم خط بالقلم .

« رضا الله رضانا أهل البيت . نصبر على بلائه ، ويوفينا اجور الصابرين .

« لن تشذ عن رسول الله لحمته ، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس ، تقربهم عينه ، وينجز بهم وعده » .

وأضاف :

« ألا . . ومن كان باذلاً فينا مهجته ، وموطناً على لقاء الله فليرحل معنا ، فانني راحل مصبحاً انشاء الله » .

وعندما جاءه الناس يمنعونه من الرحيل الى الكوفة محذرين إياه ، من القتل ، قائلين :

« إنا نشفق عليك من الوجه الذي توجهت اليه أن يكون فيه هلاكك . . . »

كان جوابه ـ بالحرف الواحد :

« شاء الله ان يراني قتيلاً » .

فالله هو الذي أمره بالتحرك الثوري ، فهو إذن يريد منه أن يصبر على الموت والقتل .

ولما قال له بعضهم :

« أيقتلك يزيد ؟ . »

أجاب :

اما علمت ان من هو ان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا اهدى الى بغي من بغايا بني اسرائيل ؟

ومثل هذا التصميم البطولي ، على تنفيذ ثورة مسلحة ، رغم العلم الواضح بنتيجته ، نوع فريد لم يسبق له مثيل . إلا أنه ضروري في أية ثورة . . .

مستحيل أن تنطلق ثورة ، إلا إذا كان رجالها مصمّمين على المضي على الطريق مهما كلّف الأمر . . وحتى مع العلم بالموت في بعض الأحيان . .

هذا من حيث التصميم . .

وأما من حيث الطهر ، فإن الذي يظهر لكل من يبحث في تاريخ ثورة الإمام ، أن الحسين ، وأصحابه كانوا ملتزمين بالطهر ، وان مواقفهم منذ اللحظة الاولى ، وحتى اللحظة الأخيرة كانت لا تحيد عن ذلك . .

وهاكم الأمثلة .

ـ ان الطاهر يكون ـ عادة ـ صريحاً فلا يخادع ، ولا يراوغ ، لأن المراوغة ، والخداع لا تلائمان طبيعة « الطاهر » .

لقد كان بامكان الإمام ، وهو يثور على يزيد بن معاوية ، الذي كان ٩٩ ٪ من الناس يعارضون خلافته الى حد أن أباه استعمل في تثبيتها السيف والذهب . فانفق الملايين وهدّد بالقتل من لا يرضى ، لقد كان بامكان الإمام أن يكسب أكبر عدد ممكن من هؤلاء المعارضين لو أنه كان يراوغ . .

ولكنه بدل ذلك ـ يصرح لهم « بأنه مقتول لا محالة ، وان هناك مضجعاً خير له ، ولا بد أنه لاقيه » و « أنه من كان مستعداً للموت ، باذلاً مهجته ، فليأت معنا . . » .

كان باستطاعته ان يمني الناس بالأموال ، والمناصب ، وان يوزع عليهم الوعود . .

ولكنه لم يفعل . .

ـ وكان بامكانه عندما واجه طلائع جيش الكوفة بقيادة « الحر بن يزيد الرياحي » أن يكسب قائد الجيش إلى جانبه بكل يسر ، إذا كان يمنيه

المناصب ، ويحاول خداعه . . خاصة وان الحر كان يثق بالإمام الى درجة انه رفض ان يصلي الجماعة مع جنوده ، ما دام ان الإمام كان ينوي امامة جنوده ، فصلى بصلاة الإمام . .

ـ وكان باستطاعة مسلم بن عقيل ان يقضي على خصمه : عبيد الله بن زياد ، يوم جاء هذا الأخير لزيارة هاني بن عروة ، وكان مسلم بن زياد ينزل عنده حينئذ . .

ورغم الحاح هاني على مسلم باغتيال عبيد الله ، وتهيئة مخبئاً خاصاً لتنفيذ عملية الاغتيال بكل سهولة ويسر ، فان مسلم رفض هذا الاسلوب ، ما دام انه يقوم « بثورة مقدسة » وقال قولته الشهيرة :

ـ **سمعت رسول الله يقول** : المسلم لا يغدر .

ان مسلم ، كان يحقق نصراً محتّما على السلطات ، لو انه كان ينفذ ما أوصاه هاني ، بل ان الثورة كانت تكسب السيطرة على العراق كله ، بهذا الاغتيال .

ولكنه لم يفعل . .

كان الإمام يصرح بخطته الثورية : هو ذاهب الى الكوفة حتى يستلم السلطات استجابة لرغبة الجماهير هناك . .

وكان التصريح بهدفه يحمل مخاطر كثيرة . ولكنه لم يكن يريد أن يصاحبه الناس ، من أجل شيء مجهول .

ولو كان يراوغ ، ويناور ، لاختفى فجأة في مكة ، ثم دخل الكوفة ملثمًا ، وجمع الأنصار والرجال ، واقتحم قصر الامارة ، ووعد الرؤساء بالمناصب ، ووزع الدراهم والدنانير ، وخوَّفهم بجيوش تتحرك من هنا وهناك لنصرته ـ تماماً كما فعل عبيد الله بن زياد ، حينما دخل الكوفة ملثمًا ، فظنه الناس انه الإمام الحسين .

ولكنه لم يفعل . .

لا لأنه لم يكن يعرف كيف يكتم خطته ، وهو الذي عاصر رسول الله ، وعاصر الحكومة التي تعاقبت بعد وفـاته ، وهي خمس حكـومات : حكومة أبي بكر ، وحكومة عمر ، وحكومة عثمان ، وحكومة الإمام علي ، وحكومة معاوية .

إذا هو كان يعرف الخطط السرية لاستلام الحكم ، ان لم يكن بعلم الإمامة ، فبعلم التجربة . .

ولكنه لم يفعل ، لأن عنصر الطهر كان يعنيه أكثر من حياته .

رسالته كانت تتطلب الصدق ، والصراحة ، والطهر .

ولذلك فإن العدو كان يعرف كل شيء عن تحركه ، واين وصل ! ومن معه ؟ رغم صعوبة المواصلات يومئذ ، وانعدام شبكات الاستخبارات .

وفي الطريق الى كربلاء كان يكشف كل شيء لأصحابه ، ويصارحهم بلا مواربة . فكان يكشف لهم عن الهزائم التي كانت تلحق بأصحابه ، لكي لا يتبعه أحد من أجل المجهول فيكون مخدوعاً . .

فقد التقى بمسافرين قادمين من العراق ، فاستخبرهم الإمام عن الكوفة وكان عليه السلام يجلس مع أصحابه في الخيمة . فقالا له :

ـ أبا عبد الله . . ان عندنا خبر الكوفة ، ان شئت حدثناك به سراً ، وان شئت حدثناك به علانية ؟

فقال الإمام بكل ثقة :

ـ مالي دون هؤلاء من سرّ ! .

فهو لا يخفي شيئاً عن أصحابه ، لأنه طاهر لا يحب الخداع والمؤاربة ، فإخفاء اخبار الهزيمة والاقتصار على اخبار الانتصارات غير وارد لدى الامام .

وكان الخبر الذي حدثوه به « علانية » خبر مقتل مسلم بن عقيل الذي كان بمثابة انذار من مواصلة الطريق إلى الكوفة ، ما دام مبعوثه الشخصي قد قتل ، وسحبت جثته في الأسواق .

ولكن لم يُحدث الخبر اي ارتباك في تصميمه ، وإنما زاده ثقة في ضرورة الثورة ضد النظام فقد قال له :

« رحم الله مسلمًا ، فلقد صار الى روح الله وريحانه وتحياته ورضوانه .

« أما إنه قضى ما عليه ، وبقي ما علينا . ولا خير في الحياة بعد هؤلاء . » وزيادة في الصراحة ، جمع الإمام رجاله وأصحابه ، وقال لهم :

« ايها الناس . . قد أتاني خبر فظيع ، عن أبن عمي مسلم بن عقيل ، يدل على ان شيعتنا خذلتنا ، فمن منكم يصبر على حرّ السيف ، وطعن الأسنة فليأت معنا ، وإلا فلينصرف . . »

وانصرف كثيرون . .

وهنا قد يبرز سؤال ، هو :

ان تصريحات الإمام هذه تدل على انه لم يكن يبحث عن نجاح ثورته ، لأنها تخالف ابسط قواعد البحث عن النجاح . فهل كان الإمام يبحث عن موته ؟

والجواب . .

إن الإمام كان يبحث عن النجاح ، ولكن ليس على حساب الطهر .

كان الطهر يعنيه قبل أيّ شيء آخر . لسبب بسيط ، هو انه كان يصنع « ثورة مقدسة » بكل ما في القدس من طهر . وكان إذا تناقض النجاح مع الطهر يضرب بالنجاح عرض الحائط ، ويلتزم بجانب الطهر .

كان دائمًا لا يريد ان « يتورط » معه أحد ، فيصرح لأصحابه عن النتيجة . . عن الموت . . عن المعركة .

في مساء اليوم التاسع من المحرم ، بدأ جيش العدو يتحرك باتجاه معسكر الإمام ، فأرسل اخاه العباس بن علي ، ليتفاوض معهم على ارجاء القتال يوماً واحداً . ليس لأنه كان يريد ان يزداد في عمره يوماً آخراً ـ وهو الذي قدَّم حياته كلها في اليوم التالي ـ ولا خوفاً من نتائج المعركة ـ وهو الذي

تنبأ بها من مكة ـ وإنما لسببين :

الأول ـ لكي يجد فرصة في الصلاة لله . والدعاء . وإنابة . فقد قال في رسالته التي طلب بها ارجاء القتال : « اطلب منهم سواد هذه الليلة لكي نصلي لربنا ، فوالله انه ـ تعالى ـ يعلم اني أحب الصلاة له . »

الثاني ـ أن يترك فرصة اخرى للذين خرجوا معه بأمل الحياة ، لكي يختاروا الاستمرار معه ، أو العودة من حيث جاءوا .

وهكذا فانه جمعهم في الليل ، وقام فيهم خطيباً :

« ألا . . واني لا أظن يوماً من هؤلاء إلا غداً . واني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً فأنتم في حل مني ، ليس عليكم مني ذمام . . .

« وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً خيراً . . » .

وأضاف :

« تفرقوا في سوادكم ومدائنكم ، فان القوم إنما يطلبونني ، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري . . »

وكان يقصد من وراء ذلك اعطاء فرصة أخيرة للذين خرجوا من بلادهم من أجل مناصب في الكوفة ، حتى يعودوا وينجوا بانفسهم من موت بات محققاً .

إذن فالإمام لا يريد ان يخدع أحداً . . ويترك المجال أمام كل من افتكر انه مخدوع ، لكي يعود .

من هنا . . فاننا نستطيع ان نقول ان ثورة الامام كانت اطهر ثورة عرفها التاريخ .

ان الثورات تتنوع ـ عادة ـ الى نوعين :

١) الثورات العادية ، وهي التي تهدف تحطيم كيان ، واقامة كيان آخر

بدلاً عنه .

٢) الثورات المقدسة ، وهي ايضاً تهدف تحطيم كيان ، واقامة كيان آخر بدلاً عنه ، ولكنها تختلف عن الثورات العادية ، في انها تلتزم بالنقاء والطهر ، وترفض المراوغة والمؤاربة .

وثورة الإمام كانت من النوع الثاني .

انها كانت ثورة مقدسة ، فلا نجد فيها أي شذوذ أو انحراف ، في أي جزء من أجزائها .

فهي من حيث الأفراد : طاهرة . فلا يوجد بين رجالها رجل واحد شاذ ، أو غير مؤمن ، أو منافق ، أو ذو هدف دنيوي ، أو أيّ شيء مماثل .

وهي من حيث الأحداث : طاهرة ايضاً . فلا يوجد فيها « ظلم » لبريء ، أو مخالفة لحق . ولا أي انحراف عن المبادىء .

ولأن رجال ثورة الإمام كانوا ـ كاحداثها ـ طاهرين ، فقد قال الإمام كلمته الشهيرة عنهم :

« الا . . . واني لا أرى أصحاباً أبرّ ، ولا أوفى ، ولا خيراً من أصحابي » . لأن أصحابه كانوا على قلب واحد ، ونية واحدة ، وهدف واحد . الإمام أرادهم كذلك : يغتسلون في الطهر والقداسة ويترفعون على الشذوذ ، والانحراف . وقد قام الإمام بعملية « غربلة » لأصحابه ليلة عاشوراء أبعد خلالها كل من لم يكن طاهراً ، أو غير هادف ، أو طالب دنيا .

انه كان يريد « ثورة طاهرة » لأنه كان يعتقد ان الطهر جزء من صميم الثورة . ولذلك فقد أصر على الطهر ، حتى وان جاء ذلك على حساب انتصاره . .

ان الانتصار كان ملء يد الإمام في جميع لحظات المجابهة بمع يزيد ، إذا كان مستعداً أن تنازل عن الطهر ، ويضع يده المقدسة ، في يد يزيد الظالم ،

راكب الفجور ، قاتل النفس المقدسة .

ولكن . . حاشاه . وهو بطل القديسين ، وقديس الأبطال .

حاشاه ! .

الثورة . .
شجاعة وحب . .

الشجاعة ، شجاعتان :

شجاعة تجريد السلاح ، واطلاق النار - وهي شجاعة يمكن أن يمارسها ايضاً المغامرون ، والمجرمون ؛ والطغاة . .

وشجاعة اتخاذ القرار ، والصمود على موقف - وهي شجاعة انسانية تمتزج عادة بالحب العميق حتى للذي تقاومه .

ان المؤمن - في الإسلام . . لا يحقد على أحد . فهو ليس عدواً للأفراد . وإنما هو عدو للمواقف . فإذا تحول الفرد من موقف دنيء ، إلى موقف شريف ، تحول المؤمن من معادي إلى أخ .

فلا صداقة دائمة .

ولا عداوة دائمة .

بل « قيم » دائمة .

من وقف مع القيم : فالصداقة معه مرتبطة بوجود تلك القيمة . ومن خالف القيم : فالعداء معه مرتبط بوجود حالته السلبية تجاه القيمة .

ان النبي قبل توبة « وحشي » قاتل حمزة - مع ان مقتل حمزة آلمه جداً جداً . .

والإمام الحسين قبل توبة « الحر » - مع ان موقف الحر هو الذي أدّى به إلى الموت . .

هذه هي الشجاعة : ان تكون مواقفك مع مبادئك ، وان يكون لك صمود الأبطال ، مع حب العاشقين .

وماذا عن الحب ، والشجاعة في ثورة الإمام ؟

لنرى . .

أن تحب أقربائك ، ليس غريباً .

وأن تحب أصدقائك ، ليس غريباً .
وأن تحب من لا يحقد عليك، ليس غريباً أيضاً.

وأن تحب من يحقد عليك ، ولكنه يكتفي بالحقد الدفين ، ليس غريباً كذلك . .

فكل هذا ممكن . .

ولكن ان تحب عدوك الذي يشهر في وجهك السيف ، ويتلهف على قتلك : هذا هو الحب العظيم الذي كان يفيض من قلب الإمام الكبير الكبير . .

انه لم يكن يحقد على افراد ـ ولذلك حاول ان يهديهم ويرشدهم ـ وإنما كان يكره المنطلقات التي حولت اعداءه من افراد طبيعيين ، إلى وحوش كواسر . .

ها هو يخرج صباح عاشوراء الى الساحة ، ويستعرض عدوه الذي ملأ الصحراء ثم يبكي . .

ويطيل البكاء . .

ويظن الحاضرون انه يبكي تفجعاً ، أو حقداً ، أو غربة . ولكنه يوضح لهم ان بكائه إنما هو من الحب . .

انه يحب هؤلاء ، ولذلك فهو يتألم كيف انهم يتشترون غضب الله ، ونار جهنم باقدامهم على قتله . ؟

يبكي لأنهم يدخلون النار بسببه !

هذا ما يؤلمه ، ويبكيه . !

.. وها هو : يبكي مرة اخرى عندما يسقط على الأرض خمسون رجلاً من أصحابه ، فيضرب يده على لحيته الشريفة ، ويقول :

« إشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً .

« وإشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة .

« وإشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه .

« وإشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيّهم .. »

أليس هذا أليمًا : ان يتساوى المسلم مع اليهود والنصارى والمجوس . ؟

.. هذا عن حب الثورة .

فماذا عن شجاعتها ؟

أول عملية عسكرية قام بها جيش العدو يوم عاشوراء كانت عبارة عن : هجوم مفاجىء وشامل بالسهام على معسكر الإمام ، وذلك تمهيداً لهجوم كبير بالسيوف والرماح .

كم كان عدد « النبأَلة » المهاجمة ؟

لا يذكر التاريخ ..

ولكنه يذكر ان السهام جاءت « كالمطر ، فما كان من أصحاب الحسين رجل إلا وأصابه سهم » .

المهم : ان الإمام عندما شاهد المجموعة الاولى من السهام تتطاير في السماء باتجاه معسكره ، صاح بأصحابه :

« قوموا رحمكم الله ، الى الموت الذي لا بد منه .

« فهذه السهام رسل القوم اليكم . . »

وقاموا اليها ليجيبوا النداء . .

فهجم جيش ابن سعد هجمة رجل واحد ، على الطريقة التي كانت متبعة آنذاك ، أي طريقة الكرّ والفرّ .

ولم يكن الهدف من هذا الهجوم الشامل القضاء على معسكر الإمام بكامله ، إذ لم يكن ذلك مستحيلاً عليهم ما دام ان ميزان القوى لم يكن متكافئاً : ثلاثون الفاً على الأقل على ١٠٠ رجل على الأكثر .

ولكن طريقة الحرب يومذاك كانت تسير بالشكل التالي :

١) يقوم الجيش بهجوم شامل على العدو ، ويهدف من وراء ذلك : كسر شوكته ، وشل قواه .

٢) ينسحب المهاجم بعد فترة محدودة ـ حسبما يراها كافية لإضعاف قوة العدو .

٣) تعطى فرصة استراحة .

٤) تبدأ مرحلة الحرب الانفرادية أي : « واحد مع واحد » .

وتستمر هذه المرحلة إلى انتهاء المعارك لصالح أحد الطرفين .

وهذا لا يعني ـ بالطبع ـ ان الجيش ، أو بعضه ، لا يقوم بأية هجمات خلال المرحلة الأخيرة ، ولكن يعني انه لن يحاول القضاء على آخر رجل بهجمات شاملة .

ولقد كانت حصيلة الهجوم الشامل للعدو على جيش الإمام في بداية المعركة خمسون شهيداً . .

وبقي معه أقل من خمسين . .

فطالبه العدو بالاستسلام . . ولكنه أجاب :

« أما والله . . لا أجيبهم الى شيء مما يريدون حتى ألقى الله مخضباً بدمي . . »

ويذكر التاريخ : انه كلما كان يسقط شهيد على وجه الأرض كان يزداد وجه الإمام تلألؤاً . لأن سقوط كل شهيد كان يعني بالنسبة له خطوة نحو الشهادة . .

ولذلك فانه كان يستبشر بالموت !

وتزداد شجاعته .

ويصف احد أعدائه حالته ـ بعد مقتل كامل رجاله ـ فيقول :

« والله ما رأيت قبله ، ولا بعده مثله . ان كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدَّ فيها الذئب . . »

ويصفه أيضاً في آخر لحظة من حياته فيقول :

« كنت واقفاً نحو الحسين ، وهو يجود بنفسه ، فوالله ما رأيت قتيلاً قط مضمخاً بدمه ، أحسن منه وجهاً ، ولا انور ، ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله . . »

وتلك هي الشجاعة . أن تتخذ القرار بوعي كامل ، وبعد دراسة كافة الاحتمالات الواردة ، ثم تتخذ موقفك وتصمد حتى آخر نفس ، من دون أن تتذمر، أو تشكو ، أو تلين . .

الثورة ..
تخطيط وتنفيذ ...

طريقة الإمام الحسين في صنع ثورته كانت فريدة في نوعها :

ان ساعة الصفر في هذه الثورة ، كانت معروفة لدى الجميع .

ومكان تفجير الثورة ايضاً كان معروفاً هو الآخر لدى الجميع .

ونتيجة الثورة كانت معروفة كذلك للجميع !

فساعة الصفر : يوم عاشوراء .

ومكانها : كربلاء ..

والنتيجة : مقتل الإمام الحسين مع كل الرجال ، وسبي اخته « زينب » مع كافة النساء .

كل من كان يواجه الإمام ، وهو يخرج إلى الكوفة ، كان يحذره من الموت ، فالحسين يقتل :

لقيه الشاعر المعروف : الفرزدق ـ وهو من يعرف جيداً طبيعة بني امية لأنه كان شاعرهم ـ فسأله الإمام :

ـ كيف خلّفت الناس وراءك ؟

فأجاب :

« قلوبهم معك ، وسيوفهم عليك ، ولله الأمر ، والله يفعل ما يشاء . »

فقال له الإمام :

« صدقت ، لله الأمر والله يفعل ما يشاء ، وكل يوم ربنا في شأن . ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه ـ وهو المستعان على اداء الشكر ـ وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته ، والتقوى سريرته . . » ولقيه أعرابي فقال له :

« يا بن رسول الله ، ما الذي أخرجك من حرم الله ، وحرم جدك محمد . ؟ » فأجابه الإمام :

« إن بني امية أخذوا مالي فصبرت . وشتموا عرضي فصبرت . وطلبوا دمي فهربت . وايم الله لتقتلني الفئة الباغية ، وليلبسهم الله ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، وليسلطنَّ الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ . . »

إن روح التضحية والثورة ، ماتت في النفوس ولذلك فقد انعدمت الرابطة بين « ما يؤمنون » وبين « ما يفعلون » فالقلوب يمكن أن تكون مع شخص بينما سيوفهم تكون عليه !

لقد تعودوا على الدنيا . .

وعندما يتعود الناس على الدنيا يدمنون عليها ، فلا يستطيع « أوضح » حق أن يشدهم إلى موقف . بينما يستطيع «أظلم » باطل أن يحملهم على مواقف . .

وتلك هي المشكلة التي واجهت الإمام . .

الايمان العملي : أعطى مكانه للعقيدة الفارغة . وانفصلت الدنيا عن الدين فاصبح للاسلام مكان جيد في القلوب . سفرّ الى خارج الحدود في مجالات العمل . .

وفي مثل هذا الوضع : لا تستطيع الخطب ، والكلمات ، والنصائح ان تعمل شيئاً . بل لا بد من عمل ثوري ذو طابع ايقاضي ، ليضع الناس امام

ضمائرهم بكل قوة وليعيد اليهم روحهم الثورية .

فمن يقوم بهذا العمل غير الإمام الحسين : المؤتمن على رسالة الله ؟

من هنا كان جواب الإمام على سؤال : لماذا تخرج ؟ قوله :

« إن الله شاء ان يراني قتيلاً . »

فإذا سُئل :

فما معنى حملك النساء معك ؟

أجاب :

« إن الله شاء ان يراهن سبايا . ! »

فعمليتي : الموت والأسر ، وما يرافقهما من ايقاظٍ لوجدان النـاس ، الذين ماتت فيهم جذوة الثورة مما جعل الإسلام يواجه مشكلة من أخطر المشكلات وهي مشكلة تبدل مفاهيمه ، ومن ثم فقدان مبررات حضارته ، هاتان العمليتان كانتا ستمنع من انتكاسة الإسلام . وتعيد إلى الحياة روح الحضارة الاسلامية ، التي هي روح التضحية من أجل تحرير الانسان من العبودية ، ورفع مكانته ، وإسعاده .

ان كل حضارات التاريخ انما بدأت ، وقامت ، لوجود مبرّراتها وعندما كانت هذه المبررات تعجز عن تقديم مواقف عملية ، كانت الحضارات تسقط تباعاً . .

وواجه الإسلام مشكلة سقوط مبرراته . .

فالكثير بايعوا يزيد على العبودية ، وانجاز ما يريد ، من أي لون كان . فهم كانوا « يعرفون » و « يدرون » . ولكن ما كانوا يعملون أو يتصرفون ، كما تملي عليهم معرفتهم ، ودرايتهم .

فكانت ثورة الإمام . .

وكانت نتائجها ، وآثارها . .

ولكن القضية بحاجة الى شيء من التوضيح ، حتى تتوضح الصورة .

هناك قضيتان يجب البث فيهما بشكل منفصل :

الاولى - قضية المجتمع الذي قتل فيه الإمام .

الثانية - قضية خطة الامام في صنع الثورة .

١ . المجتمع الذي قتل الامام

هناك سؤال كبير يطرح نفسه بالحاح كلما جرى الحديث عن مقتل الإمام الحسين .

السؤال يقول :

لماذا حدث ما حدث ؟

وبعبارة اخرى كيف كان شكل المجتمع الذي قتل فيه الحسين ؟

ان قضية الإمام ، ليست قضية شخص كان له اعداء فانهالوا عليه وقتلوه . وإنما هي قضية قيم إنسانية سحقها البعض في وضح النهار ، وعلى رؤوس الأشهاد . فثار من أجلها الإمام الحسين . ذلك لأن الحسين ثار من أجل حق مظلوم . .

فكيف كانت طبيعة المجتمع الذي تم فيه مثل الإمام ، وكأنه نتيجة طبيعية لأوضاع معينة كانت تسوده في ذلك الوقت ؟

وما هي ملامح تلك الأوضاع ؟

١) من حيث علاقات الناس بعضهم ببعض :

كانت العلاقات السائدة هي علاقات عشائرية . والروابط التي كانت تربطهم ، كانت كأي روابط قبلية مماثلة : أبناء عمومة وخؤلة ، يدافع

بعضهم عن بعض[1] .

فهذا يدافع عن فلان ، لأنه من بني عمومته .

وفلان يخرج مع فلان للحرب ، لأن هذا الأخير من عشيرته .

وفي حكم العشائر يمكن تحريك العشيرة كلها إذا ما استطاع الانسان تحريك رئيسها : بالمال أو السيف .

ولقد فعل عبيد الله بن زياد ، الذي كلّف بالقضاء على الإمام ، ذلك . فأمر من ناحية بأن تزاد رواتب رؤساء القبائل بمقدار ١٠٠ درهم لكل شخص . . .

ووعد ـ من ناحية اخرى ـ كل رئيس قبيلة بمنصب مرموق ، وجائزة ثمينة ، إذا هو وافق على الاشتراك في محاربة الإمام . فكان من نصيب عمر ابن سعد ـ مثلاً ـ ان قطع له وعداً بمنحه منصب : « ولاية الري » وهي مدينة تقع جنوبي طهران ، مقابل رئاسته للجيش الذي يذهب لضرب الإمام . .

واشعار ابن سعد مشهورة في ذلك :

ووالله لا أدري واني لحائر افكر في أمري على خطرين

---

(١) ليس الإسلام ضد وجود العشيرة والقبيلة والاسرة، كأطار لجمع شمل الأفراد، ولتنظيم المجتمعات بل على العكس من ذلك فإن الإسلام يكرس الالتزام العائلي والأسري والقبلي أيضاً. . وإنما يشترط في ذلك «الالتزام» بمبادىء الحق والعدل التي جاء بها الإسلام. أي ان الإسلام يرفض قيم القبيلة والعشيرة في مقابل «القيم الاسلامية» ولكنه يقر التنظيم الاسري والعائلي وحتى أكبر من ذلك بشرط ان تكون القيم الإسلامية هي الحاكمة. . . بينما يكون التنظيم الاسري والعائلي اطاراً. . .

أما في عصر الإمام الحسين، فإن العشائرية والقبلية اصبحت تحزباً في مقابل تحزب الالتزام بالحق والعدل. . . ورجعت الجاهلية القبلية التي كانت ترى للفرد قيمة بمقدار ماله من عشيرة، وليس بمقدار ماله من حق. . . على العكس مما كان يريده الإسلام الذي يقول ـ على لسان الإمام علي ـ القوي العزيز عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف الذليل عندي قوي حتى آخذ الحق له!

ءأترك ملك الري والري منيتي ؟ أم أصبح مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمي ، والحوادث جمة ولكن لي في الري قرة عين
يقولون : ان الله خالق جنة ونار وتعذيب وغلّ يدين
فان صدقوا فيما يقولون ، انني أتوب إلى الرحمن من سنتين
وان إله الكون يغفر زلتي وان كنت فيها أرذل الثقلين
وان كذبوا فزنا بدنياً عظيمة وملك عظيم دائم الحجلين
ألا .. إنما الدنيا لخير معجل وما عاقل باع الوجود بدين !

والبيت الأخير من القصيدة ، تكشف عن العقلية التي كانت تتحكم على بعض العقول في ذلك الظرف : فالدنيا هي الخير الموجود .. هي اللذة الحاضرة .. هي اللحظة التي أنت فيها ، أما الآخرة فهي « دين » . ولا يجوز أن نبيع خردل لذة من « النقد » بقنطار ثواب من « الدين » .

وأستغل عبيد الله بن زياد هذه العقلية ، فمنح العطايا ووزع الوعود . وقال فيما قاله لهم :

« أيها الناس .. انكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه : محمود الطريقة يعطي العطاء في حقه . وقد أمنت السبل على عهده ، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره . وهذا ابنه يزيد يكرم العباد ويغنيهم بالأموال . وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة ، وامرني ان اوفرها عليكم وأُخرجكم الى حرب عدوه : الحسين ، فاسمعوا له واطيعوا » .

هذا في جانب الترغيب .

واما في جانب التهديد : فقد أصدر ابن زياد مرسوماً نادى به المنادي الرسمي من قبل السلطة : ان برئت الذمة ممن وُجد في الكوفة ، ولم يخرج لقتال الحسين .

واكدَّ هذا المرسوم بمرسوم آخر يقول : « لقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتمتم على حربه ، ولم تنصرفوا من عشيتكم هذه ان يحرم ذريتكم العطاء ، ويفرق مقاتليكم في مغازي الشام من غير طمع ، ويأخذ البريء بالسقيم ،

والشاهد بالغائب حتى لا يبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا اذاقها وبال ما جنت » .

وبالاعتماد على هذا المرسوم أصدر أمراً باعتقال كل رئيس قبيلة لا يوافق على الخروج لقتل الإمام . كما أصدر امراً بقتل كل فرد عادي يمتنع عن الانخراط داخل الجيش الذاهب الى كربلاء . .

وأحصى المؤرخون الذين دخلوا السجن لامتناعهم الحرب مع الإمام بـ ٤٠٠ رجل ، بما فيهم المختار الثقفي .

كما انهم ذكروا عدة حوادث جرى فيها قتل بعض الأبرياء « العاديين » لأنهم لم يخرجوا مع ابن سعد . .

فمرة اعتقلوا شاباً كان يمشي في شوارع الكوفة ـ في الوقت الذي خلت الكوفة من أي شاب يستطيع حمل السلاح ـ فحملوه الى عبيد الله بن زياد . فسأله عن سبب وجوده في الكوفة في هذا الوقت ؟

فأجاب : « أين تريدني ان أكون ؟ »

قال : « مع ابن سعد ، لقتل الحسين » .

قال الشاب : « أصلح الله الأمير . . أنا رجل شامي ، ولا أعرف ابن سعد ، ولا الحسين ، جئت إلى هنا لأستوفي ديناً لي على رجل من أهل الكوفة . . »

ولكن ابن زياد لم يقتنع بهذه الحجة . فأمر بقتل الشاب ، وتعليق جثته على مشنقة وسط الكوفة ، وقال ـ بالحرف الواحد :

ـ اقتلوه . . ففي قتله تأديب لمن لم يخرج بعد !

وقد كان الذين حضروا مقتل الإمام ، ينظرون الى الحرب القائمة بينهم وبين الإمام ، على انها حرب بين « ابناء عمومة » وهم قد أخذوا جانب طرف منهم ، وهو جانب يزيد .

وكانوا يقولون للامام :

« أفلا تنزل على حكم بني عمك ؟ . فانهم لن يروك إلا ما تحب ، ولن يصل اليك منهم مكروه . ! »

كأن القضية هي قضية عشائرية ، وتتلخص في : إن يزيد حصل على السلطة . والإمام لم يعجبه ذلك ، فثار عليه وها هم يريدون إجباره على الخضوع لأوامر العشيرة التي قبلت يزيد حاكمًا ، وسلطاناً . !

وليلة العاشر من المحرم ، سمع الحاضرون في معسكر الإمام ، من ينادي :

ـ أين بنو اختنا ؟ أين بنو اختنا ؟

وكان الصوت ، صوت شمر بن ذي الجوشن الذي كانت تربطه بالعباس ابن علي (ع) قرابة من جهة « ام البنين » ام العباس .

ولكن أحداً لم يجبه . فقد رفض العباس أن يجيبه ، حتى تدخل الإمام ، وطلب منه ان يجيبه .

جاءه العباس ، ومعه بعض اخوته ، وسألوه عما يريد فقال :

« أنتم يا بني اختي آمنون . وها هو أمان عبيد الله بن زياد بيدي . . »

وظن ان العباس مثله لا يؤمن بيوم الحساب ، ولا يفهم الرسالة ، والوفاء ، والثورة .

وكان جواب العباس :

ـ لعنك الله . ولعن أمانك ـ لأن كنت خالنا ـ أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ؟

وقضوا راجعين الى الخيمة !

هذه هي العقلية العشائرية التي كانت تحكم الناس .

وواضح ان طبيعة المجتمع العشائري نابعة من طبيعة الخضوع لغير الله ، حيث انها تقوم على أساس « القرابة » و « البطون » وليس على أساس

الكفاءات ، والالتزام بالمبادىء .

فالولاء لغير الله يؤدي الى الولاء للعشيرة ، او القبيلة ، أو ما شابه ذلك من الحبال الزائفة ، البديلة عن حبل الله المتن .

ولقد كان المجتمع الذي قتل الإمام يعقد حبل ولائه لغير الله ، ومن هنا نشأت مشكلة اخرى هي مشكلة انعدام الضوابط ، إذ عندما تنفرط القيم ، فان المجتمع ككل يفقد روح الانضباطية ، لأن الانضباط يأتي من الخضوع لقيم سلطة عليا . فإذا لم يؤمن الناس بسلطة الله فانهم مجبورون للخضوع لسلطة رئيس القبيلة ، او رئيس العشيرة . وهي سلطات مزيفة ، تسوق الانسان الى الهلاك . .

ولكن من يفهم ذلك قبل أن يهلك ؟

وبعد ان يهلك ماذا ينفع الندم ؟

٢ ـ من حيث علاقات المتنفذين في المجتمع بالحكام :

كانت علاقة المتنفذين في المجتمع بالحكام في عصر الإمام ، علاقة الطاعة المطلقة لمن يستطيع ان يركب العرش : لا فرق ان كان قديساً أم شيطاناً . . .

فإذا ما وصل أي انسان الى ذلك المكان المسمى « قصر الامارة » أو « كرسي الحكومة » فانه كان يصبح مالك العباد والبلاد .

والمتنفذين كانوا يطيعون الحاكم مع قطع النظر عما يقرره ، أو يفعله ، كأن الطاعة قدر مقدور لهم ، لا مفر منه .

فما دام ان الحاكم أصبح حاكماً يناديه الناس بالحكومة والامارة فعلى الجميع طاعته .

يلتقي أحد أصحاب الإمام ـ واسمه المهاصر ابو الشعثاء ـ بأحد أصحاب عبيد الله بن زياد فيقول له ـ مستنكراً عليه خروجه ضد الإمام :

« وما جئت فيه ؟ ! »

فيجيبه الرجل :

« وما جئت فيه ؟ أطعت إمامي ، ووفيت ببيعتي » .

فيقول له ابو الشعثاء :

« عصيت ربك ، وأطعت إمامك في هلاك نفسك . . كسبت العار والنار . . . قال الله تعالى : وجعلنا منهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينظرون فهو امامك » .

ولكن الرجل لا يعتني بذلك السبب في الاطاعة العمياء للحكام فيرجع إلى عاملين :

الأول ـ مجموعة الأحاديث الموضوعة عن لسان رسول الله من اجل تكريس سلطات الحكام ـ مع قطع النظر عن إلتزاماتهم الفكرية والاخلاقية ـ والتي تؤكد كذباً على ضرورة إطاعة الحكام حتى الظالمين الفاسقين الذين لا يستحقون غير القتل والسحل . مثل الحديث الذي يقول : « سيليكم ولاة بعدي ، فيليكم البرّ ببرِّه ، والفاجر بفجوره ، فاسمعوا لهم واطيعوا في كل مواقف الحق ، وصلّوا ورائهم . فإن أحسنوا فلكم ولهم ، وان أسائوا فلكم وعليهم » (. . .) ومثل الحديث : « الحديث من رأى من أميره شيئاً فكره ، فليصبر ، فإنه ليس أحد بفارق الجماعة شبراً إلا مات ميتة جاهلية » .

الثاني ـ ان المجتمع كان يعاني من عقدة الخوف التي زرعها فيه معاوية ، حيث غسل دماغه بعمليات ارهابية منظمة على طاعة الأمير أي امير ، وعلى عدم التدخل . . .

ولذلك فانهم ما كانوا راغبين في مشاركة الحكام فيما هم فيه من خير أو شر . وإنما كانوا منهمكين في تأمين دنياهم . حتى انه يوم احتدت المجابهة بين مسلم بن عقيل ، وابن زياد أخذ الناس يتفرقون عن مسلم ـ رغم مبايعتهم له ـ وكل واحد منهم يقول للآخر :

« ما لنا والدخول في امور السلاطين ؟

ولما سألهم الإمام الحسين يوم عاشوراء أن يحاكموا إلى القرآن حينما أخذ قرآناً ونشره على رأسه ، وصاح فيهم :

« يا قوم إن بيني وبينكم كتاب الله ، وسنة جدي رسول الله . . »

رفضوا الانصياع له . ولما سألهم عن السبب لم يزيدوا على قولهم :

« طاعة منا للأمير عبيد الله بن زياد . . »

فما دام ان عبيد الله « أمير » فان له عندهم طاعة مطلقة حتى في مثل قتل الحسين ؟

ومن جهة اخرى : فان الناس ـ في عصر الإمام ـ تعودوا بفعل نفس العامل على عدم ممارسة مسؤولياتهم في تصحيح الانحراف ، وردع المنحرفين ، إذا كان الانحراف يجري على مستوى السلطات الحاكمة .

فروح التصحيح كانت ميتة في الامة آنذاك ، وكانت لموت هذه الروح آثار سيئة من جملتها موت روح الجهاد كهدف مقدس ، وإلى حرية الناس ، ورفاهيتهم . .

وموت هاتين الروحيتين ، كان نتيجة عمليات معاوية التي نكل بكل من عارضه ووضع قانوناً يعتبر معارضة السلطات بمثابه الخيانة العظمى يعاقب عليها بالموت .

هذا هو الوضع الذي كان قائماً : علاقات عشائرية تحكم المجتمع وعلاقة الطاعة العمياء تربط المتنفذين فيه بالحكام . اضافة الى فقدان الروح الجهادية .

ولقد أشار الإمام الى هذا الوضع ، يوم خاطب جيش الكوفة في صحراء القادسيات بقوله :

« أيها الناس . .

« ان رسول الله قال : من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالأثم

والعدوان ، فلم يُغيّرّ عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله ان يدخله مدخله » .

« ألا . . وإن هؤلاء (أتباع النظام) قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، واحلّوا حرام الله ، وحرموا حلاله ، وأنا احق من غيّره . . »

كما أشار اليه ايضاً في يوم عاشوراء ـ حيث قام خطيباً في جيش العدو . وقال :

« تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً . . »

« أحين استصرختمونا والهين (متحيرين) فأصرخناكم موجفين (مستعدين) سللتم علينا سيفاً في أيمانكم ، وحششتم علينا ناراً إقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل افشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم إلا الحرام من الدنيا أنالوكم ، وخسيس عيش طمعتم فيه ؟ ! »

فهلاّ لكم الويلات إذ تركتمونا والجأش طامن ، والرأي لما يستحصف ؟ ولكن اسرعتم عليها كطيرة الدبا ، وتداعيتم اليها كتداعي الفراش .

« فقبحاً لكم . فإنما انتم من طواغيت الامة ، وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ، ومحرفي الكلم ، ومطفئي السنن » .

« ويحكم أهؤلاء تعضدون ، وعنا تتخاذلون ؟ »

« أجل والله غدر فيكم قديم ، وشجت عليه اصولكم ، وتوارثته فروعكم ، فكنتم أخبث ثمر للناظر ، وأكلة للغاصب » .

« ألا . . وان الدعيّ بن الدعيّ قد ركّز بين ثنتين : بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة يابى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ! »

« ثم أيم الله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى ، وتقلق بكم قلق المحور .. فاجمعوا أمركم وشركائكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلّي ، ولا تنظرون .. إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابّة إلا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم .. »

« ألا اني اعذرت .. وانذرت .. »

وهكذا يكشف الإمام عن الأسباب التي جعلتم في مواجهته : فهم إستفادوا من النصر الذي أحرزوه عن طريق أبيه وجده ، لكي يجمعوا القوى لضربه ، وبذلك أصبحوا « البأ لأعدائهم على أوليـائهم بغير عـدل افشوه فيهم ، ولا أمل لهم فيهم » إلا المادة التي كانت أبصارهم لا تستطيع ان تنفذ منها رغم انها كانت خسيسة ومحرَّمة .

وهم استجابوا لنداء الحرب ضده قبل أن يستحصف الرأي ، ويعرفوا أبعاد القضية ، لأن التخلف الفكري كان يشدهم الى أتباع البوق الذي نفخ فيه العدو : بوق الدينار ـ الذي زاده في عطاياهم ـ وبوق السيف ـ الذي هددهم به .

لهذا فانهم أسـرعوا الى الحـرب « مثل طيـرة الدبـا » وتداعـوا اليها « كتداعي الفراش » لانهم لا يملكون مقاييس صحيحة يمشون خلفها . فكل حاكم يدعوهم فهم مستجيبون له .

وهكذا فانهم اصبحوا « من طواغيت الامة » من حيث يعرفون أو لا يعرفون . و « شذاذ الافاق » كل مجموعة تتبع واحداً . و « محرفي الكلم » حيث استعملوا المقاييس الزائفة . و « مطفئي السنن » حيث تركوها جميعاً .

●

تلك هي الظروف التي أدَّت الى مقتل الإمام .. وهي ظروف يمكن ان تتكرر في أي مكان وزمان وتؤدي الى نتيجة مماثلة لقتل الحسين .

والآن .. فان علينا ان نتعرف على خطة الإمام في ثورته : تلك الثورة

التي نعتقد انها جرت كما ارادها الإمام خطوة بخطوة، وحركة بحركة. فهي لم تنطق بشكل عشوائي - كما قد يتصور البعض - ولكنها جاءت دقيقة في تفاصيلها، وأحداثها، ومواقفها، لأن الإمام أراد لها أن تكـون «مثالاً» يحتذي بكل ثورة ناجحة ومخلصة في المستقبل..

٢ . خطة الثورة

لكي نعرف خطة الإمام في ثورته لا بدَّ ان نعرف خطة السلطات في اخماد ثورته .

ان السلطات كانت تعرف مسبقاً ان الحسين سيثور . فكانت وصية معاوية المشهورة ليزيد تتحدث عن احتمال قيام الإمام بحركة ضده .

فما هي الإجراءات التي اتخذتها لاخماد ثورته ؟

في الواقع ان طريقة السلطات الطاغية في اخماد الثورات واحدة لا تختلف من زمان الى زمان ، ومن طاغية لآخر : فكلهم يستعملون نفس الطريقة ، لا فرق بين يزيد ، واي طاغية في أي وقت من التاريخ .

وهذه الطريقة تتلخص في النقاط التالية :

١ ـ محاولة الاسكات :

في البداية تحاول السلطات إسكات المرشحين للقيام بالثورة اما بالاغراء ، واما بالتهديد . فمن أفاد معه الاغراء لم يستعمل بحقه التهديد ، وإلا فإن التهديد هو الحل . .

ولأن الإمام لم يكن ممن يخضع للاغراء ، فقد إستعمل معه « يزيد » اسلوب التهديد . فأرسل رسالة الى « واليه » على المدينة ، يطالبه فيها بأخذ البيعة من الإمام ، وكل من : عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، ويشدّد على بيعة الإمام ، ثم يقول : « فان امتنع الحسين فاضرب عنقه » .

وما ان وصلت الرسالة الى الوالي ، حتى أرسل في طلب الإمام للحضور الى قصر الامارة فوراً .

كان الوقت بعد صلاة العشاء . وكان الامام جالساً في مسجد النبي مع بعض أصحابه عندما دخل عليه رسول الوالي ، وطلب منه ان يقابل الوالي « لأمر هام » .

وعرف الامام حقيقة ما حدث ، لأنه كان على مقاطعة مع السلطات فلم يكن لطلبها هذا أي مبرر إلا ان يكون معاوية قد مات ، وجرى تبدّل في القيادة .

ورغم ان طريقة جلب الإمام ، كانت طريقة عادية ، ومحترمة ، فإن الامام اتخذ اجراءات أمن خاصة .

فذهب إلى بيوت بني هاشم ، وجنَّد منهم أربعين رجلاً ، لبسوا السلاح تحت الثياب ، وطوَّقوا قصر الامارة موزعين بشكل لا يثير انتباه أحد ، واتفق معهم الإمام على اقتحام القصر ، فور سماعهم مشاجرة حادة مع الوالي ، لانقاذه من أية اخطار محتملة .

وهنا نجد ان الإمام اعتمد على « التخطيط » السليم والحذر ، ولم يترك الامور تتطور لغير صالحه ، فهو :

اولاً ـ اعتمد على عنصر « القوة » لأن السلطة ـ أية سلطة غير دينية ـ لا تفهم غير لغة القوة ، لأنها لا تتعامل بغيرها .

ثانياً ـ اعتمد على عنصر المبادرة . حيث أمر المسلحين ان يخفوا السلاح ، حتى لا تعرف السلطة من أمرهم شيئاً . فتتخذ اجراءات مضادة .

ثالثاً ـ اتفق مع القوة المسلحة على « رمز » خاص لاقتحام القصر وهو « ارتفاع صوته » . فإذا سمعوا حواراً غاضباً كان عليهم اقتحام القصر .

وهكذا دخل الإمام على « الوالي » بعد ان اطمأن الى النتيجة .

وبعد ان استقر بهم المجلس . قام الوالي ، وقدَّم الى الإمام رسالة يزيد

بنصها الأصلي . فقرأ الإمام وقال : « انَّا لله وانَّا اليه راجعون » ثم طوى الرسالة ، واعادها إلى الوالي . .

وساد الصمت على الغرفة .

وانتظر الوالي من الامام ان يقول شيئاً . ولكنه لم يفعل . فقال له :

« أما عبد الله . . بايع ! »

كانت العادة جارية على ان الذين يسكنون العاصمة يبايعون الخليفة شخصياً ، اما في غير العاصمة فيبايعون ممثله ، أو واليه ، أو من يعينه لذلك وكانت البيعة تعني قطع العهد على الذات بالطاعة للخليفة .

ولكي يبتعد الإمام من البيعة ، ومن المجابهة الفورية مع السلطة ، قال للوالي ـ بلباقة شديدة :

« ايها الأمير . . ان مثلي لا يبايع سراً . وسوف نصبح وتصبحون . ونرى رأينا في ذلك » .

وكان الوالي ، قد احضر معه إلى القصر ، وإلى المدينة « مروان بن الحكم » وكان مروان من رؤوس الخيانة في بني امية . وكان عنيف المزاج ايضاً .

ويبدو ان الوالي إقتنع برأي الإمام ولكن مروان عرف انها مناورة ذكية من الإمام . فقال « للوالي » :

« ايها الأمير . . ان فاتك الحسين الليلة ، فلن تظفر به ، ولكن أحبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه . . »

وتوترت الجلسة . ولكن الإمام حسمها عندما صاح في وجه مروان :

« يا بن الزرقاء . . أتهددني بالقتل ؟ انت تقتلني أم هو؟ كذبت ولؤمت ! » . ثم التفت إلى « الوالي » ورفع صوته وقال :

« انّا أهل بيت النبوة . ومعدن الرسالة . ومختلف الملائكة ، بنا فتح

الله ، وبنا يختم ، ويزيد شارب الخمر ، وراكب الفجور ، وقاتل النفس المحترمة ، ومثلي لا يبايع مثله ! »

وأراده حواراً ساخناً تسمعه « القوة المسلحة » خارج القصر.

وهكذا كان .. فقد اقتحم الرجال بسيوفهم قصر الإمارة ، وخرج معهم الإمام بين دهشة الوالي وذعر مروان ..

●

عرفت السلطة ان الامام لن يبايع وأنه سيتحداهم في ذلك بقوة السلاح . وبذلك أعلنت الثورة ، بدأ رحلة المقاومة المسلحة ..

وتحملت على أعباء هذا الاعلان !

فجمع الامام بنيه ، ونسائه ، وكافة من يعولهم من أقربائه وطلب منهم الاستعداد للمسير إلى مكة ..

ولكن قبل ان يخرج الى مكة كتب رسالة الى بني هاشم جاء فيها :

« .. أما بعد : فإن من لحق بي منكم أفلح ، ومن تخلف لم يبلغ الفتح .. » وهذا يعني : أنه استعد منذ اللحظة الاولى للثورة ، فلم تأت نتيجة رسائل أهل الكوفة اليه ولا بسبب نجاح مسلم بن عقيل نجاحاً أولياً في الكوفة ، وإنما جاءت نتيجة دراسة موضوعية للأوضاع ، واتخاذ قرار حاسم بحمل السلاح في وجه الطاغية .

وإلا فما معنى هذه الرسالة وهو بعد في المدينة ، ثم تصله أية رسالة من الكوفة ؟

وهكذا قرر الامام أخذ المبادرة من السلطات ، فقرر الهجرة حتى لا تباغته في عقر داره لأنه «ما غزى قوم قط في عقر دورهم إلا وذلوا »والمدينة كانت خاضعة لحكم السلطة ، فلم يكن فيها أي شرخ يمكن الامام من النفوذ منه .

وبقرار الهجرة من المدينة ، رد الامام محاولة السلطات لاسكاته ،

بمفاجئة حكيمة وواعية .

٢) محاولة التأليب :

وعندما تفشل السلطات في تهديد المرشح للثورة ، وإسكاته ، تعمد إلى التأليب عليه ، عن طريق الاستنجاد بأقرب الناس اليه أو إلى قلوب الجماهير لعله يمنعه من إشعال الفتيل ، أو ينقلب عليه ، أو ـ على الأقل ـ يقف منه موقف الحياد .

وهذا ما قامت به السلطة في عهد الامام حيث أرسل «الخليفة» يزيد ابن معاوية رسالة إلى ابن عباس المعروف بحبر الامة جاءفيها :

«أما بعد . . فإن ابن عمك «حسيناً» وعدو الله «ابن الزبير »التويا ببيعتي ، ولحقا بمكة مرصدين للفتنة ، معرضين أنفسهما للهلكة .

«فاما ابن الزبير فإنه صريع الفناء ، وقتيل السيف غداً ، وأما الحسين فقد أحببت الأعذار اليكم أهل البيت مما كان منه . وقد بلغني أن رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ، ويكاتبهم ، ويمنونه الخلافة ، ويمنيهم الأمرة ، وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة ، وعظم الحرمة ، ونتائج الارحام ، وقد قطع ذلك الحسين وبته . وأنت زعيم أهل بيتك ، وسيد أهل بلادك فالقه فاردده عن السعي في الفرقة ، ورد هذه الامة عن الفتنة ، فإن قبل فيك وأناب اليك ، فلك الأجر ، وله عندي الصلة والكرامة الواسعة ، وأجرى عليه ما كان أبي يجري على أخيه ، فأن طلب الزيادة فاضمن له ما أراك الله ، انفذ ضمانك وأقوم له بذلك ، وله عليّ الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ، ويعتمد في كل الأمور عليه .

«عجل بجواب كتابي . والسلام . . »

وقد رد الامام محاولة «التأليب » عليه هذه ، بوضع النظام كله في قفص الاتهام .

إن النظام الذي يعزز المنفلت عن الالتزامات الخلقية والانسانية والذي يكرس حكم الظلم ، والفسق ، والالحاد لهو نظام فاسد يجب ـ وجوباً شرعياً

ـ مقاومته . والذي يخضع له إنما هو من أهل النار . .

وبدأ الامام حملته هذه بسيل من التصريحات ، والرسائل التي بعث بها إلى رؤساء القبائل ، والشخصيات الملتزمة في كل من : البصرة ، والكوفة . كما أدلى بتصريحاته في مكة .

وقد جاء في بعض هذه التصريحات قوله:

«ألا . . وإن هؤلاء (أركان النظام)قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد»الخ . .

وجاء في بعضها الآخر قوله:

«ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ؟ يرغب المؤمن في لقاء الله محقاً » الخ . . .

وجاء في بعضها:

«أن السنة قد أميتت ، وأن البدعة قد أحييت ، وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد»الخ . .

وجاء في بعضها:

« . . أما بعد فإني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق ، وإماته البدع ، فان تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد»الخ . .

وقد فتحت تصريحات الامام العنيفة الطريق أمام كثيرين من الناقمين على النظام لكي يقولوا فيه ما يؤمنون به . ويكشفوا عن زيفه ، ولا شرعيته .

وهكذا مهد الامام ثورته بخلق جو المعادة ، وكشف عورة النظام ولا أخلاقية الحكام .

وكانت لخطته الدعائية هذه ، اثارها الكثيرة التي كان منها تحطيم الهالة الدينية التي كانت موضوعة حول النظام . .

٣) الضربة القاضية :

عندما فشلت محاولتا : الإسكات وتأليب الشخصيات على الثورة ، عمدت السلطات إلى آخر حل ، وكان يتلخص في ضرب الإمام ضربة قاضية قبل أن يتحرك وبذلك تكون قد أجهضت على الثورة ، تماماً كما تفعل أية سلطات مع أية ثورة .

فاغتيال الثورة ، في المهد ، هو أقرب حل يتوسل به الطغاة في كل مكان وزمان على قاعدة : « اقض عليه قبل أن يقضي عليك » و « تغد به قبل أن يتعشى بك » .

وقد جندت السلطات لذلك عصابة مسلحة قوامها ثلاثون رجلا لاغتيال الامام في مكة .

ولكن كيف تتم عملية الاغتيال في موسم الحج حيث يجتمع آلاف الناس هناك لأداء الفريضة ؟

لقد خططت العصابة تخطيطاً دقيقاً لذلك ، فحددت مساء يوم التاسع من ذي الحجة لتنفيذ مهمة الاغتيال ، وحددت المكان بـ « الطريق المؤدي من عرفات إلى المشعر » حيث يقوم الحجاج بالمسير بعد صلاة المغرب للمبيت ليلة العيد في صحراء المشعر .

وكانت خطة ذكية ، لأنها كانت تنطوي على طريقة إخفائها : فاللصوص كانوا يمارسون عمليات نهب واغتيال مستمرة في تلك [illegible] ، وفي نفس الطريق في كل عام ، وكان مقتل الامام هناك يفسر ـ لو نفذ ـ على أنه من عمليات اللصوصية لا ربط لها بالسياسة والحكام .

إلا أن الامام كان أذكى من السلطات !

ففيما كانت فرقة الاغتيال تتجه إلى اتخاذ أماكنها في شعاب الجبال المحيطة بالطريق ، كان الامام يحل احرامه بالحج ، ويحوله ألى عمرة مفردة ، ويجمع العيال والرجال مغادرا مكة باتجاه العراق . .

وهكذا فوت عليهم فرصة إنزال « الضربة القاضية » عليه . فقد أفاقت الجهات المختصة في اليوم التالي لتتلقى أخبار مسير الامام مع الف وخمسمائة رجل ـ خرجوا معه ـ باتجاه الكوفة !

من هنا عرفت السلطات أن معركة الامام معها ، بدأت تأخذ طابع المواجهة الساخنة فاتخذت على ضوء ذلك تدابيرها الخاصة فنقلت ابن زياد ـ الذي عرف بالبطش ، والمكر والخدع ، خلال حكم معاوية ـ نقلته من البصرة إلى الكوفة ، ليجابه مسلم بن عقيل الذي كان قد أحرز نجاحاً كبيراً في كسب الجماهير . . وعمدت إلى سلسلة إجراءات في طول البلاد الاسلامية وعرضها .

ولكن الذي يبدو من سير الأحداث أن المبادرة كانت دائماً بيد الامام ، فهو الذي اختار موقع المعركة ، ووقتها ، وطريقة سيرها ، مستخدماً في ذلك المناورات الذكية ، وخفة الحركة ، وسرعة اتخاذ القرار ، وأساليب ملائمة لذلك العصر .

لقد كانت استراتيجية نظام يزيد قائمة على أحد أمرين : إما إخضاع الامام لسياسة وإما القضاء عليه بصمت .

أما استراتيجية الامام فقد قامت على رفض الخضوع والاستسلام ، وتفجير الوضع في وجه النظام عن طريق اختيار موت يكون له تأثير الانفجار .

٣ ـ الأهداف الاستراتيجية

والسؤال الذي يبرز هنا هو :

لماذا اختار الامام أرض المعركة في كربلاء ، وليس في مكان آخر كمكة مثلا ؟

والجواب

لثورة الامام الحسين جانبان :

١ ـ الجانب العسكري .

٢ ـ الجانب السياسي .

فمن الناحية العسكرية : ربما لم يكن اختيار صحراء « كربلاء » المفتوحة موقعاً للمعارك موفقاً ، ولكن الذي لا شك فيه هو أن هدف الامام لم يكن إحراز نصر عسكري ، واستلام السلطة ، وإن كان قد خطط لهذا أيضاً .

أما من الناحية السياسية فإن غير كربلاء لم يكن يستطيع أن يعطي الامام النتائج التي توخاها من ثورته :

ذلك لأن الامام كان ينطلق في ثورته من ضرورة إحداث شرخ كبير في الأوضاع التي كانت قائمة .

وهذا الشرخ كان بحاجة إلى عملية تضحوية ضخمة من النوع الذي قام به ، لأن السبات العميق الذي كان يضرب بأقدامه في عمق المجتمع ، لم

يكن بالذي يمكن إزالته بالخطب ، والكلمات والنصائح . بل كان لا بد من هزة قوية ، كلمسة كهربائية تبعث الحياة في الخلايا الهامدة .

كان الامام يريد هدم العلاقات القائمة .

وهدم النظام القائم .

وهدم الشخصية السباتية التي صارت جزءاً من شخصية الانسان المسلم في ذلك العصر ، بفعل سياسة الحكام . .

وعلى انقاض ذلك كان يريد أن يبعث الشخصية الاسلامية ذات الروح الجهادية إلى الحياة .

وكان ذلك مستحيلا في تلك الأوضاع التي كانت قائمة إلا إذا قام بعملية عنيفة ، وسريعة ، ومأساوية ينام عليها الناس في الليل ليستيقظوا في النهار وهم يتساءلون :

ماذا حدث ؟

هل صحيح ما حدث ؟

وكيف حدث ؟

من اشترك فيما حدث ؟

كيف اشتركوا ؟

ما هي الأسباب ؟

من دعاهم اليها ؟

كيف اجابوه ؟

لماذا الجريمة ؟

ومن هنا يبدلون واقعهم بعد اعادة النظر في مجمل العلاقات القائمة .

ان المجتمع كالانسان له ضمير ، والضمير قد ينام بفعل الاغراء أو

الارهاب المستمر ، ولكنه يستيقظ ـ على وقع حادث مروع أو انفجار غير متوقع ـ يبدأ عملية نقد ذاتي ووخز عميق في وعي الناس .

فإذا ما ارتكب مجتمع ما جريمة مروعة ـ على طراز جريمة قتل الامام ـ فإن وخز الضمير يظل يلاحقه لكي يكفر عن الجريمة بإزالة أسبابها .

ولكن .. لا بد أن يعرف المجتمع أنه ارتكب « جريمة » ولا يظن أنه قام بعمل مشروع .

فكيف يمكن للمجتمع أن يعرف أنه ارتكب بقتل الامام جريمة كبيرة ؟

ان العملية بحاجة الى عنصرين :

واحد) عنصر العلم بالجريمة .

اثنين) عنصر المأساة .

فمن حيث العنصر الأول : كان لا بد أن تنفجر المعركة على أرض العراق وفي أقرب مكان من الكوفة باعتبارها « منطقة وسط » بين الشام والحجاز لكي تستطيع احداث رد الفعل المطلوب منها في كل أرجاء العالم الاسلامي .

ذلك لأن العاصمة عندما انتقلت في زمن معاوية من المدينة الى الشام ، فقدت الحجاز قيمتها الاستراتيجية ، فلم يعد الناس يتتبعون اخبارها ، ويخضعون للمتطورات فيها ..

هذا من جانب ..

ومن جانب آخر فإن الكوفة كانت مركز الذين عاشوا فترة طويلة مع « الامام علي » ، وقاتلوا في صفوفه كثيراً ، فعملية رد الفعل لدى هؤلاء كانت متقنة الوقوع . على العكس من أهل الشام ، وأهل الحجاز .

فالمجتمع الشامي : كان منغلقاً عن أهل البيت . فقد دخل في الاسلام بعد موت النبي ، وظل خاضعاً لأحكام الخلفاء ، وكان حاكمه معاوية منذ البدء .. ومعاوية استطاع أن يمنع تسرب أي خبر من أهل البيت . ولذلك

فإن المجتمع الشامي عندما سمع الامام علي في المحراب كان يتساءل : وهل كان يصلي علي ؟ !

ولذلك فإن « أهل العراق » كانوا أقرب الى تقبل الثورة وتفسيرها ، بل انهم كانوا يحسون بضرورتها ويؤدون تفجيرها ، وهم الذين كاتبوا الامام وطالبوه ـ عبر ١٢ ألف رسالة موقعة من قبل آلاف الناس ـ ان يفد اليهم . وكانت عبارات أكثرهم تقول :

. . . أنه ليس علينا أمام غيرك، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق».

وبعد إرسال اثني عشر ألف رسالة إلى الإمام أصبح الامام يملك تغطية جيدة لتحركه الثوري.

إن كل ثورة بحاجة الى شرعية لقيامها، إذ من دون هذه التغطية يمكن أن يقف الناس حائلاً دون قيامها.

ولهذا كله اختار الامام ارض العراق، وقال قولته الشهيرة:

«لئن أُدفن في ارض العراق خير لي من أن أُدفن في فناء الكعبة».

لأن ارض العراق كانت ستحرك ضمائر أهل العراق فيما بعد، وتوقظهم على هول الفاجعة وفداحة المأساة التي ادت الى مقتل الامام. ولكن فناء الكعبة لم تكن ستفعل ذلك.

ومن هنا نجد إصراره على ان تتم ثورته أبعد من مكة ولو بمقدار شبر وكان يقول:

«والله لئن أُقتل خارجاً من مكة بشبر أحب إلّي من أن أُقتل داخلاً منها بشبر. . وأيم الله لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيَّ حاجتهم، ووالله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت!».

ومن حسن المصادفات: ان ابن زياد جنّد لحرب الإمام بناء على بعض الأقوال قرابة نصف مليون[1]ـ أو على الأقل مائة ألف مقاتل ـ ليس لأنه كان

---

(١) ليس النصف مليون مبالغة. لأن التواريخ تتحدث عن خلو الكوفة من الشباب القادر على حمل =

يخشى انتصار الامام، ولكن من أجل ان يشترك اكبر عدد ممكن من أهل العراق في قتله، حتى لا يجدوا مبرراً للقيام ضد السلطات فيما بعد بحجة قتل الامام.

فما دام أن كل بيت قد اشترك في قتله بأحد رجاله أو شبابه- حتى قيل أن كل قبائل العرب اشتركت في ذلك- فإن الانتقام من الجريمة يعني الانتقام من كل بيت، وهذا ما لا يكون، لأن المجرم لن يطالب بالانتقام من ذاته، وغيره لا يستطيع مقاضاة كل القبائل.

وهكذا خطط ابن زياد لهدر دم الامام كما خططت قريش لقتل النبي (ص) وهدر دمه بأن جندت من كل قبيلة واحداً من رجالها لمقتله.

ولكن نسي ابن زياد أنه إذ يفعل ذلك، فإنما يساعد من حيث يعرف أو لا يعرف في نشر قضية الثورة لأن كل فرد اشترك في قتله سيقص لدى الرجوع المعارك كما شاهدها، أو على الأقل سيتحدث عن ذلك الجزء الذي أثار انتباهه أكثر من غيره.

فأحدهم يتحدث عن كيفية قتال العباس، ومقتله. والآخر يتحدث عن قتال علي الأكبر، ومقتله. والثالث عن عطش الامام. والرابع عن مقتل الرضيع. والخامس عن خطب الإمام.. كل ذلك بالتفاصيل الجزئية، والكلمات الصغيرة المرافقة.

وهذا الحشد الهائل سيحول دون اسدال ثوب الاخفاء أو السرية على مقتل الامام. فلا يمكن انكارهاأو إضفاء الشرعية عليها. لأن القائمين بها سيشرحون بأنفسهم منطلقات مقاتلتهم لتلك العصبة من الرجال الطيبين.

ومن هنا نستطيع أن نعرف السبب الذي كان وراء الأكثار من الخطب من قبل رجال الإمام، والتحدث عن مساوىء النظام وأسسه، ومنطلقاته،

= السلاح. والكوفة كانت تضم آنذاك أكثر من مليوني نسمة. وحسب العلم العسكري فإن نسبة الثلث تكون قادرة على حمل السلاح من كل شعب.

وزيفه، ومبررات الثورة، ونتائج متابعة النظام والانسياق الأعمى خلفه. . .

انه كان يريد من ذلك أن يضع قائمة بالأوضاع الشاذة التي تجب معها الثورة في أي زمان وأي وقت.

كان يريد أن يخلف «تراثاً ثورياً» و «ذخيرة روحية» تصبح كمستند للشعب يرجع اليه كلما مارست سلطاته عملية التجويع، والتنكيل، والزيف والخداع.

ولأول مرة في التاريخ: ساهم الجلاد في نشر قضية الضحية!

لقد استغرقت معركة كربلاء العسكرية ثلثي نهار واحد، ولكنها حفظت بكلِّ تفاصيلها، وأحداثها، وقضاياها حتى لكأنها استغرقت وقتاً أطول من ذلك بكثير، فلم يصدق بعض المؤرخين ان المعارك كانت في نهار!

فمن حفظ لنا هذه التفاصيل؟

لم يكن هنالك إلاّ الـذين قتلوا الإمام واصحـابه فهم الـذين نقلوا اخبارهم إلى كل مكان. كما طافوا برؤ وسهم في كل مكان. . . . .

بالإضافة إلى ما نقله الأسرى من آل البيت.

كل هذا من ناحية عنصر العلم في الجريمة.

أما من ناحية عنصر المأساة، فنحن أمام سؤال آخر هو: هل أراد الإمام لثورته أن تأتي مأساوية، ومشجية، وحزينة إلى هـذا الحد؟ أم أن الظروف هي التي جعلتها كذلك؟

والجواب. . .

لا شك ان الامام هو الذي أراد للثورة أن تأتي مصبوغة بـالحزن، والمأساة.

فلقد كان باستطاعته يوم عاشوراء أن يأمرُ أصحابه بخوض «معركة موت» من دون التراجع عنها حتى مقتل آخر رجل فيهم.

ولكنه لم يفعل. . .

وإنما كان يريد أن يُقتل كل واحد منهم على طريقته، وبشكل منفرد، ومأساوي.

وكان يودع كل واحد منهم بطريقة مؤلمة: حيث كان يعانقهم، ويعانقونه. ويبكي لهم. ويبكون له. ويتبادل معهم كلمات الوداع الحزين.

بل ربما عانق بعضهم- على الأخص الشباب منهم- لفترة طويلة قبل أن يأذن له بالحرب- والسهام تتلوى في الفضاء ولتسقط بالقرب منهما. . .

وكان إذا أتى الى مصرع واحد منهم، يصحب معه بعض رجاله ليصنعوا له حاجز أمان، ثم يرمي بنفسه على جثته، ويبكي بكاءاً عالياً.

صنع ذلك مع ابن اخيه القاسم بن الحسن الذي لحق به- وهو يجود بنفسه، ويرفس الأرض برجليه قبيل لحظة الموت، فبكى وقال:

«عزّ والله على عمك ان تدعوه فلا يجيبك. أو يجيبك فلا يعينك. أو يعينك فلا ينفعك.. بعداً لقوم قتلوك».

وصنع ذلك مع ولده علي الأكبر الذي قطعه العدو تقطيعاً فظيعاً، لأن فرسه ضيَّع الطريق بسبب نزيف الدم الذي أصاب رأس علي الأكبر، وملأ عينيّ الفرس، وبدل ان يحمله الى معسكر الامام، حمله على عمق الجيش الكوفي وكان يقتحم الجموع، فينهالون عليه بالسيوف والرماح. . .

وعندما وصل اليه أبوه الامام، كان قد فارق الحياة. فبكى عنده بكاءاً حزيناً وطويلاً وعالياً- كما يذكر التاريخ[1] وقال:

---

(١) عدة مرات بكى الامام الحسين في يوم عاشوراء.

(ولكنه لم يبك- ولا مرة- عن ضعف، فليس الحسين بالضعيف الذي يبكي، لأنه لم يكن «متورطاً» في قضيته، أو نادماً على مواقفه- وهذا شأن كل العقائديين الذين يخوضون المعارك من أجل مبادىء خالطت دمائهم- فهو كان يستطيع في كل لحظة أن يوقف الحرب، ويعلن عن استعداده للنزول على حكم يزيد، أو مباركته، أو حتى مجرد السكوت عليه، وتنتهي القضية. =

«قتل الله قوماً قتلوك

«ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاك حرمة رسول الله؟»

ثم انحنى ووضع خده على خد ولده. وبصوت حزين صاح:

«على الدنيا بعدك العفا...». وأضاف:

«. ولدي عليّ... اما أنت فقد أسترحت من هم الدنيا وغمها وبقي أبوك وحيداً فريداً...».

ولما بقي وحده... جاء إلى الميدان، ونظر الى جثث أصحابه وهم «كالأضاحي مجزرين على رمال الأرض» فصاح بأعلى صوته:

«يا مسلم بن عقيل.. ويا هاني بن عروة... يا حبيب بن مظاهر.... يا زهير ابن القين... يا يزيد بن مهاصر... يا برير يا ابطال الصفا، وفرسان الهيجا».

= فبكائه لم يكن يفسر عنده ضعفاً أو خوفاً.

حاشاه...

وإنما كان يفسر رسالته...

ان قطرات الدمع الغزيرة التي انحدرت من عينيه الواسعتين، وجرت على وجهه الممتلئ ثقة بعدالة موقفه يوم وقف على الجسد الممزق لأبنه، أو يوم ان وقف يودع القاسم، أو يودع نسائه، وبناته، أو يوم ان حمل يدي أخيه أبي الفضل....

إن تلك القطرات لم تكن سوى «رسالة ألم» يوجهها الينا» يقول فيها: كان الحسين صاحب قضية، فحذار أن تفرطوا فيها، فإن ذلك يؤلمه. وكان الحسين بشراً مثلكم يتألم مما تتألمون منه، ويبكي لوداع الأحبة كما تبكون لذلك، ومع هذا فقد قدم ضحايا من أجل الله، والحق والحرية..

فلا تقولوا ـ بعد ذلك ـ ها هو ذا الحسين فعل ما فعل، فهو إبن بنت رسول الله، كان قادراً على ما فعل. أما نحن فلا نستطيع!

إنه فعل... وتألم، وعليكم أن تفعلوا وتتألموا. فليست دمائكم أجل، ولا أنصع من دمائه. ألم يقل ربكم: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»؟ أليست هذه آية قرآنية نزلت للجميع؟.

ثم سكت ... ودوَّت نداءاته في الميدان ... تطلع اليه العدو .. اصغى الى كلماته ...

ماذا يريد ؟

كيف ينادي الموتى ؟

وأضاف الإمام :

« ما لي أناديكم فلا تجيبون؟

« وأدعوكم فلا تسمعون ؟

« انتم نيام ارجوكم تنتبهون ... أم حالت منيتكم دون إمامكم فلا تنصرون ؟

« هذه نساء الرسول لفقدكم قد علاهن النحول ...

« فقوموا عن نومتكم يا كرام .. وادفعوا عن حرم الرسول هؤلاء الطغام اللئام ...

« ولكن (وتأوَّه بحرارة مفجوع) صدعكم ـ والله ـ ريب المنون . وغدر بكم الدهر الخؤون ، وإلا لما كنتم عن نصرتي تقصرون . ولا عن دعوتي تحتجبون . فها نحن بكم مفتجعون . وبكم لاحقون ، وإنا لله وإنا اليه راجعون » .

ثم صاح برفيع صوته ـ هكذا يصفه الذين سمعوه :

« هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله ؟

«هل من موحد يخاف الله فينا ؟

«هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا » ؟

ولما سقط على الأرض ، كان يقول :

« بسم الله . وبالله .. وعلى ملة رسول الله » .

وكان يأخذ الدم من جراحاته ، ويرميه الى السماء ويقول :

« هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله ! »

ثم يصبغ بالدم رأسه ، ووجهه ، ويديه ـ كمن يتوضأ به ـ ويقول :

« اللهم إني اشكو اليك مما يفعل بابن بنت نبيك ! »

ويضيف وهو يتطلع إلى عدوه :

« هكذا القى الله ، وجدّي . ! »

●

كل ذلك كان يصنعه من أجل اذكاء عنصر المأساة في قضيته ، ليس لأنه كان يستهدف المأساة . فليس هناك إنسان عاقل يريد المأساة لنفسه . ولكن لكي تكون المأساة « سوراً » عاطفياً متيناً يحافظ على سخونة القضية ، ويضفي عليها طابعاً دموياً يحرك العواطف الصادقة في الانسان ، ويدفعه لمعرفة أهداف الثورة . وطريقة صنعها .

إنه كان يريد أن تغلي قضيته ، وتعاد ثورته كلما عادت الأوضاع إلى مماثلة الأوضاع التي ثار عليها .

وهذا ما لم يكن مقدوراً لولا وجود عنصر المأساة في القضية .

وهذا العنصر هو الذي أيقظ الضمائر الميتة في جيش ابن سعد ، وجعلهم يثورون على « واليهم » الذي دفعهم إلى الحرب ، ويعلنونها حروباً شعبية تحت عنوان : « ثورة التوابين » و « ثورة المدينة » و « ثورة المختار » و « ثورة مطرف ابن المغيرة » و « ثورة ابن الأشعث » و « ثورة زيد بن علي » وغيرها من الثورات الكثيرة التي توالت راياتها عقب ثورة الإمام . . وعلمت الناس : أن الأمن ، والعدل ، والاستقرار أشياء لا يمكن الحصول عليها إلا بالثورة ، والتضحية ، والفداء . وإن الحق يؤخذ ولا يعطى . وإن الله يفضل المجاهدين على القاعدين .

لقد واجه الإمام نظاماً استغل أهله الناس ولعبوا على عقولهم وبذلك

نظموهم في طوابير ضد كل مبادىء الخير، والعدل، والحرية. حتى بات كثير منهم «يتقرب الى الله بإراقة دم الحسين» فحاول أن يصلح الأمر بإسقاط الحكام، عن طريق ثورة نظامية، فأرسل مبعوثه الشخصي مسلم بن عقيل إلى الكوفة لتسلم الحكم هناك، كما أرسل رسالة الى بعض وجهاء البصرة طالبهم فيها: بعقد الولاء لحكمه، والتمهيد لمن سيرسله لذلك، وأوصى إلى محمد بن الحنفية بالبقاء في المدينة لعزل الوالي في الوقت المناسب، وتسلم السلطات.

ولكن كل هذه الاجراءات تمت مع علم الإمام بأن ثورته لن تكسب «مكاسب مادية آنية» وإنما تأتي نتائجها بعد حين غير أن ذلك لم يمنعه من وضع تخطيط وسيع لحركته. وافتراض نجاحه.

وعندما لم تثمر محاولات الثورة النظامية: اتجه الإمام صوب الجماهير. صوب الانسان العادي. وأدخل مبادئه رغم آنافهم في عمق ضمائرهم عن طريق الاعتماد على عنصري: البطولة... والمأساة...

- بطولة الفرد العادي - التي دوخت العدو - والتي ظهرت من كل شهيد.

- ومأساة المجموعة.

«ولكي نخرج بفكرة واضحة عن مدى تأثير ثورة الحسين في بعث روح الثورة في المجتمع الاسلامي يحسن بنا أن نلاحظ أن هذا المجتمع أخلد إلى السكون عشرين عاماً كاملة قبل ثورة الحسين لم يفم خلالها بأية ثورة رغم توفر الدواعي إلى الثورة في هذه الأعوام الطوال...

«فمنذ قُتل أمير المؤمنين علي عليه السلام، وغدا أمر الحكم للأمويين خالصاً، إلى حين ثورة الحسين لم يقم في هذا المجتمع أي احتجاج جدي. جماعي على ألوان الاضطهاد والتقتيل وسرقة أموال الأمة التي كان يقوم بها الأمويون وأعوانهم. بل كان موقف السادة من هذه الأفاعيل هو إيجاد المبررات الدينية والسياسية، وكان موقف الجماهير هو موقف الخضوع

والتسليم . عشرون عاماً مرت على هذا المجتمع ـ من سنة أربعين الى سنة ستين للهجرة ـ وهذه هي حالته ، وتغيرت هذه الحالة بعد سنة ستين : بعد ثورة الحسين .

« وعملت ثورة الحسين في إكساب الحياة الاسلامية سمة كانت قد فقدتها قبل ذلك ، ذلك هو الدور الذي غدا الرجل العادي يقوم به في الحياة العامة بعد أن تأثر وجدانه بسلوك الثائرين في كربلاء ، وقد بدأ الحكام المجافون للإسلام يحسبون حساباً لهؤلاء الرجال العاديين ، وبدأ المجتمع الإسلامي ليشهد من حين لآخر ثورات عارمة يقوم بها الرجال العاديون على الحاكمين الظالمين وأعوانهم لبعدهم عن الإسلام وعدم استجابتهم لأوامر الله ونواهيه في سلوكهم : ثورات كانت روح كربلاء أكثر القائمين بها ، وتدفعهم إلى الإستماتة في سبيل ما يرونه حقاً .

« واستمرت الثورات التي تقودها روح كربلاء بدون انقطاع ضد كل ظلم وطغيان وفساد »[1] .

ولولا : بطولات الأفراد . ومأساوية الحوادث في هذه الثورة كيف كان يمكن اشعال فتائل للثورة عن طريقها ؟ .

إننا نتحدث الآن وبعد مرور ألف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين عاماً على هذه الثورة ، وكأننا نتحدث عن ثورة تقع اليوم . ويحيي الملايين من اتباع مذهب أهل البيت ذكرى عاشوراء كل عام ، وكأنهم يحيون ذكرى حوادث وقعت أمس . لأن هذه الثورة جمعت بين عنصري البطولة ، والمأساة .

فالإمام الحسين ـ وهو حامل قضية الإسلام في حياته ـ أصبح رمزاً لهذه القضية بعد شهادته . وأصبحت مواقفه محكاً لمواقف الثائرين في الحياة كلها .

(١) ثورة الحسين : ص ٢٠٠ .

٤ . الخطة العسكرية

وماذا عن الخطة العسكرية ؟

لا شك أن الخطة التي اتبعها الامام ليلة ، ويوم عاشوراء تعتبر آية في فن العسكرية ، بالاضافة إلى خططه في الافلات من قبضة العدو ، وفرض موقع ، وأرض الثورة كما أرادها هو . .

فالامام كان يخطط لمعركته عسكرياً ، كما كان يخطط لها سياسياً واجتماعياً ، ليس لكي يكسب النصر ، ولكن لأنه أراد لثورته أن تكون رائدة الثورات تعطي المجاهدين دروساً في التخطيط وفن المقاومة كما تعطيهم دروساً في التضحية والفداء .

إن الحرب فن . .

وعلى كل من يريد أن يمارس عملياتها بشكل مخطط ، ومتقن ، وحذر حتى تدور المعارك كما يريدها هو ، وليس كما تفرض عليه . .

أنا لا أعتقد أن قضية ثورة كربلاء تبدأ بمقاومة ، وتنتهي بمقتل الثائرين ، وتنتهي الحكاية .

فالتفاصيل في هذه الثورة تتحدث عن تخطيط عميق كان ينفذ بشكل متقن في كل لحظة من لحظاتها .

فالامام كان يحارب دولة قائمة تملك كل شيء ، وتسيطر على كل البلاد ، وتجند قرابة مائة الف رجل - على الأقل - لمحاربته مع انه لم يكن

يملك اكثر من ٩٩ مقاتلاً . فهو كـان يقوم بعمليـة ثورة مسلحـة محدودة الرجال ، صغيرة القوى . ولهذا فانه كان يعرف انه يُقتل فيها . وتخطيطه كان يؤخذ بعين الاعتبار نتيجة الحرب هذه . .

وهنا تكمين البطولة في الثورة . .

انه لم يقل صباح عاشوراء لأصحابه : ان النتيجة واضحة ، وهي أننا سوف نُقتل ، فـالعدو كثـير ، وقوي ، ووحشي ، فـلا داعي للتخطيط ، والحرب . لنهجم مرة واحدة ، فلنقل جميعاً ، ونحن نقرأ آيات قرآنية ، أو اناشيد حماسية ـ كما يفعل الجنود المنتحرون ـ في المعارك التي يعرفون أنهم منهزمون فيها .

لم يقل ذلك . . . وإنما افترض انه يستطيع الصمود أمام قوة العدو ، ثم وضع تخطيطاً عسكرياً شاملاً .

ولذلك نراه يخرج ليلة عاشوراء من مخيمه ، ليتفقد ساحة المعركة ، ويستطلع احوال العدو ، وعدده ، وإمكاناته لكي يضع خطة الحرب حسب التقدير الصحيح لحجم العدو ، ونوعية الحرب معه .

يقول هلال بن نافع البجلي :

« رأيت الحسين خارج من المخيم ـ ليلة العاشر من المحرّم ـ حتى أبعد شخصه نحو معسكر ابن سعد ، فلبست درعي ، وتقلدت بسيفي ، وسرت خلفه فالتفت إلَيّ وقال :

ـ من الرجل ؟ اهلال هذا ؟

ـ نعم سيدي . هلال .

ـ يا هلال . . ما الذي اخرجك في هذا الليل ؟

ـ سيدي . . ازعجني خروجك ليلاً إلى جهة هذا الباغي .

ـ خرجت اتفقد هذه التلعات التلال مخافة ان تكون مكمناً لهجوم الخيل على مخيمنا يوم يحملون (يهجمون) وتحملون . . »

وإذا كان مسرح الأعمال الحربية يعمل دوراً بارزاً في تقرير نتيجة المعركة ، فاننا يجب ان نسجل هنا موقفاً عسكرياً وممتازاً للامام حيث لم يترك الامور تجري على عواهنها ، وانما قام بدراسة الأرض التي سيقاتل عليها ، لكي يعرف المكامن ، والتلال التي يمكن ان يستفيد منها هو ، أو يستفيد منها العدو . .

ولقد وضع الامام ـ على ضوء دراساته ومعلوماته الدقيقة عن نفسية ، وعدد ، وقوة العدو ـ تكتيكه للمعركة ، وكانت من الاتقان بحيث لو لا عدم تكافؤ القوى بينه وبين العدو ، لكان النصر العسكري حليفه حتمًا .

أولاً ـ الموقع العسكري :

قام الامام ، لتحسين موقعه العسكري ، بما يلي :

١) بما ان الحرب كانت تجري في صحراء مكشوفة ، فقد أمر الامام بتجميع الخيام في وحدة صغيرة ، كاملة ، ليسهل الدفاع عنها ، ويمكن ضبطها ، والدخول والخروج منه بسهولة .

٢) بما ان عدد قوات العدو كانت كبيرة ، بحيث تسمح له ان يقوم بهجوم شامل من كل الأطراف ، فقد عمد الامام إلى حفر خندق حول الخيام بشكل دائرة شبه كاملة ، بينما ترك بوابة غير كبيرة منها تؤدي إلى ساحة المعركة ، وقد جعل البوابة إلى الجهة الاخرى التي كان العدو يحشد قواته فيها ـ كما يبدو ذلك من موقع مخيمه وموقع قبره الآن ـ مما كلف العدو الكثير من المتاعب وأفقده المبادرة في الحركة ساعة الصفر .

وقد ملأ الخندق بالحشائش ، والخيم الزائدة ، وأعمدة مكسورة ، وثياب عتيقة ، لكي يتم اشعالها بالنار ، ذلك لأن الخندق لم يكن عميقاً ، وكانت النار تعوض عن عمقه بعض الشيء . .

٣) عينّ خيمة خاصة لتكون كمركز لقيادة عمليات الحرب ، وكانت تقع على بوابة المخيم . .

٤) وضع خطة الحرب ، حسب طبيعة الأرض ، وقام بدراسة الخطة مع أصحابه . فعين واجب كل فرد حسب موقعه ، في الميمنة او الميسرة او القلب . .

●

ثانياً ـ من حيث الجنود

قام الامام لتنظيم الجنود بما يلي :

١) قام بتصفية جنوده من الذين لم يكونوا حاملين لأهدافه او راغبين في الحرب ، او خائفين من الموت . .

فقد جمعهم في ليلة المعركة ـ في خيمة القيادة ـ وخطب فيهم خطبة قصيرة ، طالباً منهم العودة الى بلادهم ، لأنهم تبعوه من اجل الحياة ، وها هم يواجهون الموت . وقال لهم فيما قال :

« أثني على الله ـ تبارك وتعالى ـ أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء .

« اللهم أني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة ، وعلمتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، وجعلت لنا أسماعاً ، وأبصاراً ، وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين . .

« أما بعد . .

« فإني لا أعلم اصحاباً أولى ، ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر وأوصل من اهل بيتي ، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً . . »

وأضاف :

« ألا . . وأني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ، ألا واني قد أذنت لكم ، فأنطلقوا جميعاً فأنتم في حل . ليس عليكم مني ذمام . .

« وهذا الليل قد غشيكم فأتخذوه جملاً . وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله . فإن القوم إنما يطلبونني ، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري » .

ثم اطفأ الفوانيس لكي يستطيع من يحب الفرار ان يهرب من دون خجل ، او استحياء . . !

وقد فعل الإمام ذلك من أجل تصفية جيشه من أي منافق ، او خائن ، او خائف ، يمكن أن يتمرد على الإمام في ساحة المعركة ، ويؤثر على معنوية جنوده ونوعية حربهم ، أو يزرع الفوضى بينهم الأمر الذي كان يتحاشاه الإمام جداً جداً . .

وقد تفرق عنه كثيرون من هذا الطراز . .

وبقيت معه قلة .

وكانت هذه القلة من ثبات القصد ، وخلوص النية إلى الدرجة التي هبت كعاصفة في تلك الخيمة ، لتعبر عن تصميمها ، وخلوص نيتها ، بكلمات معبرة عن روح ثورية رائعة .

فقال أحدهم ، وأسمه زهير بن القين :

« قد سمعنا ـ هداك الله يا ابن رسول الله ـ مقالتك . والله لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مخلدين ، لما فارقنا نصرك ومواساتك ، ولآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها . .

« والله يا ابن رسول الله لوددت أني قتلت ، ثم نشرت ، ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة ، وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك ، وعن هؤلاء الفتيان من أهل بيتك . .

وقال آخر ـ وأسمه ، مسلم بن عوسجة :

« انحن نتخلى عنك ؟ وقد احاط بك هذا العدو ، ولما نعذر إلى الله في اداء حقك ؟! »

« أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي ، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمة في يدي ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به ، لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك ! .

وقال ثالث ـ وأسمه : سعيد بن عبد الله الحنفي .

« لا والله ، يا بن رسول لا نخليك حتى يعمل الله : أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك !

« والله لو علمت إني أُقتل ، ثم أحيا ، ثم أُحرق حياً ، ثم أُذر ، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك ، حتى ألقى حمامي دونك . فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا إنقضاء لها ابداً ؟

وقال آخرون ـ من بني عمومته :

« سبحان الله . . ما يقول الناس ـ لنا إذا تركناك ـ وماذا نقول لهم ؟!

« نقول : إنّا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، ولا ندري ما صنعوا ؟ !

« لا والله ما نفعل . .

« ولكن نفديك بأنفسنا ، وأموالنا ، وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرد موردك ، فقبح الله العيش بعدك . !

وقال آخرون :

« والله لن نتركهم يصلون اليك ، ما دام فينا عرق ينبض .

وهكذا طهر الإمام جبهته من أي عنصر غير مستعد للشهادة ، أو غير واعٍ للدور المطلوب منه ، أو خائف او منافق .

وبذلك ضمن وحدة المقاتلين ، وترابطهم ، وسد الطريق أمام أي تمرد أو خيانة في جبهته .

وواضح أن الوحدة والترابط هما سبيلا القوة والنصر ، ولا شيء أهم في المعارك الحربية من وحدة المقاتلين الذين ينطلقون من منطلق واحد ، لغاية واحدة وبروح وعقيدة واحدة . وبذلك طبقوا تعاليم السماء التي تقول :

« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص .

●

ثالثاً ـ وضوح الهدف

في العلم العسكري لا بدّ من تحديد الهدف الذي من أجله يحارب المقاتل عدوه بحيث يكون ذلك الهدف واضحاً ، ومحدداً ، ومعروفاً لا يحتمل اللبس ، أو الغموض ، أو التفسير ، أو التأويل ، أو الاجتهاد حتى يكون محور الخطة الاستراتيجية ، وموضوع خطط العمليات . .

ومبدأ المقصد ـ أو الهدف المحدد ـ يعني الثبات على تحقيق الغرض المحدد مهما بلغت التضحيات ، ومهما كانت النتائج .

وفي هذا المجال كان الامام واضحاً مع نفسه ، كما كان واضحاً مع أصحابه .

انهم كانوا يعرفون هدفهم : فالنظام فاسد وقد داس على الحق ، وامات السنة وأحيا البدعة ، واستأثر بالفيء ، وغيرّ المقاييس وبدل . فهو بكلمة : لم يعد يلتزم بالدين الذي يأمر بالعدل والحرية .

ولذلك فانهم يحاربونه .

والهدف من الحرب هو : إيقاظ الضمائر على حقيقة الوضع ، وهز وجدان الامة ، ومقاتلة اركان النظام .

وهكذا فان اصحاب الامام كانوا يتمتعون بوضوح الرؤية ، فالقضية عندهم لم تكن معقدة .

فهناك دين الله الذي يجب ان يسود .

وهناك النظام الذي يمنعه من تحقيق اغراضه .

فإذن : تجب مقاومة هذا النظام ، مقاومة لا هوادة فيها حتى ينالوا إحدى الحسنين . اما النصر او الشهادة . وفي كلاهما الانتصار : النصر يقضي

على النظام ، والشهادة ايضاً تقضي على النظام . فاذا انتصروا قضوا على النظام بأنفسهم ، واذ قتلوا استيقظ الناس ، وقضوا عليه . .

ولهذا الوضوح في الرؤية ، وتحديد الهدف نجد اصرارهم في التمسك بمواقفهم ، والاصرار في رفض المهادنة ، او المساومة .

فالامام كان قد حدّد لهم منذ البدء عدوه عندما قال :

« ان هؤلاء (مشيراً إلى أركان النظام) قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن . . » .

فالعدو هو النظام .

وسبب قتاله : انه انحرف من طاعة الرحمن الى طاعة الشيطان ، بكل ما تؤدي اليه هذه الطاعة من انحراف في السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، وعلى كافة المستويات الفردية ، والجماهيرية .

واما الهدف من القتال فقد حدده ايضاً :

« إنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي . اريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر ، واسير بسيرة جدي وابي علي بن أبي طالب . . » .

ولقد أدّى « ثبات المقصد » لدى اصحاب الامام إلى القتال حتى آخر رجل منهم ، من دون أن يفر ، أو يستسلم ، أو يخون أو - حتى يؤسر - رجل واحد منهم . . . واحد فقط !

وهي الحرب الوحيدة في التاريخ التي لم يستطع المنتصر فيها - رغم انتصاره - ان يأخذ اسيراً واحداً من الذين قاتلهم وانتصر عليهم[1] .

فكل الذين كانوا مع الامام صباح الحرب ، كانوا صرعى الى جانبه عند الغروب . .

---

(١) اما علي بن الحسين زين العابدين فانه لم يحارب لمرض شديد الم به .

لا أحد منهم فر . .

ولا أحد خان . .

ولا أحد استسلم . .

ولا احد لان . .

هذا في جانب الامام . .

أما في جانب العدو ، فانه كان مصاباً بالعمى في رؤ يته ، فهو لم يكن يدري بالضبط لماذا يحارب ؟ وما هو الهدف ؟

انه كان ولا يشك يقتل . .

ولكنه لم يكن يحارب .

وتلك هي نتيجة عقم ، وانحراف الرؤ ية .

فالرؤ ية اذا كانت سليمة ، وواضحة فان المقاتلين سيحاربون حتى آخر رجل . .

اما اذا كانت عقيمة ، ومنحرفة فان اقل هزة تكفي لاصابة المقاتلين بالهزيمة . .

ان عدو الثورة في كربلاء كان مصاباً بالانحراف في رؤ يته ، ولذلك فهو كان يقتل لكي يقضي على عدوه فقط . ولم يكن يحمل هدفاً .

وأي فرد منهم لو كان يدري انه سيقتل في الحرب لما اشترك فيها ، بل لو كان أصحاب عمر بن سعد يسمعون منه ما سمعه اصحاب الامام من الامام ، بأن كان عمر بن سعد يبرئهم من ذمامه ، ويقول لهم ـ كما قال الامام لأصحابه ـ « وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً » لما بقي منهم واحد على ارض كربلاء . . واحد فقط !

رابعاً ـ الجاهزية القتالية :

وتعني في العلم العسكري : الإنضباط ، وتنفيذ الأوامر دون تردد ، أو تباطؤ ، أو تذمر .

والإنضباط العسكري ، يعتبر من الضرورات القصوى في أية حرب ، إذ لا تدب الفوضى بين أي جيش إلا وتنقلب قوته إلى ضعف ، وشوكته إلى هزال . ففي العلم العسكري : أنه لا يمكن لجيش غير منضبط من أن يحقق أي نجاح في أية مهمة عسكرية ، ويحفل التاريخ بحكايات كثيرة عن الحروب التي انهزم فيها القوي نظراً لإنعدام الإنضباط العسكري لديه ، بينما أنتصر عليه الضعيف لإنضباطيته ، ونظامه .

.. وتعني الانضباطية العسكرية امرين :

الاول : الالتزام بالاوامر .

الثاني : التنسيق في الحرب .

أما من حيث الالتزام بالأوامر ، فقد كان أصحـاب الامام مثالاً رائعاً في هذا المجال .

فهم كانوا يلتزمون بأوامر الامام : كقائد ديني تربطهم به روابط الدين والتقوى ، ولذلك فان أياً منهم لم يدخل المعركة إلا بعد ان كان يأتي الامام ويستأذن منه . فاذا ما رأى الامام ان دخول هذا الفرد في المعركة في تلك الساعة ينسجم مع طبيعة الوضع القتالي الذي هم فيه ، كان يأذن له ، وإلا فلا .

وحتى حينما اشتدت المعـركة ، وبلغت أوج ضـراوتها الى درجـة ان الاستئذان بات شبه مستحيل : كان الرجل والرجلان يمران من أمام خيمة القيادة ـ حيث كان يجلس فيها ـ فيناديان :

ـ السلام عليك يا بن رسول الله . .

فإذا اجابهم الامام بقوله :

«وعليكم السلام ، ونحن خلفكم ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» . كانا يذهبان الى المعركة ، لأن هذا الجواب كان بمثابة : «نعم» من الامام . . هذا . . وكان الامام يباشر بنفسه قيادة المعارك ، وكان عند الحاجة يشترك فيها ايضاً .

ويذكر التاريخ : ان الامام رفض اصدار اذن لدخول المعركة لبعض أصحابه الذين رأى ان من غير الصالح مشاركتهم في حينه في القتال .

فهو لم يأذن لأخيه العباس بن علي بالقتال ، عدة مرات .

وكان العباس ينزل عند رغبته في كل مرة .

هذا من حيث الالتزام بالأوامر .

واما من حيث التنسيق في عمليات الحرب : فان الهجوم من قبل جنود الامام ، كان منسجمًا مع الدفاع . وكما يظهر من التاريخ فان المرحلة الاولى من المعركة كانت تدور على أساس ، أن يتحمل الهاشميون مسؤولية الدفاع عن المعسكر ، بينما يتحمل الأصحاب مسؤولية خوض المعارك . وقد تم الامر كما خطط له ، فلم يُقتل هاشمي واحد خلال المرحلة الاولى التي امتدت منذ الصباح والى ما بعد الظهر ، بينما سقط كل الـ «٧٢» من الاصحاب .

هذا ويبدو التنسيق العسكري ايضاً في معركة الصلاة . وقصة هذه المعركة هي : انه عندما شارفت الشمس على الزوال ذكر احدهم الامام بالصلاة قائلاً :

«أبا عبد الله . . نفسي لك الفداء . اني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك ان شاء الله ، واحب ان القي ربي وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها . .» .

فقال له الامام :

ـ ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين الذاكرين . نعم هذا اول وقتها .

واضاف :

- سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي .

ولكن العدو رفض الهدنة لأجل الصلاة ، فما كان من الإمام إلا وغيرّ خارطة المعارك ، فأمر بإقامة الصلاة بعد أن قسّم أصحابه الى ثلاثة أقسام :

١) قسم يحارب العدو ، ويشغله بالحرب .

٢) قسم يصلي مع الامام .

٣) واثنان يقفان امامه كقوة طواريء ، لرد اي عدوان يقوم به بعض المتسللين عبر تشابك قوة الهجوم معهم .

وقد وقعت معركة عنيفة قبيل بدء الصلاة ، اشتركت فيها ميمنة الامام ، بقيادة حبيب بن مظاهر ، وقتل فيها قائد الميمنة ، ولكنها استطاعت ان تبعد العدو ، وتوقع في صفوفه الذعر والفوضى ، مما أعطى فرصة جيدة للامام للبدء بالصلاة .

أما اللذان وقفا امام الحسين فقد دافعا عنه دفاعاً غريباً لم يذكر التاريخ مثيلاً له . .

فقد اندفع العدو لمقاتلة الامام في حالة الصلاة ، ولكن الذين كلفّوا بمهاجمته ، واشغاله ريثما تتم صلاة الامام ، استماتوا في الصمود ، والحقوا به الهزيمة . .

وعندما فشل في الهجوم بالسيف والرمح ، عمد إلى الهجوم عليه بالنبال ، وقد اشتركت في ذلك مجموعات من النبالة .

وجاءت السهام كالمطر !

فتصدى لها الرجلان اللذان كلفا بالوقوف امام الحسين واسمهما : سعيد ابن عبد الله . وزهير بن القين - فكان كلما جاء سهم باتجاه الامام مالا اليه بيديهما . وصدريهما ، ووجهيهما ، لكي يمنعا وصوله الى الامام .

وكانا يتسابقان في تلقي سهام العدو .

وهكذا صلى الامام وسط معركة حامية ، وسهام تتطاير ، وجو مشحون بالرعب . .

صلى الامام رغم سقوط حبيب بن مظاهر قائد الميمنة قبيل البدء في الصلاة .

صلى وسط الساحة، ليبرهن على عقائدية المعركة من جانبه . فهو يحارب لله والمستضعفين لا يريد من أحد شيئاً ولا يبحث عن مغنم ، والصلاة واجب من قبل الله . اذن فليقتل « وحبيب » من اجل اداء واجب الله .

ان الناس : مجرد عبيد وهم يكسبون قوتهم من خلال مدى تمسكهم بدين الله ، وصمودهم في إقامة واجباته رغم قساوة الظروف ، وشدة الحالة .

ان التاريخ يذكر : ان الامام قدم قربانين من اجل الصلاة ، احدهما حبيب ، والثاني سعيد بن عبد الله الذي وقف مع زميله زهير بن القين امام الحسين . . .

فما ان أتم الامام صلاته حتى سقط على الارض من كثرة الجراحات التي احدثتها سهام العدو في وجهه ، ويديه ، وصدره . .

وقبل ان يسقط نظر الى الإمام وقال ـ مع آخر انفاسه :

ـ أوفيتُ يا أبا عبد الله ؟

واجابه الامام :

نعم ـ أنت أمامي في الجنة ! .

٥ . عوامل الصمود .

كانت الحرب التي يخوضها الامام ـ من الناحية القتالية ـ حرباً دفاعية .

واذا لم تكن هناك مدينة او ارض يدافع عنها الامام فقد كانت « الخيام » التي نصبها على رمال الأرض ، وكان يسكنها الأطفال والنساء هي المنطقة التي يدافع عنها .

أما لماذا كان على الامام ان يتخذ موقع الدفاع؟ فلأن قوات العدو كانت تزيد على قوة الامام بنسبة : الف على واحد ـ حسب كثير من التقديرات ـ وهذا يعني أن اقل هجوم من العدو كان يكفي لاكتساح معسكر الامام من أساسه .

ولكن طريقة الامام في الحرب ، وحفره للخندق ، أجبر العدو على الحرب من جهة واحدة ، وقطع الطريق امام قيامه بهجوم كاسح عليه .

وبذلك ضيق ساحة الحرب ، وسد أبواب المناورة وخفة الحركة ، على العدو .

ولكي نفهم شيئاً من تكتيك الامام لا بد ان نقارن بين معركة كربلاء ، ومعركة « الأحزاب » التي خاضها النبي لوجود أوجه شبه كثيرة بينهما ففي كلتا المعركتين حفر الخندق ، وفي كلتاهما كان العدو أكثر عدداً ، وأقوى عدة ، وفي كلتا المعركتين فوجيء العدو بوجود الخندق .

ففي معركة الاحزاب : كان الخندق بدعة جديدة لم يعرفها العرب من ذي قبل .

وفي معركة كربلاء كان وضع النار في الخندق بدعة جديدة لم يعرفها العرب من ذي قبل ايضاً .

أما سبب وضع النيران في الخندق فكان من اجل منع الخيل من الوصول الى مخيم الامام ، لأن الخيل عادة تخاف من النار كثيراً .

وهذا ما اسقط في يد العدو . فقد كان العدو يخطط من اجل هجوم كاسح من كل جانب ، ولكنه فوجيء عند بدأ الهجوم بنيران الخندق تقف حاجزاً بينه وبين معسكر الإمام ، واضطر لذلك الى التراجع وكلفه ذلك الكثير من روحه المعنوية ، وكلمات قواد العدو في ذلك تكشف عن حنقه الشديد لهذه المفاجئة . .

فقد قال شمر بن ذي الجوشن :

ـ « يا حسين . . استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة ؟

فقال الامام :

ـ « يا بن راعية المعزى . . أنت اولى بها صليا » .

الا ان الفارق كبير بين جنود الامام ، وجنود النبي ويبدو واضحاً في الروح المعنوية .

فإذا كان اصحاب النبي ـ ص ـ في معركة الأحزاب قد فقدوا روحهم المعنوية ، وزلزلت نفوسهم ، بل وفقد بعضهم عقيدته ، رغم ان قوات المشركين لم تكن تزيد على ثلاثة الى واحد ، حتى قال عنهم الله تعالى : « اذ جاؤكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون ، وزلزلوا زلزالاً شديداً . . »

إذا كان اصحاب النبي كذلك ، فان اصحاب الامام لم يزيدوا ـ بقوة

العدو وتنز ـ الا ايماناً ، وصلابة وخفة في القتال .

ان هذه ميزة لم نجدها الا قليلاً جداً في المجموعات التي حاربت في ظروف مماثلة .

فالروح المعنوية كانت تزداد صلابة في جنود الامام كلما ضعفت قوتهم ، وتساقط عدد اكبر منهم على الارض !

والسؤال الآن هو،

ما هي عوامل الصمود لدى جنود الأمام

وبعبارة اخرى : ما هي العناصر التي تشكل العامل المعنوي والتي تؤثر بشكل متفاوت في المحصلة النهائية للمعنويات لنرى الدور الكبير الذي لعبه اصحاب الامام في هذا المجال : والجواب : يقول العلم العسكري ان عوامل الصمود هي :

أ ـ القناعة بعدالة القضية :

إن طبيعة « الدفاع عن الحق » تعطي المقاتلين قوة معنوية ضخمة ، فالجندي الذي يؤمن بالقضية التي يقاتل من أجلها ، ويؤمن بعدالتها يستطيع ان يصنع المعجزات . لأن مثل هذا الجندي لا ينهزم مهما كانت القوة التي تواجهه كبيرة ، والهزيمة تبتدأ عادة بالروح وتنتهي بالقتال ، وما دام أنه مؤمن بموقفه ، فلن يعرف الهزيمة .

وأصحاب الامام كانوا يعرفون أنهم يدافعون عن مقدساتهم ولذلك فإنهم كانوا يتسابقون الى الموت للفوز في أسرع وقت ممكن بجنة الله التي أعدت للمجاهدين :

١) يأتيه احدهم للاستئذان بدخول المعركة ، فيستبطؤه الامام ، فيقول له : ـ « أفلا نروح الى الجنة ؟! » .

٢) ويثخن الآخر بجراحه ، فيحمل الى ابن أسعد حياً ، فيقول له ابن سعد ، وهو ينزل السيف على رأسه :

ـ كيف ترى صنع الله بك ؟

فيجيب :

ـ « أرى صنع الله في خيراً » !

٣) ويسقط الآخر على الأرض فيقول :

ـ « اللهم العنهم لعن عاد وثمود . اللهم بلغ نبيك عني السلام ، وابلغه ، ما لقيت من ألم الجراح ، فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك . .

٤) ويرتجز احدهم قائلاً :

صبراً على الأسياف والأسنة   صبراً عليها لدخول الجنة
وحور عين ناعمات هنه   لمن يريد الفوز لا بالظنة
يا نفس للراحة فأجهدنه   وفي طلاب الخير فأرغبنه

فالقضية هي قضية « جنة » لا يمكن الدخول فيها الا من على مشارف الحراب . فلا بد من الصبر على الأسنة والرماح !

٥) ويرتجز آخر :

أن تسألوا عني فإني ذو لبد   من فرع قوم من ذرى بني أسد
فمن بغاني حائد عن الرشد   وكافر بدين جبار صمد

إذن فهو يحارب الكفار المنحرفين عن طريق الحق والعدل . وماذا لو صبر الانسان في مقاتلة الكفار غير الجنة ؟!

٦) ويرتجز آخر :

أقسمت بالله العلي الأعظم   وبالحجون صادقاً وزمزم
وبالحطيم والفنا المحرم   ليخضبن اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذي الفخار الأقدم   إمام أهل الفضل والتكرم

انه على يقين ـ يحلف عليه ـ بأنه يدافع عن « امام اهل الفضل والتكرم » ، وهذا يرفع معنويته الى درجة انه يطلب ان يخضب جسمه بدمه !

٧) ويرتجز آخر ـ ومعه ابنه يحارب معه ـ :

اليوم يا نفس إلى الرحمن   تمضين بالروح وبالريحان
اليوم تجزين على الاحسان   قد كان منك غابر الزمان
ما خط باللوح لدى الديان   فاليوم زال ذاك بالغفران
لا تجزعي فكل حي فانٍ   والصبر أحظى لك بالأمان

إنه يحارب . وبالحرب يغسل ذنوبه ويذهب الى الرحمن . صحيح ان الصبر على الموت صعب . ولكن اليس كل إنسان يموت اذن لماذا الجزع ما دام ان الصبر احظى بالامان ؟!

وعندما مات الأب تسلم الابن دفة المعركة . وكان يرتجز :

صبراً على الموت بني قحطان   كيما نكون في رضى الرحمن
ذي المجد والعزة والبرهان   وذي العلا والطول والاحسان
يا ابتا قد صرت في الجنان   في قصر در حسن البنيان

أبوه صار في الجنان . فيا بني قحطان اقتدوا به . واصبروا على الموت حتى تحظوا ـ مثله ـ يرضى الرحمن !

٨) ويرتجز آخر :

أنا ابن عبد الله من آل يزن   ديني على دين حسين وحسن
أضربكم ضرب فتى من اليمن   أرجو بذاك الفوز عند المؤتمن

إن دينه على دين (سيدا شباب أهل الجنة) ، ولذلك فإنه يرجو الفوز عند المؤتمن !

٩) ويرتجز آخر :

أقدم حسين هادياً مهدياً   اليوم تلقى جدك النبيا
ثم أباك ذا العلا عليا   والحسن الخير الرضا الوليا
وذا الجناحين الفتى الكميا   وأسد الله الشهيد الحيا

إنه الموت . . . ولكن ما الذه إذا كان يؤدي الى لقاء النبي ، والامام علي ، والامام الحسن ، وحمزة ، والطيار ؟!

١٠) ويرتجز آخر :

قد علمت حقاً بنو غفار وخندف بعد بني نزار
بأنني الليث المزبر الضاري لأضربن معشر الفجار
بحد سيف ذكر بتار يشع لي في ظلمة الغبار
دون الهداة السادة الأبرار رهط النبي أحمد المختار

فهو يضرب « الفجار » : دفاعاً عن « السادة الأبرار » أصحاب القيادة الرشيدة العادلة وهذا ما يعطيه قوة فوق قوته . ويزيده شجاعة فوق شجاعة الأسد الضاري .

١١) ويرتجز آخر :

أنا الغلام اليمني الجملي ديني على دين حسين وعلي
أن أقتل اليوم فهذا أملي وذاك رأيي وألاقي عملي

دينه : دين الحق .

وأمله : الشهادة .

والموت : قناعته . وملتقى عمله . أية معنوية يمكن ان تكون أقوى من معنوياته ؟!

١٢) ويرتجز آخر :

اليوم ألقى مسلمًا وهو أبي وفتية باتوا على دين النبي
ليسوا بقوم عرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب

فقيادته : صادقة النية ، صادقة العمل ، طيبون ، شرفاء الأروقة ، ودينهم على دين النبي !

والقتل : طريق الى لقاء الأب . . .

١٣) ويرتجز آخر :

نشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد تركوا معالم القرآن وأظهروا الكفر مع الطغيان

ولذلك فإنه يقاتلهم !

١٤) ويهم أحدهم بدخول المعركة ، فيهرول اليها ، وهو يقول مخاطباً الامام :

- « اشهد إنّي على هداك وهدى أبيك » !

١٥) ويستأذن الامام عبد من عبيده اسمه جون ، فيقول له الامام :

- « يا جون . . إنما لحقتنا طلباً للعافية . . فأنت في حل مني . فيلتمسه العبد قائلاً :

- « سيدي . . . انا في الرخاء الحس قصاعكم ، وفي الشدة اخذلكم ؟! »

وأضاف :

- « يا ابا عبد الله . . ان ريحي لنتن ، وان لوني لأسود ، وان حسبي للئيم ، فتنفس علّي بالجنة ليطيب ريحي ، ويشرف حسبي ، ويبيض لوني . . . » .

« لا . . . والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم أهل البيت ! » .

١٦) ويقف امامه واحد منهم - واسمه حنظلة بن اسعد - ، لتلقي السهام والرماح في هجوم قام به العدو ، فينادي به :

- « يا قوم . . . اني اخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلمًا للعباد ، ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد (يوم القيامة) ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم !

«يا قوم . . . لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذابه ، وقد خاب من افترى . . .

فيقول له الامام :

« يا ابن اسعد . . . رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم اليه من الحق ، ونهضوا اليك يشتمونك واصحابك ، فكيف بهم الآن وقد قتلوا اخوانك الصالحين ؟

فيقول ابن اسعد :

ـ « صدقت ـ جعلت فداك ـ أفلا نروح الى ربنا ، فنلحق باخواننا ؟ » !

فيقول له الامام :

ـ « بلى . . . رح الى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، والى ملك لا يبلى » .

فيهرول الرجل الى « الملك الذي لا يبلى » ، وهو يلوح بيده الى الامام علامة الوداع ، ويتلاشى على الساحة صوته وهو يقول :

ـ « السلام عليك يا ابن رسول الله ، وعلى أهل بيتك وجمع الله بيننا ، وبينك في الجنة . . . » !

* * *

ومع اليقين بأنهم يحاربون من اجل الله وما يأمر به من العدل وعدم الرضوخ للظلم ، ونيل الجنة ، كانوا يرون أنه قد انطبقت عليهم كلمات الله التي تقول :

ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا . . . هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟ ﴾

﴿تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم ، وانفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون : يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري

من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم ، واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ . . . .

مع هذا اليقين كانوا يقاتلون العدو ، ويلقون الذعر في صفوفه ، ويشيعون الفوضى في نفسية أفراده ، حتى يضطر قائدهم الى ان يطلق « نداء التجمع » والوحدة ويقول :

- « لا تخرجوا عن طاعة إمامكم ، ولا تفرقوا الحوزة المجتمعة ، ولا يكونن خروج هذه الشرذمة القليلة عن الدين (. . . .) وعصيانهم للامام (. . . .) يدخل الشك عليكم . . . » .

* * *

ب ـ التحريض على القتال :

يعتبر التحريض على القتال عنصراً أساسياً في رفع الروح المعنوية لدى المقاتلين من اجل اذكاء شعلة الحماس في نفوسهم ، وشدهم الى القضية التي يحاربون من اجلها ، وبذلك يصبح جميع المحاربين في حالة يقظة ثورية ، وشوق دائم الى لقاء العدو .

ومع ان اصحاب الامام لم يكونوا بحاجة الى التحريض ، والحض لأن كل واحد منهم كان يعتبر نفسه صاحب القضية ، فكان يحض الآخرين على القتال .

ومع ذلك فإن الامام كان يولي هذا الجانب أهمية خاصة ، فهو من جانب كان يحرض أصحابه على القتال من حيث انه « قنطرة » تمتد من الدنيا ، الى الجنة . وهو من جانب آخر كان يحرضهم عليه عن طريق الاستغاثة ونداءات التفجع .

خطب فيهم ليلة عاشوراء ـ بعد تصفية المعسكر من المنافقين والخائفين ، وأصحاب المطامع ـ وقال فيما قال :

- « إن لكم درجات لن تنالوها إلا بالشهادة » .

وقال :

- « إن كنتم قد وطنتم انفسكم على ما وطنت عليه نفسي (إن كنتم مصممين على ما صممت) فأعلموا : ان الله تعالى انما يهب المنازل الشريفة لعبادة باحتمال (تحمل) المكاره . وان الله تعالى ان كان قد خصني مع من مضى من أهلي - الذين أنا آخرهم بقاءاً في الدنيا - من المكرمات بما يسهل علي معها احتمال المكاره ، فإن لكم شطراً من ذلك من كرامات الله . . . .

وأضاف :

- « واعلموا : ان الدنيا مرها وحلوها حلم والانتباه في الآخرة ، والفائز من فاز فيها (الآخرة) والشقي من شقى فيها . . . » .

وعندما احتدمت المعارك يوم عاشوراء ، قام يصيح في اصحابه :

- « يا كرام .. هذه الجنة قد فتحت ابوابها ، واتصلت انهارها واينعت ثمارها . . . » .

« وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم ، ويتباشرون بكم فحاموا عن دين الله ودين نبيه ، وذبوا عن حرم رسول الله .

كما ان نداءاته المتكررة التي كان يطلقها من اجل اشعال فتائل الحماس في نفوس اصحابه ، والتي كان يقول فيها :

- « اما من ذاب يذب عنا ؟

اما من مغيث يغيثنا ؟

اما من مجير يجيرنا ؟

اما من طالب حق ينصرنا ؟

اما من خائف من النار فيذب عنا ؟ »

كانت لنداءاته هذه ابلغ الأثر في تشجيع اصحابه على القتال ، واستلذاذ الموت والشهادة .

فإن يكون الانسان ، مدافعاً عن مظلوم ، نجدة له على الظالم ، يعطيه القدرة الخارقة على القتال ويرفع من معنوياته .

هذه مجموعة من اصحابه يخرجون الى العدو ، وهم يقولون للامام في حماس عظيم :

« نفوسنا لنفسك الفداء . . . ودمائنا لدمك الوقاء . فوالله لن يصل اليك والى حرمك سوء وفينا عرق ينبض » .

وهذا « برير بن خضير » يخرج الى المعركة ـ وقد تـأثر من نـداءات الامام ـ ويصيح في العدو كأنه الرعد :

« إقتربوا مني يا قتلة المؤمنين . . .

« إقتربوا مني يا قتلة اولاد البدريين . . .

«إقتربوا مني يا قتلة أولاد خير المرسلين . . . »

وهذه النداءات ـ التي يذكر التاريخ ان الامام كان يطلقها بين الفينة والفينة ، رغم ان وجهه كان يتلألأ كلما اشتدت المعارك ضراوة وسقط اعزائه ـ كانت تؤثر على النساء ، فكن يحثن رجالهن على القتال . . .

فهذه احداهن تتأثر بنداءات الإمام فتأتي الى ولدها وتقول له :

« لا أرضى عنك حتى تقتل بين يدي ابن بنت رسول الله . . . »

وجاء رجل إلى الإمام ـ وقد اثارته النداءات ـ فقال :

« السلاك عليك يا أبا عبد الله ـ وهرول إلى ساحة القتال وأضاف : قد هممت ان الحق بأصحابي ، وكرهت ان اتخلّف فأراك وحيداً من أهلك ، قتيلاً . . . » .

وأجابه الإمام :

« تقدم . . . فإنا لاحقون بك عن ساعة ! »

وكان كلما تقدم احد اصحابه ليرمي معسكر العدو كان الإمام ينادي - محرِّضا إياه :

« اللهم سدّد رميته . واجعل ثوابه الجنة » .

. . . وعندما قتل الأصحاب كلهم ، وبقي بنو هاشم شجعهم الامام على الحرب ، وحثهم على القتال ، بأن قدَّم ولده علي الأكبر ليكون أول قتيل منهم . كما شجعهم العباس أيضاً . وعندما قتل بعضهم صاح بهم الإمام :

« صبراً يا بني عمومتي . . .

« صبراً يا أهل بيتي . .

« لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً . . . »

وقد رفع هذا التحريض على القتال ، من قـدرة جنود الإمـام على الصمود والقدرة على القتال ، فكان الواحد منهم يقتل خمسين ، وستين ، ومائة ، ومائتين .

أما الإمام نفسه فكان يقتل في بعض الحملات ، الكثير ، الكثير ، ثم يرجع الى القاعدة سالماً .

إذ كلما هجم على العدو - بروحه المعنوية العالية - دبّ في صفوفه الذعر والفوضى ، فكانت الخيل تتراجع ، فيطيح منها من يطيح ، وتدوسه الحوافر ، بل ربما كان بعضهم يقتل زملائه من اجل فتح الطريق لنفسه للفرار من غضبة سيف الإمام . . .

* * *

ج - ثبات القائد وإخلاصه :

لقد اقسم اصحاب الإمام أن لا يصل اليه سوء مـا دام لهم عرق ينبض . وهذا يعني أنه ما دام أن الإمام يصمد أمام العدو فهم لا شك صامدون . . .

ولكن . . . ليس مجرد القسم يمكن ان يدفع صاحبه الى تحدي الموت . . . .

وإنما ثبات القائد عملياً له ابلغ الأثر على الجنود . . .

يقول خبراء الفنون الحربية . ان لشجاعة القائد الشخصية وثباته عند الشدائد الأثر الكبير في تثبيت الرجال في مواقعهم القتالية ، حتى أن التاريخ العسكري لم يقدم حادثة ، واحدة فرّ فيها الجنود من المعركة ما دام قائدهم يقاتل في المقدمة .

وهكذا أيضاً كان الإمام مع أصحابه .

لقد كان يشاركهم القتال . ويصمد أمام العدو ، ويستبشر كلما سقط منهم شهيد !

وبذلك قاد أصحابه ـ بعد زرع الوعي في نفوسهم ـ الى الموت المحتم ، وهم راضون مستبشرون ـ كما كان مستبشراً ـ فكانوا كما قال الشاعر :

قوم اذا نودوا لدفع ملمة والخيل بين مدعَّس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفسِ

يقول الله تعالى : ﴿ **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة . ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل ، أو يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيمًا . . .** ﴾ .

يلتقي احد اصحاب الإمام ـ وهو برير بن خضير ـ بزميل له واسمه عبد الرحمن ـ صباح عاشوراء ، فيمازحه برير . فيقول له عبد الرحمن :

ـ يا برير . . . دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل ؟

فيقول برير :

« والله لقد علم قومي أني ما أحببتُ الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكن ـ والله ـ إني لمستبشر بما نحن لاقون . »

ثم يتطلع الى رؤوس الحراب وهي تملأ الصحراء ، ويضيف :

« والله ليس بيننا وبين الجنة إلا ان يميل هؤلاء علينا بأسيافهم .. ولوددت انهم قد مالوا علينا بأسيافهم حتى الآن !» .

ومثل هؤلاء لا يرهبون الموت ، لأن الموت عندهم بوابة الجنان . وهناك سيجدون ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

فقناعتهم بأنهم على بوابة الجنان .

وثبات قائدهم ، ذلك الثبات العظيم الذي كان نابعاً من اخلاصه والذي جعله لا يكترث بمقتل اصحابه ، بل لا يزيد ـ عند سقوط الواحد منهم ـ على قوله :

« عند الله احتسب نفسي وحماة اصحابي ... » .

فهو ما دام « يحتسب عند الله » فلا يهمه شيء . بل ان كل مصيبة مكرمة . وكل عذاب هو فرح . وكل ألم هو راحة .

ان دفتر الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، وان غداً السباق ، والسبقة الجنة ، والغاية النار . ودفتر الله شاهد صدق .

فليمت كل أصحابه ...

وليفقد كل بنيه ...

ولتحمل رؤوسهم على الرماح ..

فالله هو الشاهد . والشاهد هو الحاكم .

اقول ... لثبات قائدهم هذا ، كان الأصحاب يتسابقون الى الموت ، كما يتسابق الأطفال إلى الحلويات في يوم العيد .

* * *

ان نظرةً فاحصة على نتيجة الحرب بين الإمام ، والعدو تكشف لنا عن

الاستـراتيجية والتكتيـك الرائعـين اللذين اتبعهما الإمـام في كافـة عملياتـه العسكرية .

لقد كان جيش العدو كبيراً ـ كما ذكرنا .

وكان يحتل الماء . ويملأ السهول ، والتلال . .

بينما كان عدد أفراد الإمام قليلاً .

وكانوا يحاربون في ظروف صعبة للغاية، فبالإضافة الى عدم تكـافؤ القوى ، كان هنالك عامل ضغط العطش والجوع الذي مارسه العدو حينما سدّ عليهم الماء ، كما حرمهم من الطعام طيلة يومين . . .

ومع ذلك فقد قتل من اصحاب الإمام كلهم . . . وهم مائة رجل . . .

بينما قتل من افراد العدو اكثر من عشرة آلاف ـ كما يذكر المؤرخون ـ حتى انه لم يكن بيت في الكوفة إلا ودخلته « ناعية » .

واذا أخذنا نسبة القتلى الى نسبة الجنود لوجدنا ان العنصر الأساسي ، في هذه المعركة لم يكن القتال ، بل الاستراتيجية العليا لكل من الطرفين المتصارعين .

والنتيجـة هي التي تكشف عن فوضـوية العـدو في قتالـه ، وتفـوق إستـراتيجية الإمام . فالعدو كان يحارب بروح بدوية جاهلة ، بينما الإمام كان ينطلق من قاعدة : « رحم الله من عمل عملاً فاتقنه » . وأي عملٍ أهم من الحرب ؟ .

ومعروف : ان العامل المعنوي يعتبر أحد العناصر الهامة في كل حرب ، لأن النتيجة في النهاية تعتمد على حالة الروح المعنوية لأولئك الجنود الذين تسيل دمائهم في ميدان القتال ، حتى ان خبراء العسكرية يعطون العامل المعنوي نسبة ٧٥٪ بينـما يعطون لبقيـة العوامـل كالتـدريب ، والتسليح ، والإمداد ، نسبة ٢٥٪ .

وقد رأينا كيف ان أصحاب الامام كانوا يملكون كل عناصر العامل

المعنوي من : القناعة بعدالة القضية . الى التحريض على القتال ، الى ثبات القائد واخلاصه .

* * *

وهكـذا . . . فإن الثـورة لم تكن عملية عشـوائية ، وإنمـا كانت : مخططة ، مدروسة ذات استراتيجية عليا ، واهداف ، وشعارات . . .

وهكذا يجب أن تكون ! .

قيم الثورة

قناديل على طريق النضال



١ الفرقة من أجل الحق خير من الاجتماع على ضلال

أيهما الأهم : الوحدة ، أم الحق ؟

إذا كانت الوحدة متعذرة إلا إذا جاءت على حساب الحق والعدل ، فهل الحفاظ عليها يكون واجباً ؟

بعض الناس ـ وربما بعض الايديولوجيات أيضاً ـ ترى أن الوحدة هي بذاتها قيمة حقيقية ، وإنها « أفضل » ، حتى وإن كانت على ضلال ، من التفرقة من أجل الحق .

فلتكن الامة مجتمعة على رأي واحد ، وليكن ما يكون . .

فالوحدة مع التخلف ، والجهل ، والباطل أفضل في ـ رأي هذه الطائفة ـ من الفرقة وإن كانت من أجل التطور ، والتقدم ، والحق .

ونستطيع أن نؤكد أن هذا رأي أهل الباطل من الناس الذين يحبون الركون إلى « الوحدة » ليس من حب في الوحدة ، وإنما خوف من الصراع ، ومسؤولياته .

ولذلك فإن هؤلاء يخالفون كل من يخرج الصراع للحرب مع قطع النظر عما إذا كان سكوت البعض على حق أم على ضلال ؟

إن كلام هؤلاء للانبياء كان واحداً على طول التاريخ :

« لم تخالف ما أجمعنا عليه ؟ » .

وكان السلاح الذي شهرته السلطات ـ ومن ورائها المستسلمين للواقع الفاسد ـ ضد الثائرين هو سلاح : الحفاظ على وحدة الامة .

أما في رأي الامام الحسين ، فالأمر يختلف .

إن « الوحدة » لا قيمة لها إلا إذا جاءت من أجل تحقيق الحق ، وابطال الباطل .

فالقيمة « للحق » وحده . فإذا ما تعرض الحق للاهتزاز فلا يجوز الصمت تحت شعار : الحفاظ على الوحدة .

إن الامام الحسين يؤمن بأن احداث الفرقة ضرورة حياتية اذا كانت وحدة الامة على ضلال . .

لقد كان المجتمع مستسلمًا لحكم يزيد . فكان هنالك اتفاق صامت على خلافته ، وربما استمر على ذلك سنين طويلة ، لولا أن الامام الحسين شق ـ ما يسميه الخاتفون من الحق ـ عصا المسلمين ، وضرب بحطامه عرض الحائط .

لقد كان منطق البعض مع الامام :

« ألا تتقي الله تخرج من الجماعة ، وتفرق بين هذه الامة » ؟

وكان جواب الامام .

« لي عملي . ولكم عملكم . أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون[1] » .

يكتب اليه ممثل السلطات في مكة المكرمة : عمرو بن سعيد رسالة « ودية » بعد خروجه باتجاه العراق يقول له فيها :

« أما بعد . .

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٧ .

فـإني اسـأل الله ان يصـرفـك عـما يـوبقـك ، وان يهـديـك لما يرشدك(. . .) .

بلغني انك قد توجهت الى العراق . واني اعيذك بالله من الشقاق فإني اخاف عليك فيه الهلاك . وقد بعثت اليك عبد الله بن جعفر ، ويحيى بن سعيد فأقبل الي معهما ، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار . ولك الله علي بذلك شهيد وكفيل ومراع ووكيل .

والسلام . » .

فيجيبه الامام برسالة جوابية :

« أما بعد . .

فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا الى الله عز وجل وعمل صالحاً ، وقال : اني من المسلمين . .

وقد دعوت الى الامان والبر والصلة . فخير الأمان ، امان الله ، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا .

فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا امانة يوم القيامة . فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة . .

والسلام[1] » .

فالقيمة هي : في الدعوة الى الله والعمل الصالح . وليذهب صمت المجتمع وهدوئه الى الجحيم .

هذه هي : نظرة الامام و . . الثورة !

---

(١) المصدر ص ٢٨٠ .

٢ من لا يحق له ان يحكم لا يحق له ان يملك

الذي لا يحق له ان يحكم هل يملك ؟

هل تملك ـ مثلاً ـ السلطة التي تحتل كراسي الحكم بالباطل : أن تجبي الضرائب ، وتتصرف في الأراضي ، وتتسلم هدايا الناس للحكام ؟

إن الذي ليس كفؤاً لإدارة البلاد مغتصب ولا بد أن لا يملك ، وإلا لأصبحت ملكيته مكافأة له على الغصب والاحتيال .

وهذا ما لا يقره قيم الدين .

إن النبي حاول أن يصادر « عير قريش » ، وهي محملة بالبضائع التجارية من الشام إلى مكة لأن حكام مكة ـ الذين كانت العير لهم ـ كانوا يحكمون بالباطل ، ويغتصبون أملاك المسلمين ويستأثرون بما الناس فيه اسوة .

فهم لم يكونوا يملكون السلطة على بلاد الله . ومن ثم فهم لا يملكون . . وهكذا فعل الامام الحسين . في طريقه إلى كربلاء ـ وبالضبط في منطقة تنعم القريبة من مكة ـ صادف جمالاً محملة بالهدايا من الورس والحلل إلى يزيد بن معاوية ، بعث بها عامله على اليمن ، فصادرها الامام ، وقال لأصحاب الجمال :

ـ من أحب أن ينطلق معنا ، وفيناه (أعطيناه) كراه (أجرته) وأحسنا صحبته . ومن أحب أن يفارقنا أعطيناه ـ هو الآخر ـ كراه . .

فالتحق بعضهم به . وفارقه آخرون ، ولكن الهدايا أصبحت في حوزة الثورة ولم تصل إلى يزيد ! .

٣ الحرب .. مناقبية اولاً وخدعة ثانياً . . .

في الحرب يقتل الانسان عدوه ، أو هو يحاول ذلك .

والقتل يعني إزهاق الروح ، وحرمان صاحبها من الحياة إلى الأبد .

فالعدو يجرد سلاحه ، وأنت تجرد سلاحك ، وكل واحد منكما يريد أن يطعم صاحبه كأس الموت ، ويمنعه من الاستمرار في الحياة .

إذن .. فلا مكان للأخلاق هنا ، ما دامت المجابهة تصل الى حد القتل . .

ولكن .. لا .

إن الحرب التي يشنها الطغاة وأصحاب المصالح ، قد لا تستطيع أن تلتزم بالأخلاق . أما الحرب المقدسة التي يشنها أصحاب أهداف إنسانية ، فإنها لا يمكن أن لا تحمل ملامح أهدافها في نوعية الوسائل ، وطريقة استعمالها في كافة المراحل .

وإلا . . . فإن الهدف يبطل أن يصبح هدفاً ، إذا كان الذي يحارب من أجله يدوس عليه .

صحيح أن « الحرب خدعة » ويجوز فيها ما لا يجوز في غيرها أحياناً ، ولكن يبقى موضوع : « لا يطاع الله من حيث يعصى » ساري المفعول في كل مجريات الحرب .

إن الهدف يحدد الوسيلة .

وعلى المحارب المؤمن أن يتقيد بالوسيلة الشريفة ما دام هدفه شريفاً . هكذا حارب الامام الحسين .

إنه لم يشهر سلاحه في وجه عدوه ، إلا بعد أن شهر هو سلاحه في وجهه ، ورفض « السلام » معه ، رغم عشرات الخطب التي ألقاها هو وأصحابه محاولين إبعاد العدو عن اقتراف جريمة القتل .

وفي كل مراحل الثورة : كان الامام يلتزم ، ويوصي ، ويأمر بالأخلاق . حتى عاد أرشيف الثورة يحمل فصلاً مطولاً عن التزام المقاتلين ، التزاماً مطلقاً ، بالمناقبية الحربية طيلة أيام الثورة .

إن ثورة الامام كانت ذات إطار إيديولوجي - مناقبي وقد حافظت على هذا الاطار وفي كل مراحلها ، ومع كل الأطراف .

ونستطيع أن نجد أمثلة على ذلك لو استعرضنا بعض أحداث الثورة :

- في أول مجابهة بين الامام ، وبين طلائع قوة العدو التي كانت تتدفق من الكوفة لقتاله ، حصل الامام على فرصة ذهبية للقضاء عليها ، أو - على الأقل - إجبارها على التسليم ، أو الفرار .

فالجيش المعادي كان متعباً قد أنهكته الطريق ، كما أنهكه العطش .

ومعروف أن الجيش المحارب يفتش عادة عن طريقة قطع خطوط التموين عن العدو . لأن الجوع والعطش ينهكان الجيش أكثر مما ينهكه الحديد والنار . فالحديد والنار يمكن مقابلتهما بالحديد والنار ، ولكن بماذا يمكن مقابلة الجوع والعطش ؟

إن التاريخ يحتفظ في ذاكرته بأسماء جيوش كثيرة انهارت في الحرب لأن خط تموينها انقطع ، فحاصرها الجوع ، أو أنهكها العطش .

ولذلك كله فإن قطع الماء ، أو خط التموين عن العدو يعد ضربة قاضية له .

وهو لا يعد جريمة في الحرب ، خاصة إذا كانت الحرب عدواناً من طرف على آخر . .

ولقد حصل الامام على فرصة ممتازة لممارسة هذا الأمر مع عدوه ، عندما جابهته قوة قوامها الف جندي بقيادة الحر بن يزيد الرياحي ، ـ وكانت أول مجابهة بينه وبين أهل الكوفة .

وكان العدو يعاني من عطش حاد ، وتعب شديد إذ انه قضى عدة أيام صعبة في الصحراء ، وفي فصل الصيف ، حتى قطع المسافة بين الكوفة والغاضريات .

وعندما التقى بقوة دفاع الامام ، كانت آثار الانهاك والعطش بادية في وجوه كل أفراد العدو . . بينما كانت قوة الامام في أوج نشاطها ، كما انها كانت تحمل كميات من الماء تكفيها ليوم وبعض يوم . .

فما كان من الامام العظيم ، إلا أن أمر جيشه أن يسقوا رجال قوة العدو واحداً واحداً .

ليس هذا فحسب ، وإنما أمرهم ان يقوموا بسقي دوابهم أيضاً . .

ولأن جيش العدو كان كبيراً بالقياس الى جيش الامام ، فقد كان على كل واحد من أفراد قوة الامام ان يقوم بسقي عدة رجال ، وعدة دواب في وقت واحد .

ويذكر التاريخ ان الامام قام بنفسه أيضاً بإرواء عدوه بيديه الكريمتين . وكان ينادي برجاله :

ـ اسقوا القوم وأرووهم من الماء . ورشفوا الخيل ترشيفاً[1] .

وبهذا العمل الانساني بدأ مجابهته مع عدوه . وأراد ان يكون العطاء منه رغم ان عدوه رد هذا العطاء بمنع الماء عنه يوم الحرب ، وقبله ، وترك بعض

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٦ .

أطفاله ، ونسائه ، يموتون من شدة العطش على رمال الأرض .

ـ بعد ان رفض العدو السماح للامام بالعودة الى المدينة واتفقا على ان يسلك طريقاً لا يدخله الكوفة ـ من جانب ـ ولا ينتهي به الى المدينة من جانب آخر ، وان يظل يدور في الصحراء تحت مراقبة العدو ، حتى يتجلى الموقف ، ويعرف العدو الأوامر الصادرة من « ابن زياد » .

وبالضبط يوم ان وصل الى الامام خبر مقتل قيس بن مصهر الصيداوي ، الذي حمله الامام رسالة الى بعض شخصيات الكوفة ، اقترح « طرماح بن عدي » على الامام ان يذهب الى عشيرة « طي » التي كانت تقطن بين جبلي : « أجا » و « سلمى » في شمالي العراق وضمن للامام بعشرين الف مقاتل يضربون بين يديه بأسيافهم . .

وكان في استطاعة الامام ان يذهب الى « طي » ويحصل على العشرين الف مقاتل . ولكنه لم يفعل ، لأنه كان مقيداً مع عدوه باتفاقية المسير تحت مراقبته حتى تأتي الأوامر !

وكان فيما قاله الامام للطرماح قوله :

« ان بيننا وبين القوم قولاً لا نقدر معه على الانصراف . فإن يدفع الله عنا ، فقديماً ما انعم علينا . وان يكن ما لا بد منه ففوزة وشهادة انشاء الله تعالى[1] » .

ولأجل ان لا يخرق الاتفاقية مع عدوه ترك عشرين الف مقاتل !

ـ ان الامام رفض ان يحارب عدواً لا يعرف نسبه ، او أهدافه ، او نتائج محاربته له .

ولذلك فقد أوضح لعدوه : أسباب ثورته ، كما أوضح له آثار المقاتلة معه ـ دينياً ودنيوياً ـ . فقد القى أكثر من ست خطب ، كما ألقى أصحابه

---

(١) « مقتل الحسين » للمقدس السيد محسن الامين ص ٨٥ .

عدداً مماثلاً من الخطب في أفراد العدو ، ليوضحوا لهم : من هو الإمام ؟ ولمن يحارب ؟ وماذا يدعوه لذلك ؟ .

كما وضحّ مسؤولية العدو الخطيرة ، وجريمته الكبيرة ، إن هو أصر على قتاله :

١) فمثلاً قام الامام مرتين بتعريف نفسه . مرة قال لهم بعد ان قلد سيف رسول الله ، ولبس عمامته ـ وقد ورثهما من أبيه وأخيه :

« ايها الناس . . .

انسبوني من أنا ؟ ثم أرجعوا إلى انفسكم ، وعاتبوها ، وأنظروا : هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟

« ألست أبن بنت نبيكم ، وأبن وصيه ، وأبن عمه ، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه ؟

أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟

أوليس جعفر الطيار عمي؟

أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي : هـذان سيدا شبـاب أهل الجنة ؟

فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق ، والله ما تعمدت الكـذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، ويضرب من أختلقه .

« وإن كذبتموني فإن فيكم من ان سألتموه عن ذلك أخبركم : سلوا جابر بن عبـد الله الانصاري ، وأبـا سعيد الخـدري ، وسهل بن سعـد الساعدي ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي .

« أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي . . . » .

وأضاف :

«فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أني أبن بنت نبيكم ؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم .

« ويحكم . .

« أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ؟ أو مالٍ استهلكته ؟ أو بقصاص جراحة ؟ »

ثم نادى بأربعة من كبار قوّاد العدو وهم : شبث بن ربعي - قائد الخيالة - وحجار بن ابجر - قائد لواء مشكل من ألف مقاتل - وقيس بن الأشعث ، وزيد بن الحارث . وصاح فيهم :

« ألم تكتبوا إليَّ أن أقدم ، فقد اينعت الثمار ، وأخضر الجناب ، وإنما تقدم على جند لك مجند ؟ » .

قال أحدهم : لم نفعل !

فقال الإمام : بلى والله لقد فعلتم .

واستمر يخاطب أفراد العدو :

« أيها الناس . . .

«إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض . . . » .

فقال أحدهم : أفلا تنزل على حكم بني عمك ، فأنهم لن يروك إلا ما تحب . ولن يصل اليك منهم مكروه . . .

فقال له الإمام : « أنت اخو اخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ .

« لا والله . . . لا اعطيهم بيدي اعطاء الذليل ، ولا أفر فرار العبيد . . .

« عباد الله . . . إني عذت بربي وربكم ان ترجمون . . اعوذ بربي

وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب »[1] .

وهكذا كشف لعدوه موقعه من رسول الله . وبراءته من أي شيء يشين . كما كشف عن دعوة قوّاده له بالسفر اليهم . كما كشف عن تعميمه على مواصلة الكفاح حتى الموت .

وقد كرّر عملية التعريف بنفسه مرة اخرى عندما لبس عمامة رسول الله ، وتقلّد سيفه ، ووقف بينهم ونادى :

« أنشدكم الله هل تعرفونني ؟

«انشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله ؟

« أنشدكم الله هل تعلمون ان أمي فاطمة بنت محمد ؟

« أنشدكم الله هل تعلمون ان جدتي خديجة بنت خويلد ـ أول نساء هذه الأمة إسلاماً ؟

« أنشدكم الله هل تعلمون ان سيد الشهداء حمزة ، عم أبي ؟

«أنشدكم الله هل تعلمون ان جعفر الطيّار في الجنة عمي ؟

« أنشدكم الله هل تعلمون ان هذا (مشيراً إلى سيفه) سيف رسول الله أنا متقلدّه ؟

« « أنشدكم الله هل تعلمون ان هذه (مشيراً إلى عمامته) عمامة رسول الله أنا لابسها ؟

« أنشدكم الله هل تعلمون ان علياً كان أول القوم إسلاماً ، وأعلمهم علمًا ، وأعظمهم حلمًا ، وأنه وليّ كل مؤمن ومؤمنة ؟ . . . » .

وبعد ان اجاب العدو على كل هذه التساؤلات بالايجاب ، قال له الإمام :

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٣٠ .

« . . . فبِمَ تستحلون دمي ؟

« وأبي الـذائد عن الحوض ـ يوم القيامة ـ يذود عنه رجالاً كما يزاد البعير الصادر عن الماء . ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة ! » .

٢) والإمام ـ بعد ذلك ـ رفض ان يحارب عدوه إلا بعد ان كشف له عن طبيعة الحكام الذين يدافع العدو عنه ، ويضع نفسه تحت تصرفهم .

قال لهم في احدى خطاباته . . . .

« تباً لكم ايتها الجماعة وترحاً . . .

« أحين استصرختمونا والهين ، فأصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم ، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم ألباً لأعدائكم على اوليائكم بغير عدل افشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ؟ »

٣) ورفض ان يحاربهم ايضاً حتى يعرفهم نتائج اعمالهم لأنه لم يكن مستعداً لمحاربة من لا يفهم ماذا يفعل ؟

قال لهم مرة :

« الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرته ، والشقي من فتنته ، فلا تغرنكم هذه الدنيا ، فانها تقطع رجاء من ركن اليها ، وتخيّب طمع من طمع فيهـا ، وأراكم قد اجتمعتم على امر قد اسخطتم الله فيه عليكم ، واعرض بوجهه الكريم عنكم ، واحلّ بكم نقمته ، وجنبكم رحمته . .

« فنعم الرب ، ربنا . . وبئس العبيد أنتم ، اقررتم بالطاعة ، وآمنتم بالرسول محمد ، ثم انكم زحفتم الى ذريته وعترته ، تريدون قتلهم . !

« لقد استحوذ عليكم الشيطان فانساكم ذكر الله العظيم . فتباً لكم ، ولما تريدون . .

« إنا لله وإنا اليه راجعون .

« هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم فبعداً للقوم الظالمين »[1] .

ولم يكتف الإمام بذلك بل طلب من بعض أصحابه أن يقوموا بعملية توعية لعدوه ، لايقافه على خطورة الجريمة التي يرتكبها .

فتقدم زهير بن القين ونادى في افراد قوة العدو قائلاً :

« يا أهل الكوفة . .

« نذار لكم من عذاب الله . .

« . . نذار ! .

« ان حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم .

« ونحن حتى الآن اخوة ، وعلى دين واحد ، وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وانتم للنصيحة منا أهل ، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا امة ، وكنتم امة . » .

وأضاف :

« ان الله قد ابتلانا واياكم بذرية نبيه محمد (ص) ، لينظر ماذا نحن وانتم عاملون ؟

« وانا ندعوكم الى نصرهم ، وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد ، فانكم لا تدركون منهما إلا سوء عمر ، سلطانهما كله : ليسمّلان اعينكم ، ويقطعان ايديكم وارجلكم ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم امثال حجر بن عدي واصحابه ، وهاني بن عروة وأشباهه »[2] .

---

(١) مقتل الحسين ـ للمقرم ـ ص ٢٧٩ .

(٢) الطبري ـ ج ٤ ـ ص ٣٣١ .

ورغم انه لم يبق بعد كل ما قاله الإمام واصحابه للعدو أي عذر له الى استجابته ، مما فتح الطريق أمام الحسين واصحابه لشهر السلاح ، والدخول معه في المعركة ما دام مصراً على موقفه الخاطىء . .

رغم كل ذلك فان الامام امتنع ان يبدأهم بالهجوم . مع كل ما في الهجوم من اغراء الانتصار . .

وقد امتنع عن ذلك مرتين :

أ ـ مرة عندما جابهه الف جندي من جنود العدو ، وكان مع الإمام اذ ذاك عدد مماثل تقريباً ـ قبل أن يتفرق عنه طلاب الدنيا ليلة عاشوراء وقبلها . .

فقد قام العدو بتضييق الخناق على الامام ، فاقترح زهير بن القين الهجوم عليه ، قائلاً :

ـ أبا عبد الله . .

« إني والله لا ارى ان يكون بعد الذي ترون الا أشدّ ، وان قتال هؤلاء الساعة ، أهون علينا من قتل من يأتينا بعدهم » .

ولكن الامام رفض الاقتراح وقال :

ـ ما كنت لأبدأهم بالقتال !

ب ـ ومرة اخرى يوم عاشوراء ، عندما تقدم شمر بن ذي الجوشن مع الرجّالة لاكتساح معسكر الامام ، ففوجىء بالنيران التي تحيط بمعسكره من الخندق الذي حفروه في الليل . فقال للامام :

ـ يا حسين استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة ؟

فأجابه الامام :

يا بن راعية المعزى انت أولى بها صليا .

فطلب أحد جنود الامام منه أن يسمح له أن يرميه بالسهم لأنه « من

أعظم الجبّارين » ـ كما وصفه ـ فرفض الامام ذلك وقال :

ـ ترمه . . فإني اكره أن ابدأهم بقتال[1] .

---

(١) تاريخ الطبري ـ ج ٤ ص ٣٢٩ .

٤ احدهما اختار الموت . . .
والآخر رفض التجرد من عقيدته

احدهما اختار الموت . . . حتى لا يفشي اسرار الثورة
والآخر رفض التجرد من عقيدته . . . فقتل . . .

بطلان في اصحاب الإمام الحسين ، ضربا أروع مثال في تنفيذ مهمتهما رغم قساوة الظروف ، وخطورة الموقف . .

احدهما . . وقع في أسر العدو ، وكان يحمل رسالة خطية من الإمام الى جماعة في الكوفة .

وكان وقوع الرسالة في أيدي قوات العدو يؤدي الى انكشاف اصحاب الإمام في الكوفة أولاً ، وإلى انكشاف تخطيط الثورة ثانياً . . .

وعرف الرجل انه وقع في شراك . .

فقد اتخذ عبيد الله بن زياد احتياطات امن مشددة في كافة ارجاء الصحراء الممتدة من الكوفة حتى البصرة . . . وملأ الصحراء برجال استخبارات كانت مهمتهم القاء القبض على كل مشبوه في أمره ، لمنع رجال الثورة من دخول مدينة الكوفة أو البصرة ، خوفاً من قلب الأوضاع هناك . . .

وفي هذه الظروف الصعبة كلّف الإمام رجلاً من اصحابه ، واسمه « قيس بن مصهر الصيداوي » ـ ربما كان من مدينة صيدا اللبنانية ـ كلّفه

الإمام بتسليم رسالة خاصة تتعلق بالثورة الى رجال في الكوفة .

ولم يقل الرجل : لا . ولا اعتذر لخطورة الموقف . لأنه كان ثائراً لله . والثائرون لله يبحثون عن الشهادة ولا يهربون منها . . !

اخذ الرسالة ، وانطلق باتجاه الكوفة .

وفيما هو في الطريق إذ شعر بأنه يلاحق من قبل «قوات الأمن» التابعة للسلطات . . .

وما كانت لحظات إلا وشاهد رجالاً يحاصرونه ، عرف انهم سيعتقلونه ويحاولون الحصول على الرسالة ، فما كان منه إلا ان اخرجها ، ومزقها ، فيما كان رجال الأمن يحاولون الاقتراب منه . . .

اخذوه الى الكوفة . . .

ادخلوه على عبيد الله بن زياد واخبروه عن الرسالة التي مزقها فسأله :

ـ من أنت ؟

ـ رجل من شيعة علي والحسين .

ـ رجلٌ من شيعة علي والحسين ؟

ـ نعم . . .

ـ اين الرسالة ؟

ـ اية رسالة ؟

ـ التي كانت من الحسين .

ـ مزقتها ؟

ـ ولِـمَ ؟

ـ لئلا تعلم ما فيها !

ـ الرسالة كانت موجهة الى من ؟

ـ الى رجال من الكوفة .

ـ أسمائهم ؟

ـ لا أعرف . . .

ـ فغضب عبيد الله وصاح في وجهه :

ـ والله لا أدعك حتى تجدني بأسماء هؤلاء القوم . أو تصعد المنبر فتسب الحسين وأباه ، واخاه ، وإلا قطعّتك إرباً إرباً . . .

كان ابن زياد يحاول بذلك ان يستغل الرجل بصفته رسول الثورة من اجل الدعاية ضد الثورة ، والتأليب عليها . وكان يعتقد ان هذه العملية ليست أقل فائدة من معرفة أسماء الرجال الذين وجهت اليهم الرسالة . .

قال قيس :

ـ اما القوم فلا اخبرك بأسمائهم . وأما سب الحسين وابيه واخيه فلا بأس . . .

وانفتحت سراير عبيد الله . لقد رأى صيداً ثميناً . فدعا الناس الى المسجد « لخبر هام » . وأمر « قيس » بتنفيذ وعده . . .

كان على قيس ـ وهو الذي فشل في ايصال الرسالة الى اصحابها ـ ان يعمل شيئاً لتبليغ مضمونها اليهم .

ولم يكن مهمًا لديه حياته . وإنما كان المهم ان يبلّغ رسالته حتى اذا جاء ذلك على حساب حياته .

ان الانسان يستطيع ان يحقق هدفه في أصعب الظروف إذا ما تجرد من ذاته ، وكان مستعداً للموت في أية لحظة .

وهكذا كان قيس .

لقد استغل فرصة السماح له بالصعود على المنبر ، وفرصة وجود الجماهير في المسجد ، بتبليغ الرسالة ، إذ ان الحديث آنذاك كان حديث الحرب . . .

وكل خبر يتعلق بها كان ينتشر سريعاً في الناس . ويصل الى مسامع الناس جميعاً .

ولكن من يصنع الخبر؟

كان قيس في ذلك اليوم بطل الخبر الجديد ـ المثير .

صعد المنبر . نظر إلى الناس طويلاً . ثم حمد الله واثنى عليه . وصلى على النبي ، وترحم على عليٍّ ، والحسن والحسين ، ولعن عبيد الله بن زياد ، وطغاة بني أُمية . وقال ـ بالحرف الواحد :

ـ ايها الناس . . . هذا الحسين بن علي خير خلق الله ، ابن فاطمة بنت رسول الله . . . وانا رسوله اليكم وقد خلفته في « الحاجز » فاجيبوه . . .

وقبل ان يضيف شيئاً على ذلك ، اقتحم رجال الأمن المجلس ، وانزلوه من المنبر ، ثم حملوه إلى المبنى الفوقي من قصر الامارة ، وجرّدوه من بعض ملابسه ، ورموه على الأرض فتكسرت عظامه ، ومات[1] .

مات . . .

ولكنه بلّغ الرسالة . واستلم الشهادة جائزة عليها !

* * *

لهذا البطل زميل آخر .

وهذا الزميل قام بما قام به قيس ، ولكن رسالته كانت شفوية . وكان عليه ان يبلغها لجماعة من أهل الكوفة ، بعد ان مزقت الرسالة الخطية .

ووقع الرجل ـ واسمه عبد الله بن يقطر ـ في اسر قوات الأمن ، وساقوه الى عبيد الله . فأمره ان يصعد المنبر ويلعن الحسين . فأظهر الموافقة ، ولما جلس على المنبر صاح بالناس قائلاً :

---

(١) تاريخ الطبري ـ ج ٤ ص ٢٨٩ .

« ايها الناس . . . اني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله . . .
لتنصروه . . وتؤازروه على ابن مرجانة ، وابن سمية الدّعي . . . » .

وقبل ان يتم كلامه . . كان رجال الأمن على المنبر حيث رموا بـه الأرض . . . وفعلوا به ما فعلوا بزميله قيس . .

* * *

وبذلك سجلا قيمة جديدة من قيم الثورة :

- لا تفشي اسرار الثورة المقدسة حتى اذا تعرضت حياتك للخطر فالثورة اهم من حياتك .

- وفي اصعب الظروف حاول تنفيذ المهمة مهما كلّف الأمر . . .

قصائد الشهيد . . . .

صوت الثورة الحزين

اذا كانت هذه القصائد ممزقة ، فلأن السيف كان يتدخل بين مقاطعها حيناً ، والرمح والنبل حيناً آخر . . .

بعضها كان يرددها الشهيد قبل خوض المعركة . وبعضها في الاستراحة من المعركة .

وعلى وقع القصائد كانت تطيح الأيدي ، وتطيح الرؤوس .

وانك لتكاد تسمع فيها ، حمحمة الخيل وطقطقة السيف وصوت تحطم العظام . . .

وهي بعد ذلك ، وقبل ذلك ، تحمل هوية الجراح ، وعنوان الدم .. ورسالة الدمع الحزين . . .

لأنها من « صوت الثورة » .

- ١ -

الدهر؟ ليس دائماً صديقاً جيداً . انه يشهد قتل كل صديق ولكن ما دام الأمر الى الله ، والمصير مصير الجميع فلا بد ان يرضى الانسان .

● كان يصلح سيفه ، فيلتمع في عينيه بريق الموت فيتذكر الله ، والأحباب ، والفراق . فينشد :

يا دهر أُف لك من خليل
كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل
والدهر لا يرضى عن البديل
وإنما الأمر الى الجليل
وكل حي سالك سبيلي

- ٢ -

إذا كانت الدنيا جيدة : فالآخرة « أجود » .
وإذا كان الموت هو النهاية : فالشهادة أفضل .
وإذا كانت الأرزاق قسمة : فالقناعة أحسن .
وإذا كانت الأموال ستترك : فبذلها اجمل .

● خاض اصحابه معركة ضارية مع العدو . فارتفع الغبار ، والتحمت

الأجساد ، واختلطت الأسنة والرماح .

ولما هدأت العاصفة : كان خمسون رجلاً من اصحابه مقطعين على رمال الأرض . فتمتم مع نفسه :

فـإن تـكن الـدنيـا تعـد نـفيسـة
فـدار ثـواب الله أعـلى وأنـبـل
وإن تـكن الأبـدان للمـوت أنشئت
فقتل امرىء بـالسيف في الله أفضل
وإن تـكـن الأرزاق قـسـمًا مـقـسـمًا
فقلة حـرص المـرء في الجمـع أجمـل
وإن تـكـن الأمـوال لـلتـرك جمعـهـا
فـما بـال متـروك بـه المـرء يبخـل ؟

- ٣ -

ليس المهم : ان تحارب أو لا تحارب . وإنما المهم المنطلق أي « النية » التي تكمن وراء قرار الحرب ، أو السلام .

فإذا كانت « النية » في قرار الحرب : نية خيرة ، كمقاومة المجرمين ، ومواساة الصالحين ، ورفض الذل ، فإن نتائجها لن تكون هي الأخرى الاخيرة سواء مات فيها الانسان أو انتصر .

● نظر الى معسكر العدو : رآه يمتلأ بالعتاد والرجال ، ويغطي مسافة رؤ ية العين من الصحراء فردد :

سأمضي .. وما بالموت عـار على الفتى
إذا مـا نـوى خيـراً وجـاهـد مسلمًا
وواسى الـرجـال الصـالحـين بنفسـه
وفـارق مـبـتـوراً وودع مجـرمـاً

أقــدم نـفــسي لا أريـد بـقـائـهـا
لتلقي خميســاً في الــوغى وعــرمــرمــا
فــإن عـشـت لم أنــدم . وإن مت لم ألم
كـفـى بــك ذلاً أن تـعـيش وتــرغـمـا

- ٤ -

الموت : قدر الانسان ، كل انسان : الكبير ، والصغير . الطيب ، والخبيث .

والقضية ليست قضية ان تموت أو لا تموت . وإنما هي كيف تموت ؟ ولماذا ؟ . . .

● كان يخطب ، فهدده العدو بالموت . . . فاستشهد بقول الشاعر :

فــإن نهزم فهــزامــون قــدمــاً
وأن نُـغلب فـغــير مغـلبيـنـا
ومــا أن طـبّنـا جـبـن ولـكـن
مــنــايـانـا ودولــة آخــريـنـا
إذا مـا المـوت رفّـع عن اناس
كــلاكـلـه أنــاخ بــآخــريــنـا
فـأفنى الموت كـل سراة قـومي
كـما أفـنى الـقــرون الأولـيـنـا
فـلو خـلد المـلوك إذن خلدنا
ولــو بقي الكــرام إذن بقـيـنـا
فقــل للشـامتـين بنـا افيقـوا
سيلقى الشــامتـون كـما لقينـا

- ٥ -

عرض عليهم (السلام) فطالبوه بالاستسلام . فرفض!

لم يكن رفضه من اجل اشباع شهوة الكبرياء في ذاته ، وإنما لأن الاستسلام للباطل ، كان يتناقض مع رسالته التي جاء ليبشر بها الناس .

ورفض ان يتحمل عار الاستسلام . وآثر الموت عليه .

● وكان ينشد في هجماته :

القتل أولى من ركوب العار
والعار أولى من دخول النار
والله ما هذا ، وهذا جاري

- ٦ -

لماذا الحرب ؟

في رؤية الشهيد : لحماية المضطهدين . والدفاع عن الرسالة .

وما دام انه لن يتنازل عن هذين الموقفين فلا تليين في موقفه .

● عندما أصبح وحيداً لا يملك غير السيف ناصراً ، هجم على عدوه وكان ينشد :

أنا الحسين بن علي
آليت ان لا انثني
أحمي عيالات أبي
أمضي على دين النبي

- ٧ -

إن كانت نتيجة الحرب واضحة ، وإنه هو : « القتيل » فإن عليه ان يتذكر انه ليس أول من يُقتل . وإن قاتله ليس أول قاتل .

ومع مطالعة في قائمة الشهداء ، يهون الموت وتستلذ الشهادة .

● حمل جراحات عميقة في كل بقعة من جسمه . وضعف عن الهجوم المباغت العنيف ، فنظر الى سيوفهم تتعطش الى جسده . . . فتمتم بصوت حزين :

كَفَر القوم وقدماً رغبوا
عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا الطهر علياً وابنه
حسن الخير. . . وجاءوا للحسين
خيرة الله من الخلق أبي
بعد جدي فأنا ابن الخيرتين

- ٨ -

آخر قصائده ولدت - على خلاف العادة - من دون ان تبكي . فلم يكن لها صوت . فقد حاصرت الجراح فمه ، وخنق رأس رمح حاد حنجرته .

وكانت قصيدته هذه من أروع ما سمعتها جنبات الأرض من قصائد .

فقد ملأ كفّيه من الدم ، وكان يشخر من كسرٍ في جبهته ، ورمى به الى السماء .

وملأ كفّيه مرة اخرى من الدم ، وصبغ به لحيته ورأسه ويديه .

وعندما تمت عملية الفصل بين رأسه ، وجسده ولدت على نحره « قصيدة الشهادة » . !

عنـــاق الموت . . .

والبطـــولة . . .



الموت : موتان .

موت يأتي اليك ، وموت تذهب اليه .

فإذا جاءك الموت ، فهو موت الجبن ، والضعف والاستسلام . . .

اما الموت الذي تذهب اليه ، وتفتش عنه ، وتعانقه ، فهو موت البطولة .

وبمقدار ما ينعكس موت الجبن على نفسية الفرد ، والأمة ضعفاً وتكاسلاً ، وخوفاً ، فإن موت البطولة ينعكس شجاعة وتحدٍ ومقاومة .

وفي كربلاء ، حيث عانق مائة رجل أسنة الرماح ، وحدَّ السيف ودفعوا من أرواحهم ضريبة التمسك بالحق والعدل والحرية من اجل الجماهير التي تحكم فيهم الجور المستند على الاستغلال ، كان الموت موت البطولة ، لأن الابطال هناك هم الذين فتشوا عنه ، وحينموا وقعوا صرعى على الأرض كانت راية العدالة تخفق على قبورهم لأن هذه الراية لا تسقى إلا بدماء الشهداء .

فكانت كربلاء منعطفاً . . . وكانت بداية .

ولا زال الدم الذي تدفق بغزارة من نحور اصحاب الحسين ، ينبع في كل أرض يسقط عليها شهيد من اجل حقه وأرضه ووطنه وقيمه .

فمع كل موت شجاع : بطولة ، وانتصار . . .

بطولة الشهيد ... وانتصار مبادئه ... وهكذا يظل الحسين راية تخفق ، ومنارة تنير ، مبادىء تطلب أنصاراً ...

* * *

لقد قتل الحسين ، كما قتل كل انصاره ... بعد ان صمدوا بإصرار امام جيش كان يملأ الصحراء رماحاً وضجيجاً وإلحاداً .. وماتوا حتى آخر طفل فيهم ...

ولكن هل هذا كل ما حدث ؟

لا ...

فإن لكل واحد منهم قصة وبطولة ، لا أروع منها ، ولا أجمل .

وفي هذا الفصل نماذج منها ..

* * *

١ . عرس الشهادة ... لا ينتهي

لا يستسلم مسلم لعدو !

حاصر العدو معسكرهم ، لم يبق لديهم أي امل في النجاة . عدوهم يملك قوات ضخمة من المشاة ، والفرسان تكفي لسحق اضعاف اضعافهم . فقط عدد المشاة كان يزيد على عشرة آلاف مقاتل ...

اما هم .. فإن كلهم ـ مع الأطفال والنساء ـ لم يتجاوز عددهم المائتين ...

وفقط مائة منهم كان يستطيع حمل السلاح .

هل استسلم منهم احد ؟

هل فرَّ من الموت ؟

هل حاول استعطاف العدو ؟

لم يحدث أي شيء من ذلك .

لقد كان باستطاعة اي واحد منهم ان يستسلم للعدو ، وكان ذلك يكفي لأن يحصل على جائزة ثمينة : ومجد دنيوي كبير .

وكان باستطاعة أي واحد منهم ان يهرب في أية لحظة . فالصحراء كانت رملية ، والمعارك كانت تثير الغبار الكثيف مما كان يشكل مضللة طبيعية للفرار والاختفاء وراء النخيل .

ولكنهم لم يفعلوا .

ان قناعتهم كانت تضرب حجاباً بينهم وبين التفكير في مثل ذلك . بعضهم كان يوصي الآخر بالحرب ، وبعضهم كان يدفع الثاني الى الموت .

هذا واحد منهم اسمه : « عابس بن شبيب ».

صفته الاجتماعية : جيدة جداً . وله سوابق بطولية في معركة اذربايجان ، يلتفت يوم عاشوراء الى « شوذب مولى شاكر » ويقول له :

«يا شوذب . . . ما في نفسك ان تصنع ؟

فيجيبه : ما اصنع ؟ اقاتل معك دون ابن بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله - حتى اقتل .

- ذلك الظن بك . . . والآن تقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من اصحابه ، وحتى احتسبك انا ، فإنه لو كان معي الساعة احد ، وأنا أولى به منك لسرني ان يتقدم بين يدي حتى احتسبه » .

وأضاف :

«ان هذا يوم ينبغي لنا ان نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا فيه ، فإنه لا عمل بعد اليوم . . وانما هو الحساب » .

ويتقدم شوذب بين يديه ، ويقاتل حتى يقتل . .

ثم يتقدم هو . . يقف أمام الحسين ويقول له :

« والله ما امسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد اعز عليّ ولا أحب إليّ منك يا أبا عبد الله . . اما والله لو قدرت على ان ادفع عنك الضيم والقتل بشيء اعز عليّ من نفسي ودمي لفعلت . . . »

ان التاريخ شهد بطولات كثيرة ، ولكنه لم يشهد قناعة كهذه القناعة .

لم يشهد التاريخ ان ترتفع رغبة الشهادة لدى مقاتلين كلما تقل فرص النجاح ، فيزداد اصرار الشهداء على مواصلة الحرب كلما يسقط ضحايا اكثر

منهم ، وتبدو النهاية لهم بشكل اوضح .

اننا امام نوع فريد من الرجال .

فها نحن نجد نزاعاً يجري بين اصحاب الإمام ـ بعد المعركة الجماعية الأولى ـ وفي بداية المعارك الانفرادية .

هذا النزاع كان حول : من يتقدم للحرب أولاً ؟

فالأصحاب كانوا مصرين على ان يتقدموا للحرب قبل بني هاشم ، بينما بنو هاشم كانوا مصرين على ان يتقدموا للحرب قبل الأصحاب .

وقد حسم الإمام نزاعهم عندما نزل عند رغبة الانصار ، وسمح لهم ، بالتقدم على بني هاشم وفق خطته العسكرية .

ان هذا يعكس فيهم روح الايمان الصادق الذي يجعل صاحبها يزداد شوقاً للشهادة كلما اشتد احساسه بالوحدة .

هؤلاء كانوا صادقين مع الله : يحبونه ويحبهم . ويشتاقون اليه ، ويشتاق اليهم .

اما الموت ، فكان عندهم سلمّاً الى جنان الله . . .

أوليسوا على الحق ؟

هذه هي القضية ؟

انهم يتميزون بأهدافهم ، ومنطلقاتهم عن كل من يموت أو يقتل .

ان صفحات الجرائد مليئة كل يوم بالمعارك والقتلى والضحايا ، ولكنها غالباً معارك تافهة ، وقتلى تافهون . . . وضحايا ضائعون ، فمنذ ان خلق الله الأرض والانسان يقتل اخاه الانسان ويعتدي عليه . . .

ولكن قضية اصحاب الإمام هي قضية هدف . فهم كانوا يقاتلون لله والعدل والحرية .

وما دام انهم يقاتلون لله ، فهم يلتذون بالموت .

وما دام انهم يدافعون عن العدل ، فهم لا يبالون بالموت .

وما دام انهم يبحثون عن الحرية فهم صامدون في المعارك .

واذا كان وصف : « الباحث عن الموت » مبالغة في حق أي انسان ، فهو قليل حق اصحاب الحسين .

لنعد الى قصة عابس . لقد تركناه وهو يحاور الإمام ويلتمس الأذن لدخول المعركة .

ها هو يحصل على ذلك . فيهرول الى ساحة القتال وهو يقول للإمام :

- اشهد الله اني على هديك ، وهدي ابيك .

ويقف وسط الساحة ، يطلب المبارزة . فيصيح احد افراد العدو في رفاقه :

- هذا اسد الأسود . هذا عابس بن شبيب .

فيحجمون عن مقاتلته .

بقي فترة طويلة ينتظر العدو ، ولكن بلا جدوى . . .

وهنا عرف انه يخيفهم ، وانه لو بقي على حالته يحمل الدرع ، ويلبس لامة الحرب لتأخر عن ركب الشهداء ، فعمد الى درعه فرماها ، وعمد الى لامة حربه فمزقها ، وضرب بخوذته الأرض ، وبدأ هجومه على العدو مجرداً من ذلك فقال له زميله :

- ما انت صانع ؟ أمجنون أنت ؟

فأجاب : لا تلوموني فحب الحسين هو الذي اجنني .

وكالطفل الباحث عن ثدي امه . كان يبحث عن كأس الشهادة بلا لامة حرب ، ولا درع ، ولا خوذة .

ولما نالها قال بصوت ضعيف :

ـ الحمد لله . . .

ومات . . .

ألم اقل لكم ان لكل واحد منهم قصة وبطولة لا أروع منها ولا أجمل ؟

* * *

٢ ـ لقد وجدت ضميري
أنـا أختار إذن أنا إنسان

في كل لحظة يجد الأنسان نفسه على مفترق طرق ، بعضها ينتهي إلى الجنة ، وبعضها ينتهي إلى النار . والاختيار عادة صعب . وليس كـل الناس يختـارون ، بل الـطلائع . . . فقط . . . فكيف نختار ؟

كيف نعرف الطريق المؤدي الى الجنة ؟

القضية ليست معقدة : فالتفكير كفيل بتوضيح الطريق لمن يملك القدرة على الأختيار .

لحظات من التفكير الصحيح . . . وقليلاً من الإرادة ، يكفي للوصول إلى الجنة .

أننا الآن على بعد ١٣٣٣ من ثورة الإمام . . ولذلك فنحن نستطيع أن نقيم مواقف الرجال تقييمًا موضوعياً عادلاً .

هناك عشرات الألوف وقفوا في وجه الإمام ، كلهم كان يسير في قافلة الشيطان ، وكلهم كان يستطيع أن يهرب من الشيطان لكي يسير في قافلة الله . ولكنهم لم يفعلوا .

لماذا ؟

لأنهم لم يفكروا . . . ولذلك فإنهم لم يستطيعوا . .

وكانت هناك « قلة » تعيش معهم . وانساقت في مزالق الانحراف كما انساقوا ، ولكنها بالتفكير في العواقب ، والتحكم في الذات أشتروا الجنة ، وباعوا النيران . . .

ويذكر التاريخ من هذه القلة ، حوالي عشرة أشخاص منهم الحر بن يزيد الرياحي . ومنهم مسعود بن حجاج . ومنهم قاسم بن حبيب ، ومنهم - أيضاً - عروة بن قيس .

وكلهم بالطبع قتلوا مع الإمام - ولكن لو لم يقتلوا كانوا يموتون في يوم ما - فهم باختيارهم المناسب في الوقت المناسب استطاعوا ان يتخلصوا من لعنة الدهر . ويدخلوا في قائمة شهداء الثورة .

كيف اختاروا ؟

لنستعرض قصة احدهم لحظة بلحظة .

* * *

الزمان : يوم السابع من المحرم عام ٦١ هـ .

المكان :. صحراء كربلاء .

الموضوع : الإمام الحسين يتوجه الى الكوفة بينما السلطات غير راضية بذلك .

طلب قائد قوات السلطة عمر بن سعد احد كبار اصحابه واسمه كُثير ابن عبد الله وحمله رسالة شفوية الى الإمام تتلخص في السؤالين التاليين :

- لماذا جئت إلى هنا ؟ وما هي دوافعك ؟

فحمل كُثير الرسالة ، وجاء الى معسكر الإمام ، وطلب المقابلة ولكن أصحاب الإمام رفضوا فتح الطريق له إلا إذا سلّم لهم سلاحه . وبما انه رفض ذلك ، فقد تعذرت عليه المقابلة وعاد الى معسكر ابن سعد .

ماذا كان وراء هذه الرسالة ؟

بعضهم يقول : إن عمر بن سعد كان يرغب في ان يتم حل المشكلة سلمياً ، وليس عسكرياً ، وأنه لذلك كتب رسالة إلى أبن زياد يخبره بأن الإمام قبل العودة إلى المدينة ونصح أبن زياد أن يقبل هو بدوره السماح للإمام بذلك . . . ولكن أبن زياد أصر على البيعة والحرب .

وبعضهم يقول : أن قصة الرسالة كانت مناورة من أبن سعد لكسب الوقت ، وتضليل جيشه ، وإظهار الامام كخارج على خليفة زمانه .

ولأن مثل هذه الرسالة كانت تخدمه اعلامياً ، فإنه كان مصراً على ابلاغها للإمام . . .

ولذلك فقد دعى رجلاً آخر هو « عروة بن قيس » من أجل ابلاغ الامام بمضمون الرسالة .

وقد أعتذر عروة بن قيس عن ذلك ، لأنه كان أحد الأشخاص الذين كتبوا رسائل للإمام وطلبوا منه السفر إلى الكوفة ، فكيف اذن يوجه اليه سؤالاً ، يعرف مسبقاً الجواب عليه ؟ .

ولكن ابن سعد أصر عليه .

وعلى كره شديد ، جاء إلى الإمام ، سلم سلاحه ، ودخل عليه .

وعندما وقف وجهاً لوجه مع الإمام . قال له ـ والكلمات تتباطأ في الخروج من فمه :

ـ يا ابن رسول الله . لماذا جئت إلى هنا ؟

وأضاف :

ـ هذه رسالة ابن سعد اليك . . .

وسكت . . .

كان الإمام يعرف عروة بن قيس جيداً ، ولكنه تحاشى ان يجرح شعوره . وإنما تركه يتعذب بوخز الضمير ، فقال له :

ـ لماذا جئت ؟؟ لقد كتب فـيّ أهل مصركم هذا ، ان اقدم فإنما تقدم على جند لك مجند ، فإذا ما كرهتموني فأنا أنصرف . فتمتم عروة مع نفسه قائلاً :

ـ لعنهم الله . طلبوا منك ان تقدم عليهم ، ثم عدوا عليك يقاتلوك . . قالها . . . وخرج من الخيمة . . .

خارج الخيمة تلقاه حبيب بن مظاهر فقال له :

ـ وانت ايضاً تذهب اليهم ؟ ويحك يا عروة بن قيس أترجع الى القوم الظالمين ؟ .

وأضاف : « انصر هذا الرجل الذي بآبائه ايدك الله بالكرامة وإيانا معك » .

توقف عدة لحظات . . . ساد بينهما صمت التفكير . . . وثقل الاختيار . . .

وبعد فترة غير طويلة كان عروة قد « اختار » .

إختار الحياة على الموت . . إختار الحق على الباطل . . . إختار الصدق على النفاق . . . إختار الامام . . .

قال لحبيب :

ـ لا . . . سأبقى معكم . . . أرسلوا الى ابن سعد من يخبره أن عروة بن قيس « قد اختار الجنة » .

وأنضم إلى جبهة الحسين فقد وجد ضميره . . . وأختار الموت في سبيل العدل والحرية . . .

٣ ـ وغسلوا عار الخطيئة بالدم

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . . .

كان يمكن ان يصبح « لعنة التاريخ » في معركة عاشوراء .

فهو أول من وقف في وجه الإمام .

وأول من هدّده بالحرب .

وأول من طالبه ان يضع يده في يد يزيد .

وكان السبب المباشر لحبس الإمام في صحراء كربلاء حتى يجتمع عليه جيش الكوفة الضخم .

إذن . . . كان يمكن ان يصبح اللعنة الأولى ، لولا أنه ثار في الوقت المناسب على . . . ذاته . . .

ان الثورة تشتعل ، أول ما تشتعل ، في « نفس » الانسان ثم تمتد الى المجتمع . . .

فالصفات التي يجب توفرها في الثائر ، تتطلب أن يكون في حالة ثورة داخلية ، لكي يستطيع تحمل آلام الثورة على النظام ، والواقع الفاسد .

أن الثائر يجب أن لا يحمل نقاط ضعف في ذاته .

يجب ان لا يكون عبداً لشهوة الجنس . أو شهوة الطمع ، أو شهوة السلطة ، أو حتى شهوة الحياة . بل لا بد أن يكون متحرراً من كل ذلك حتى يملك مرونة التحرك ، والقدرة على تغيير الموقف .

ولكن التخلص من سلطان الشهوات ، ليس سهلاً ، ولهذا فإن الثائرين الحقيقيين ليسوا كثيرين . انهم قلة ، ولكنها القلة التي تحمل مشاعل الدرب لمن يريد ان يصنع الخير لأمته .

وكان هذا الشهيد من القلة .

كان ضابطاً في الجيش ، يعيش تحت أوامره الف جندي فارس . . .

خرج من الكوفة مع لواء كامل ، وهدفه أن يجبر الإمام على البيعة ليزيد ، أو يأخذه إلى الكوفة عند عبيد الله بن زياد بعد أن خدعه النظام بشرعية خلافة يزيد بن معاوية .

وظل محتفظاً برتبته كضابط كبير في الجيش حتى صباح يوم عاشوراء ـ ١٠/١/٦١ هـ . ـ حين إصطف كل من جيش الإمام ، وجيش أبن سعد استعداداً للقتال .

هو كان من الطليعة من جيش أبن زياد الذي واجهه الامام ومنعه من العودة إلى مكة ، أو المسير إلى أي مكان آخر حتى يبايع يزيد .

والآن ، حيث جاءت الأوامر صريحة ومشددة بقتل الإمام وكافة من معه ، حتى يقتلوا أو يبايعوا يزيد ، فإن ضمير الرجل بدأ يتململ .

ماذا ؟ أيقتل الحسين وكل من معه ؟

ولماذا يقتل الحسين ؟

هل أرتكب جريمة لأنه رفض النظام القائم ؟

وهل رفض النظام الفاسد يتطلب القتل ؟

لقد أصبح الرجل واعياً لما أرتكبه . . . مدركاً لابعاده . . . فهو السبب في وقوع الإمام محاصراً بين الجيش المعادي . .

وأنه دور كبير في الجريمة فاستيقظ ضميره . . وبدأت المعركة . .

أن المعارك قد تكون عنيفة ، ولكن ليست هنالك معركة أعنف من

معركة «الذات» و «الضمير» أنها توجع ، وتهز ، وتصيب الأنسان بقشعريرة حادة .

لقد وجد الرجل نفسه في معركة مع الضمير . وتمثلت أمامه بشاعة الوزر الذي سيحمله إذا ما قتل الحسين وكل من معه . . .

فاهتز . . . وارتجف . . .

* * *

نظر إلى الجيش الضخم الذي كان يملأ الصحراء ، وكله إلحاد وشرارة ، وجهل .

ونظر إلى الجيش الصغير الآخر الذي كان قوامه ١٠٠ جندي ، وكله إيمان ، وعطف ، ووعي .

والحرب التي ستقع بينهما ، من مشعل الفتيل فيها ؟

أنه هو . . .

وأحس بالإثم .

فكر أن يقوم ببعض المساعي الحميدة ، لعله ينقذ الموقف . جاء الى خيمة القيادة ، وقف امام قائد القوات : عمر بن سعد ، وجرى بينهما الحوار التالي :

ـ أمقاتل أنت هذا الرجل ؟

ـ اي والله ، قتالاً أيسره ان تطيح الأيدي ، وتسقط الرؤوس .

ـ ما لكم فيما عرض عليكم من خصال ، تتركونه يرجع الى حيث أتى . أو يضرب في الأرض العريضة؟

ـ لو كان الأمر بيدي لفعلت . . . ولكن أميرك أبن زياد يأبى ذلك . . .

وكلمة « اميرك » ـ التي إستعملها قائد القوات ـ كانت تعني ان الأمر « من فوق » وانك انت ايضاً احد المعنيين به .

ولقد كان في استطاعة الرجل ان ينهي معركته الداخلية ويستريح على الجريمة ، ما دامت الأوامر من فوق ، والمأمور ـ كما يقول المجرمون الصغار ـ معذور .

كان بإمكانه ان ينساق مع منطق قائد القوات . . .

لو كان الأمر بيدي لفعلت ولكن اميرك يأبى . . . كما يفعل كل صنّاع الجريمة في العالم من قوات الشرطة ، والبوليس والجنود الغزاة .

إلا ان ضمير الرجل لم يكن مسحوقاً الى هذه الدرجة فتبرير « الأمر من فوق » لم يستطع اسكاته بسهولة .

« الأمر من فوق » وليكن من فوق ؟

اميرك ابن زياد هو الذي يأبى . . . من اين جاء اميري ؟

ولماذا عليّ ان اطيعه ؟

أنه يريد أن يدخل جهنم ، فلماذا أسير معه . . .

ظل سادراً في التفكير ، وأخذته ـ نتيجة الحوار الساخن مع الذات ـ رعشة حادة ، أثارت دهشة أحد رفاقه في الجريمة ، فبادره :

ـ أن أمرك لمريب . . . فوالله لو سئلت عن أشجع أهل الكوفة أو العراق لما عدوتك . . . فماذا أصابك ؟

فأجابه بجواب مقتضب لم يفهم الرجل مغزاه . .

ـ إني أرى نفسي مخيرة بين الجنة والنار . فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ، وأن قطعت ومزقت .

وبذلك إنتصر على ذاته في أقوى نوازع الشهوة ، وهي نازعة الحياة ، وحقق ثورة على الذات .

ولما إنتصر في هذه الثورة ، أصبح بإمكانه أن يثور في وجه الطغيان .

لقد أصبح طليقاً لا تقيده سوى قناعته . وأصبح بإمكانه أن يتصرف

حسبما يمليه ضميره . . .

وهكذا . . . إتخذ قرار الأنضمام إلى صفوف الثورة . . .

فضرب فرسه بإتجاه نهر الفرات ـ ليموه الأمر على جنوده ـ ثم لف نحو معسكر الإمام ، وهو يبكي من شدة الفرح ، والألم ، ألم الماضي . وفرح الحاضر .

لقد إنتصرت فيه « الحرية » ويتحمل الآن مسؤولية نفسهْ بعيداً عن تبرير الأوامر من فوق .

وعندما أقترب من خيمة الإمام كان ينادي :

ـ اللهم اليك أتيت . فتب عليّ ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك .

وعندما وقف أمام خيمة الإمام ، كان رأسه منحنياً على سرج فرسه . . فبادره الإمام :

ـ من انت ؟

ـ أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وسايرتك في الطريق ، وجعجعت بك في هذا المكان .

ـ ووالله ـ الذي لا إله إلا هو ـ ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ، ولا يبلغون بك هذه المنزلة ، وإني ـ جعلت فداك ـ قد جئتك تائباً إلى الله مما كان مني . فهل ترى لي من توبة ؟

ـ نعم يتوب الله عليك . . . فانت الحر في الدنيا ، وأنت الحر في الآخرة انشاء الله .

وهدأت روعة « الحر بن يزيد الرياحي » فقد انتصر في معركة الذات ، وها هو يقف مع الله والحق والحرية في معسكر الإمام ٠٠ وتخلص من قرار الجريمة .

ولكن . . . بقي عليه ان يكفر عن جريمته .

ماذا يصنع ؟

* * *

أن الحديث النبوي الشريف يقول : « إذا عملت سيئة ، فأعمل حسنة تمحوها » .

وهو قد « عمل السيئة » وكانت سيئته كبيرة جداً ، لأنها تسببت في محاصرة جيش الكوفة للإمام .

فهو يتحمل عار قتل الإمام . . .

والعار لا يغسله غير الدم . . . وما دام أن الجريمة كبيرة ، فلا بدّ أن يكون « التفكير » بحجمه .

ولهذا فقد بادر الإمام ، وعيناه مغروزتان في رمال الأرض. . . .

ـ يا أبن رسول الله . . . كنت أول خارج عليك ، فأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك ، فلعلي أكون ممن يصافح جدك محمداً غداً « يوم القيامة » ؟

ـ إفعل أن شئت . . . فأنت ممن تاب الله عليه وهو التواب الرحيم .

لحظات . . . وبعدها كان « الحر » يقف أمام الجيش الذي تمرد عليه . . .

وأندهش الجنود الذين كانوا إلى قبل لحظات جزءاً من اللواء الذي يقوده .

ووقف في وسط الساحة ، وضرب برمحه في الرمال ، ثم إتكأ عليه ، وصاح فيهم .

ـ لامكم الهبل والعبر .

« أدعوتم هذا العبد الصالح ، حتى إذا جاءكم اسلمتوه ؟ وزعمتم أنكم

قاتلوا أنفسكم دونه .. ثم عدوتم عليه لتقتلوه : أمسكتم بنفسه ، وأخذتم بكلكله ، وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه إلى بلاد الله العريضة ، فصار كالأسير في أيديكم ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً . . . وحلأتموه « منعتموه » ونسائه ، وصبيته عن ماء الفرات الجاري - تشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه - وها هم صرعى العطش ؟

« بئسما خلفتم محمداً ذريته . . . لا سقاكم الله يوم الظمأ أن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا . . . من ساعتكم هذه . . . » .

وكانت خطبته هذه نداءاً للتمرد على جيش العدو . . . لأنه جيش لا ضمير له . . . يدعو الإمام لكي يدير نظام حياته وعندما يلبيه يعدو عليه ليقاتله . . .

وقد وجد « نداء التمرد » هذا من يتأثر به . . . فها هو ابن « الحر » يهرب من صفوف العدو ، ويلتحق بأبيه . . . ولكن العدو لا يتركه ، بل يحيط به ، ويدخل معه في معركة عنيفة بالسلاح الأبيض . .

حاول الحر أن يعين إبنه على العدو ، ولكنه عندما هزم المجموعة التي أحاطت به ، كان إبنه جثة بلا حراك . فنظر إليه بفرح وقال :

- الحمد لله الذي رزقك الشهادة . . .

وهنا . . . تحرك وجدان رجل آخر - كان يخص الحر أيضاً - وهو أخوه ، فعندما رأى مقتل إبن أخيه ، وتمرده على الجريمة ، إنتفض ضميره ، فهز فرسه ، وانطلق باتجاه «الحر» .

كانت المجموعة التي قتلت ابن - الحر - قد عادت لتطويق « الحر » نفسه ، ومع هجوم أخيه - وكان قد جرد سيفه ورفع درعه - ظنت المجموعة انه ينوي مقاتلة « الحر » فتركوا له المجال ، لكي يتقاتل الاخوان فيما بينهما .

وفي لحظة رائعة من لحظات الايمان ، وفيما كان الجيش ينتظر أن يمزق سيف أحدهما جسم الآخر - التقى الأخوان فرفعا سيفيهما في السماء . وتعانقا

عناقاً ساخناً ، كأنهما يحتفلان بالحرية ، وهما يتمردان على أوامر الأمير . . .

ثم بدءا معاً الهجوم المعاكس .

وسقط « الحر » .

وسقط اخوه . . .

ولما حملوا جسم الحر الى الإمام ـ وكان لا يزال به رمق ـ اخذ الإمام يمسح الدم والتراب من وجهه ، ويقول له :

ـ ما اخطأت امك إذ سمتك حراً . أنت الحر في الدنيا . . وأنت الحر في الآخرة .

* * *

هل إنتهت بطولة الرجل ؟

لا .

فالبطولة « تسري » وتصيب الذين تكون نفوسهم مستعدة لها .

وها هو « عبد » الحر ـ واسمه عروة ـ تسري فيه بطولة مولاه ، فيتخذ قراره بالتمرد على الجريمة ، غير انه لم يكن في الصفوف الامامية ليستطيع الالتحاق بالإمام . فاكتفى بأن جرد سيفه ، وأخذ يضرب يميناً وشمالاً مما احدث ارتباكاً في صفوف الجيش ، حتى اتهموه بالجنون ، وصاحوا :

ـ لقد جن الرجل . . . الزموه . . . أضربوه . . .

وأستمر « عروة » يقاتل . . . ويقتل . . ويمدح الإمام . . . فأحتوشوه من كل جانب ، وقتلوه ، . . .

وهكذا . .

غسلوا عار الخطيئة بالدم . . .

٤ ـ مت : الوصية الخالدة

مثل هذه الوصية لا توجد إلا في دفاتر المؤمنين ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

للتاريخ أرشيف خاص في الوصايا الخالدة :

وصية يعقوب لأبنائه .

وصية نوح لأبنه .

وصية ابراهيم لنمرود .

وصية المسيح لتلاميذه .

وصية موسى لهارون .

ووصايا كثيرة أخرى سجلت في التاريخ ، على ورق لا ينخر إليه الدود : خالد خلود الحق والفضيلة .

ولكن أياً من هذه الوصايا الحق والفضيلة لا تشجى كوصية صغيرة جداً تركها أحد شهداء كربلاء لزميل له ، قبيل موته بلحظات . . .

إنها ليست ـ كبقية الوصايا ـ وصية حياة ، بل وصية موت ، تتعلق بالشهادة . . .

ما هي تلك الوصية ؟

من صاحبها ؟

لنبدأ القصة من بدايتها :

زميلان تصادقا في الله : جمعتهما قيم الدين ، وربط بين الالتزام بالمبدأ ، والتطبيق الصادق له .

كثيراً ما رآهما الناس ، وهما يتبادلان الأحاديث ، عن الله ، والدين ، والحياة .

وكثيراً ما رآهما الناس ، وهما يخوضان جنباً الى جنب معارك الاسلام ضد الكفر .

غادرا مدينة الكوفة بأتجاه كربلاء ـ كل على أنفراد ـ تصحبه عائلته ، وكان ذلك أثر رسالة وصلتهم من الإمام الحسين تطلب منهما السفر إلى نصرته . . .

لقد كانت صداقتهما صداقة متينة فكرية روحية ، ولذلك فإنها كانت متينة لأن الله كان هو الوسيط الذي ربط بينهما . ولذلك فقد اتفقا على ان يكون كل واحد منهما « وصي » الآخر لدى موته ، لكي تستمر بينهما علاقة الأخوة إلى ما بعد الموت أيضاً .

وهكذا تكون صداقات الايمان . . .

إنها تختلف عن غيرها بأن الارتباط فيها ليست بين جسدين ماديين تربط بينهما القيم المادية الزائلة ـ كشراكة تجارية مثلاً ـ وإنما هو ارتباط بين روحين تربطهما العلاقات المعنوية ، والحب المتبادل .

وهكذا فإن صداقة كل من « مسلم بن عوسجة » و « حبيب بن مظاهر » كانت صداقة مؤمنين يلتزمان بالقيم الدينية .

لقد جاءا الى كربلاء .

وأنضما ـ وكان ذلك طبيعياً ـ إلى الامام الحسين . وبقيا معه حتى يوم عاشوراء .

وتطورت الأحداث . . .

ووقعت المعركة الدامية .

فتشاوروا مع بعض في أي منهما يتقدم على الآخر ؟

وتم الاختيار على مسلم بن عوسجة . فتقدم الى صفوف العدو .

وقاتل قتال المؤمن الصادق .

وسقط على الأرض .

جاءه الحسين ، ومعه صديق الايمان القديم ، حبيب بن مظاهر .

تفقده الإمام أولاً . ثم تقدم اليه حبيب ووضع فمه على أذنه ، وقال له :

ـ لولا إني أعلم إني في الأثر لأحببت ان توصي إليّ بكل ما أهملت .

كان بإمكان مسلم بن عوسجة ان يوصيه بأهله ، بأولاده ، بأمواله ، بكل ما يهمه من الحياة ، أو على الأقل كان بإمكانه ان يوصيه بتضميد جراحه .

ولكنه لم يفعل . . .

وإنما رفع أصبعه ـ بصعوبة بالغة ـ وأشار الى الإمام الذي كان لا يزال واقفاً الى جنبه ، وقال :

ـ أوصيك بهذا . . . أن تقاتل دونه حتى تموت !

فقال حبيب :

« ـ « لأنعمنك عيناً يا مسلم » .

ولكنه لم يسمع جوابه فقد سبقته روحه الى الجنة .

وبقيت الوصية كأنبل ، وأشجع وصية عرفها التاريخ .

* * *

لقد صدق الشاعر :

نصـــروه احيـاءاً ، وعنـــد ممـــاتهم يـــوصي بنصـــرتـــه الشقيق شقيقـا
أوصى ابن عوسجة حبيباً قال قـا تـــل دونـه حتى الحمـــام تـــذوقـا

٥ ـ العبد المجهول يدخل التاريخ من باب الأبطال

ثورة الاسلام ، لا طبقية ، ولا عنصرية .
المبادىء هي التي ترفع الأفراد ، أو تحط بهم .
لا فرق فيها بين العبد الأسود الغريب ، والأبن الذي يشبه رسول الله .

قيمة الفرد فيما يعطيه ، وفيما هو مستمر ، في عطائه ، وليس في نسبه ، أو منظره ، أو ارومته .

استشهـد مع الإمام الحسين في صحراء كربلاء بعض من صحابة رسول الله .

وكل أقربائه من الرجال ـ ما عدا ولده زين العابدين . .

ومسيحي واحد أسلم على يديه في الطريق . .

وبعض فقهاء الأمة ، وقراء القرآن . .

وعدة من العبيد . . .

وأطفال . .

ونساء . .

وكان من عادة الإمام ـ كلما سقط شهيد على الأرض ـ أن يأتي اليه ـ رغم اخطار هذه العملية ـ لكي يكون عنده لدى موته .

وكانت عملية الحضور من شخص الإمام ، رمزاً منه لتلك الـرابطة الايمانية التي تربط القائد بجنوده في الإسلام .

وكان حضوره في زيارة الشهيد ، يقتصر لحظات يقفها على رأسه ، ثم يعود الى خيمة القيادة ، لأن ضراوة المعارك لم تكن تسمح له بأكثر من ذلك .

إلا ان الحضور رافقه « شيء » آخر من الإمام تجاه الشهيد في موقفين :

الأول : عندما سقط ولده « علي الأكبر » الذي قال عنه الإمام : إنه اشبه الناس خَلقاً ، وخُلقاً ، ومنطقاً برسول الله » ، حيث لم يقتصـر على زيارته ، وإنما زاد على ذلك بأن انحنى عليه ، ووضع خده المبارك على خده ، تماماً كما كان رسول الله يضع خده المبارك على خده هو يوم ان كان طفلاً يلعب في حضنه .

وكان وضع الخد تعبيراً منه ـ عليه السلام ـ عن تمنيه بأن يكون هو المقتول بدل ابنه . .

الثاني : عبد تركي ، كان ملكاً للحسين ، تعلّم عنده اللغة العربية ، وقراءة القرآن .

وقد نال هذا العبد ، ما ناله علي الأكبر تماماً . .

فما قصة ذلك ؟

في صباح يوم عاشوراء : شوهد عبدٌ تركي في ساحة المعركة ، وهو ينظر يميناً وشمالاً كأنه لا يصدق ما يرى .

إنه يعرف مولاه جيداً .

ولكن اجتمع كل اولئك على قتاله ؟

هل هو الحسين؟

قاتله الله . كم هو بشع أن يصبح الأنسان وقوداً لنـار أحقاد الآخرين .

إنطلق ـ بلا سابق إنذار ـ نحو المعركـة ، وكان يصيـح ـ وهو يلوّح

بالسيف الذي في يده :

البحر من طعني وضربي يصطلي   والجو من سهمي ونبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي   ينشق قلب الحاسد المبجلِ

كان يهاجم يميناً وشمالاً . . . ويقتل . . . ويقتل . . . ويقتل .

حاصرته مجموعة من قوات العدو .

وبعد لحظات كان صريعاً على الأرض . لم يقل « يا عماه » ولا « يا أبتاه » ولا « يا أخاه » لأنه كان غريباً عن أهله لا أب له ، ولا عم ، ولا أخ في كربلاء .

غير ان الإمام لم ينتظر منه التفاتة لكي يذهب إليه قبل موته .

فقد ظل يراقب تحركه بنفسه ، حتى إذا احس انه سقط سارع الى مصرعه بعض الجنود .

نزل عن الفرس . . . وانحنى . . .

ووضع خده المبارك على خده الذي كان منقعاً بالدم . .

فأحس العبد بحرارة خد الإمام .

فتح العبد عينه : رأى جبهة الامام وهي تلامس جبهته . . فرح . . تبسّم . . . ومات !

* * *

ما اسم هذا العبد ؟

اين وُلد ؟

كيف جاء الى كربلاء ؟

لا يذكر التاريخ شيئاً من ذلك . فهو عبد مجهول ، مجهول ، عرّفت به الشهادة من أجل الله ، والحق ، وخلّده خد الإمام الحسُين الذي وضع على خده . . . ذات يوم . . .

٦ ـ هكذا يثور المؤمنون

عندما تتفجر ثورة في سبيل الله والمستضعفين فحتى المراهق يترك المراتع الخضراء ، ليشترك مع الرجال في صنع عصره .

«فيك ؟ أشهى من العسل » .

كانت تلك كلمة القاسم الموجزة التي عبّر بها ـ مع الرجال ـ عن عزمه على الشهادة . .

وكان ذلك ليلة عاشوراء . .

لقد جمع الإمام اصحابه ـ بعد ان هرب منه الخانعون للواقع ـ وخطب فيهم ، وحثهم على لقاء الله ، والتهيؤ للحرب .

ثم قال لهم : « ألا واني لا أرى يوماً من هؤلاء إلا غداً » وبعدها سرد تنبؤاته عن حرب الغد . ذكر لهم : « انهم جميعاً سيقتلون ، وان رؤوسهم سترتفع على الرماح ، وان خيامه ستحترق بنيران العدو . . . »

كان الامام يتحدث ، وعيون الرجال مشدودة الى شفتيه . فالخبر لم يكن عادياً ، إنه خبر الموت والشهادة . . .

وما أشهى الموت ـ الشهادة لدى المؤمنين ؟

في آخر الخيمة كان يجلس شاب مراهق لا يتجاوز عمره الرابعة عشرة : وجه باسم ، وعينان واسعتان ، وقدٌّ رشيق . عليه ملامح بني هاشم، كان

يستمع الى الإمام باهتمام ، وتتغير ملامحه حسب الموضوع الذي يتحدث فيه .

عندما ذكر الإمام أن خيامه ستحترق ، أنتفض الشاب وصاح :

ـ ألا رجل ليمنعهم من ذلك ؟

قال الإمام ـ وقد حملق فيه :

ـ كل الرجال يقتلون يا بُني . . .

ـ كلهم ؟

ـ نعم . . . . كلهم .

ـ وأنا فيمن يُقتل ؟

لم يكن يحب ان يعرف أنه يُقتل أو لا يقتل ، بمقدار ما كان يريد ان يعرف دوره . إذا كان فيمن يقتل فأمر النسوة والخيام إلى الله ، وإذا لم يكن فيمن يقتل فما هو دوره تجاه الهجوم على الخيام ؟

كان الإمام يعرف انه فيمن يُقتل ، ولكنه لم يشأ أن يقول له ذلك مرة واحدة . ولذلك قال له :

ـ بني كيف الموت عندك ؟

نظر الشاب إلى الرجال الذين كانوا يتابعون حوار الإمام ، وابن اخيه ، ثم أشار بيده البريئة الى الامام وقال :

ـ فيك ؟ فيك اشهى من العسل !

فقال الإمام :

ـ فداك عمك . نعم أنت فيمن يُقتل . . حتى ولدي الرضيع يقتله العدو !

وبعدها . . . ساد الصمت على الخيمة ، وراحت الكلمة الشجاعة : « فيك أشهى من العسل » ، ترسم هالة البطولة على وجه الشاب المراهق

الذي أسمه : « القاسم » وأبوه الحسن بن علي أخو الامام الحسين عليهما السلام .

* * *

وأسدلت الستائر على الخيمة التي جرى فيها الحوار في الليل . لترتفع على ساحة المعركة في النهار .

* * *

كانت الشمس تميل الى جهة الغروب قليلاً ، وكانت الحرارة المنبعثة عن الرمال ، تزيد من صعوبة الموقف .

خرج القاسم من الخيمة ـ بعد ان حمل السيف والدرع ـ ووقف لحظات يستطلع ساحة المعركة التي بدت للوهلة الأولى كمذبح بشري مهول : أجساد ممزقة هنا وهناك . ايادي مقطعة . رؤوس مرمية . وخيول ميتة .

بعض بني هاشم من أبناء عمومته ، كانوا مشغولين بالمعارك ، فكانت أصوات التكبير والتهليل تختلط بصهيل الخيل ، وأصوات الطبول .

بقي فترة يراقب الموقف .

غريب أمر هؤلاء . انهم يستسلمون للباطل .

حسناً . ولكن كيف يحاربون من أجله ؟

صحيح أن الذي يصادق الباطل يصرعه ؟

صحيح أن نتيجة الهروب من مسؤوليات العدل ، تؤدي الى عبودية الظالمين ؟

هل أنهم يفهمون ما يفعلون ؟ أم تراهم نسوا ذكر الله ، فأنساهم أنفسهم ؟

وكيف ينسى الأنسان نفسه ؟

هكذا ؟ فيبيع جسده للنار ، بدل أن يشتري به الجنة ؟

هل نسي هؤلاء أن الأنسان مسؤول عن كل لحظة . . . عن كل كلمة . . . عن كل موقف . . .؟

كانت الأسئلة تتزاحم في ذهنه ، وهو يتابع المعركة من بعيد ثم أتخذ قراره :

ـ ما دام أن العدو مصمم على مواصلة نصرة الباطل ، فعليه أن يجابهه بالسيف . . .

ولكن . . . هناك أمه ، لا بدّ أن يبلغّها قراره . . .

جاء الى الأم . عانقها . . بكي معها على ألم الفراق . . ثم جاء الى عمه :

ـ يا عماه . . هل تأذن ؟

نظر اليه الإمام هنيئة : تذكر أخاه الحسن . فقد كانت الشمائل واحدة ، ونبرة الصوت واحدة ، والصفات الجمالية واحدة . هاله أن يأذن له مبكراً ، فقال له :

ـ بني . . . أنت من أخي علامة ، وأريد أن تبقى لي ، لأتسلى بك . . .

فأنحنى « الغلام » ـ والتعبير للتاريخ ـ على ركبتي عمه يقبّلهما ويتسمح بهما ، وهو يلتمس الأذن بالحرب .

وطال التماس القاسم . فقال له الإمام :

ـ بني . . . أتمشي برجلك الى الموت ؟

فأجاب :

ـ وكيف لا ؟ وأنت وحيد بين الأعداء ، وهؤلاء الكفرة قد أحاطوا بك ؟ .

. إنه أذن يمشي إلى الموت لقناعته بأن العدو قد كفر بالله ، ودنسر

الحياة ، ما دام قد صمّم على قتل الإمام ، وهو الذي يمثل القائد الثائر على الظلم ، والاستعباد . . . واذن له الامام . . .

ثم ودّعه ، وداعاً ساخناً ـ كانت القبلات والدموع شاهدة الألم عليها .

وأنحدر نحو الساحة . وكله تصميم وهدوء ، واتزان .

كانت أنشودة حربه :

ان تنكروني فأنا نجل الحسن
سبط النبي المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كالأسير المرتهن
بين أناس لا سقوا صبّ المزن

أمران فيه أدهشا العدو :

الأول : طموحه الكبير .

الثاني : أستهانته بالموت . . .

فقد استهدف اكبر رأس في العدو . فحاول أن يصل الى عمر بن سعد ، لعله يستطيع ان يطعنه برمح ، أو يضربه بسيف .

كان يريد أن يتجرع قائد قوات العدو كأس الحرب ، كما يجرّع جنوده . . .

تخلل صفوف العدو ، وحارب ببسالة ، وكان يتقدم . . . ويتقدم . . . حتى أصبح العدو يحيط به من كل جانب . . .

كان في مظهره بسيطاً للغاية : في رجليه نعلان من خوص . عليه قميص وأزار . . بيده سيف .

وكان وحده . . .

ومع ذلك فقد حاول أن يصل الى قلب الجيش ، فيضرب قائده . . .

أن قوة الانسان تعلو وتهبط نظراً لأحواله النفسية ، فإذا كان مقتنعاً بالفكرة التي يناضل من أجلها ، فإن قوته تتضاعف والعكس بالعكس . والقاسم الذي كان يحارب « الكفرة » دفاعاً عن « الحسين » من أجل فك « أسره » الذي أصبح بسببه « كالمرتهن » أزدادت قوته ، فراح يصرع الأبطال ، ويتقدم !

وفجأة . . . رآه العدو ، وقد توقف عن الحرب ، وأنحنى يصلح خيطاً خوصياً في نعله . . .

انه لم يأبه بكل السيوف المشرئبة اليه ، لم ترعبه الرماح التي كانت تتراقص على ايدي رجال غلاظ ، وهم يبحثون عن الفرصة لغرزها في جسده .

لم يرعبه كل ذلك . لأنه كان يبحث عن الموت . . . عن الشهادة . . .

أما العدو الذي كان يحارب من أجل اوقيات التمر والشعير ، ورفع الراتب ، لمناصب ، فإنه لم يكن يساوي لديه خيطاً خوصياً رفيعاً في نعله . ولذلك تركهم وبدأ يصلح نعله .

وأنتهز العدو أنشغال القاسم بنعله وأنهالوا عليه بالسيوف والرماح ، وأردوه على الأرض . . .

. . . سقط . . . ونداء مخنوق منه تحت حوافر الخيل يقول :

ـ يا عماه . . .

* * *

وشرب القاسم كأس الموت : « الأشهى من العسل » !

٧ ـ قصة الوفاء بالوعد بعد ... الموت !

الأهم من قصة الثورة : قصة رجالها ، والأهم من قصة رجالها : قصة أخلاقهم .

فليس مهما انهم قاتلوا ... وقتلوا . وإنما المهم ، انهم قاتلوا بأخلاق الأنبياء بينما قتلهم العدو بطريقة الوحوش .

وفي كل ساعات المعركة كانوا ينازلون مع العدو نزال « الصعدة بالنزلة » . كلما سقط العدو في الحيوانية ارتفعوا هم في المناقبية .

وكتبوا بمواقفهم : قائمة بصفات المقاتل المسلم : لماذا يحارب ؟ وكيف ؟

●

عندما نظم الإمام صفوف الثوّار . سلّم البيرق الى اخيه من أبيه « أبي الفضل العباس » . وبذلك فرض عليه ان يكون آخر من ينزل الى المعركة . لأن البيرق يجب ان يرفرف حتى آخر رجل .

كان عمره يومئذٍ خمساً واربعين عاماً . وكان غاية في الرشاقة والجمال ، حتى ان رفاقه اعطوه لقب « قمر بني هاشم » فلم يكن اجمل منه في العائلة كلها .

بعد دور المنفذ ، أو رئيس الأركان في كل مراحل الثورة . فكان هو

المعني بتنظيم حركة السير ، وتشغيل الثوار . ومعالجة امورهم ، كما كان هو المعني بقضايا النساء والأطفال .

وبقي مع الإمام طيلة ساعات الحرب . لم يفارقه لحظة ، ولم يبتعد عنه إلا لحاجات ضرورية .

وعندما انتهى كل رجال الثورة ، وتحولوا من مقاتلين الى جثث موزعة على رمال الأرض ، اشترك في هجوم مزدوج على العدو : هو هاجم على ميمنة العدو ، بينما الحسين هاجم على ميسرة العدو . .

ثم رجعا الى مقر القيادة . .

وهنا حاول ان يحصل على اذن من الإمام بخوض معركة شرف لينال الشهادة ، ولكن الإمام رفض .

كان الإمام قائده ، فكان عليه ان يلتزم بالأوامر بعد فترة مرة اخرى طلب من الامام الأذن . وقال فيما قال :

ـ اخي : لقد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين . واريد ان آخذ ثأري منهم . وألح على الامام .

فقال له الامام :

ـ إن كان ولا بدّ،فأطلب لهؤلاء الأطفال والنسوة ماءً . . .

فخرج العباس يفكر في طريقة الوصول الى نهر الفرات . كان النهر محاطاً بأربعة آلاف جندي انتشروا حوله . فكان عليه. ان يسلك طريقٌ فرعياً من بين النخيل ليضمن الوصول الى الماء . . .

ولكن كيف يُغفل العدو ؟

جاء الى الميدان ، وصاح في قائد الجيش :

ـ يا عمر بن سعد . . . هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم أصحابه ، وأهل بيته ، وهؤلاء عيالة وأولاده عطاشى ، فأسقوهم من الماء ،

فقد أحرق الظمأ قلوبهم .

فجاءه الجواب :

- يا ابن أبي تراب . . . لو كان وجه الأرض كله ماءً وهو تحت ايدينا لما سقيناكم منه قطرة إلا ان تدخلوا في بيعة يزيد . . . !

ومع طلب الماء ، أراد ان يفهم العدو انهم آيسين من الحصول عليه عن طريق استعمال السيف . وبذلك ضمن إخفاء خطته للحصول على الماء .

وبعد ذلك ، خرج من وراء الخيام ، وسلك طريقاً فرعياً ضيقاً بين النخيل ، وفاجأ القوة المرابطة على النهر بهجوم صاعق شنه عليهم من وراء ظهورهم . فانكشفوا ، ودخل نهر الفرات .

وبسرعة ملأ القربة التي كان يحملها .

ثم مدَّ كفيه ، وملأهما بالماء ، وقرَّبه من فمه ، وكاد ان يشرب . ولكنه تذكر . .

تذكر عطش أخيه القائد . وتذكر عطش النساء والأطفال .

فرمى الماء ، وقفل راجعاً . وكان ينشد :

يا نفس من بعد الحسـين هوني
وبـعــده لا كنـت ان تـكــوني
هــذا حســين شــارب المنــون
وتــشــربــين بــارد المــعــين
تــالله مــا هــذا فـعــال ديـني
ولا فـعــال صــادق الـيـقــين

•

انه لم يشرب وفاءً للقائد ، ومواساة للصغار .

ولكن ماذا لو كان يشرب ؟

حتماً لم يكن يحدث شيء . ولكن اسماك النهر لم تكن تشهد له ـ بعد ذلك ـ بعظمة الأخلاق . ولا كان الانسان يذكره كأعظم مقاتل عرفه تاريخ الوفاء .

ان التزامه بدينه ، وقناعته بمناقبية القتال دفعته الى ان يخرج من النهر كما دخل : عطشاناً الى حد بعيد .

لم يفكر كثيراً في ان يشرب . فقد تحوَّل همه في ان يوصل القربة الى خيام الإمام .

كان يلف حول النخيل ، ويدور حولها ، وهو يحاول التخفي من العدو .

ولكن كثرة جنود العدو ، منعته من الانفلات فقد حاصروه بين مجموعة نخيل . ودخلوا معه في المعركة .

فأنشد يقول :

لا أرهب الموت إذا الموت رقا
حتى اواري في المصاليت لقا
نفسي لنفس المصطفى الطهر وقا
اني أنا العباس اغدوا بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقى

كانت معركته معهم معركة الشرف مع النذالة . معركة الحق مع الباطل . . معركة الرجولة مع الجبن . والتناقض الذي كان بين موقفه وموقف العدو كان يثير الانتباه :

فالعباس كان يطلب الماء للأطفال . . وهم كانوا يطلبون البيعة للنظام !

وهو كان يحارب لأجل العدل وقيّم الحق . وهم كانوا يحاربون لأجل الحطام .

المهم : انه كان يقاتل . ويزأر . . ويتقدم .

غير ان العدو كمن له من وراء النخيل ، وبطريقة غادرة قطع أحدهم يده اليمنى من الكتف فالتقط السيف باليسار . وبدأ يلاحقهم .

وكان ينشد :

والله إن قطعتموا يميني
إني احامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين
سبط النبي الطاهر الأمين!

وهذه منطلقاته : انه لا يحامي عن العشيرة . ولا عن المصلحة . ولا عن الدنيا كلها ، وإنما يحامي عن دينه .

وانه لا يدافع عن الأخ ، وانما يدافع عن الإمام القائد ، الواعي ، الصادق اليقين .

وما دام انه يحامي عن الشريعة ، والقيادة ، فهو لن يلين بقطع يمينه ، وسيظل يقاتل . . ويقاتل . . . ويقاتل .

وظل يدور حول نفسه . .

ويضرب بالسيف . .

ويتقدم . .

ومرة اخرى كمنوا له وراء نخلة ، واسقطوا هذه المرة يده اليسرى من الزند .

فالتفت الى القربة . رآها لا تزال سليمة ، فحطها على قربوس الفرس ، بينما امسك عنقها بأسنانه .

وكان ينشد :

يـا نـفس لا تخشـي مـن الـكـفـار
وابـشـري بـنـعـمـة الجـبـار
قـد قـطعـوا بـبـغـيـهـم يـسـاري
فـأصـلهـم يـا رب حـرّ نـار

لم يُصب العباس باليأس رغم انهم قطعوا يديه . ولكنه كان يعرف انه ليس بعيداً عن الشهادة . . . ولذلك كان يبشر نفسه :

«والبشرى بنعمة الجبار» .

انه مطمئن الى نعمة الله ، لأنه يقاتل الظالمين . فهو اذن يدافع عن العدالة . ولا بد ان تناله « نعمة » الله العادل في الحياة .

كانتا يداه تنزفان دماً . . . ولكنه لم يكن يحس بهما ، لأنه كان يريد الوصول في اقرب وقت الى الخيام . وكان أمله في القربة التي يحملها مشدوداً بحبل القربة الذي كان معلقاً على رقبته . . .

ولكن هذا الأمل لم يدم طويلاً ، فقد رماه العدو بالسهام ، وأصاب القربة سهم ، وأريق الماء . . .

وهنا توقف العباس . وأحس بآلام يديه . احس ان كل قطعة من جسمه تؤلمه . . .

كان الماء ينشف في رمال الأرض بينما كان صوت أطفال الإمام يرتفع : العطش ، العطش . الماء ، الماء .

وفيما كان واقفاً مدهوشاً مما حدث ، جاءه عمود على رأسه ، وأصابه سهم في عينه . وطعنه جندي في ظهره ، فسقط على الأرض .

وسقط معه البيرق .

كان الامام آنذاك يراقب تحركات العباس من خلال رأس البيرق الذي كان يدور بين النخيل ، ولما سقط البيرق عرف الإمام حقيقة ما حدث ،

فأسرع الى مصرعه .

ولكن عندما وصل كان العباس يجود بنفسه . فسمع صوت قادم : ظنه - العدو جاء ليحتز رأسه ، لأن عينه اليمنى كانت ممزقة ، بسهم ، وعينه اليسرى كانت ممتلئة بالدم ، فقال :

- يا هذا . . . بالله عليك امهلني حتى أودّع أخي !

ومع الدموع أجابه الإمام :

- فداك اخوك . . . انا اخوك . . .

ورمى بنفسه على الأرض ، وحاول ان يحمله إلى الخيام ليموت الى جنب اخوته ، وبني عمه . ولكنه التمس الامام ان يتركه حيث هو . ولما سأله الإمام عن السبب قال :

- اخي . . . لقد وعدت سكينة والأطفال بالماء ولا اريد ان يروني فيتذكروا الوعد . . .! وطارت روحه الى الجنة .

●

يقول شهود عيان : « ان بيرق الحسين لما حُمل الى يزيد ، ونشروه أمامه لم يجد فيه موضعاً سالماً من السهام، إلا موضع قبضة الكف التي كانت تمسك به » .

ولما سئل يزيد : من كان يحمل لواء الحسين ، فقيل له العباس ، قال :

- ابيت اللعن يا أبا الفضل . . . هكذا يصنع الأخ لأخيه !!

٨ - ثلاث قرارات للبطولة

في اللحظات التي يقف بها الحق والباطل وجهاً لوجه . . . ويشهران السلاح . . . ويطلبان المبارزة . تتساقط بين الوجوه كل اقنعة النفاق ، وتتعرى المواقف . فيضطر كل واحد ان يقف في الصف الذي هو منه . الصادق مع الصادقين والكاذب مع الكاذبين . فالعائلة المسيحية تدخل في قائمة . . . شهداء الإسلام . . . بينما المسلم ، المزيف ، يقاتل الإمام . . . آه . . .

كيف تنتهي صفقة بيع الجنة والنار . . . في أقل من نهار ؟

●

في البادية الممتدة بين المدينة ، والكوفة ، كانت تعيش عائلة مسيحية لا يتجاوز عدد افرادها ثلاثة : أم عجوز ، وابنها وعروسه .

وكانت العائلة - شأنها شأن كل العائلات القاطنة في تلك المنطقة - مجهولة ، لا تعرف احداً ، ولا يعرفها احد . ولكنها كانت تتمتع بالطيب والاخلاص الى درجة كبيرة . .

وهي - بالاضافة الى ذلك ،- لم تكن متعصبة ، وإنما كانت جاهلة بقضايا الأديان .

انها - ببساطة - لم تفهم الاسلام لكي تتمسك به . والمحاولات التي

جرت لادخال المسيحيين في الاسلام نجحت في عصر الرسول ، لأن النبي لم يخاطبهم من على مشارف الحراب ، وإنما خاطبهم من أعماق الضمير .

اما في عهد بني أمية فلم يكن الأمر كذلك . . .

المهم . . . ان هذه العائلة المجهولة التقت ـ عن طريق الصدفة ـ بالإمام الحسين ، بينما كان يتجه الى الكوفة .

وقرأ الإمام في وجه رب العائلة ـ وكان شاباً لم يتجاوز الثلاثين من عمره . . واسمه وهيب ـ صفاءاً لا حدود له فدعاه الى خيمته ، ولقنه روح الاسلام ، فأسلم ، وأسلمت معه امه ، وزوجته .

ثم قرر ان يلتزم بركاب الإمام . . . وبذلك ربط مصيره بمصير الثورة . . .

إن الثورات تلتقط عادة العناصر الخيرة من أقرب ، أو ابعد الناس ، فلربما انضم الى صفوف الثورة من لم يخطر بالبال ان ينضم اليها . . ولربما وقف في وجهها من يعتقد انه اقرب الناس اليها . . .

لأن قرار الانضمام الى الثورة ، قرار صعب يتطلب الاستعداد لفقد كل شيء ، الصداقات ، والأحبة ، والمال ، والأولاد ، وكل شيء .

ومن ذا يتحمل مسؤولية مثل هذا القرار . . . اللهم إلا من يتمتع بالرجولة ، والشهامة ، وعمق الرؤية . . .

ووهب كان يتمتع بذلك . . .

ولهذا انضم الى صفوف الثورة ، ومنذ البداية قال له الامام كل شيء . . . قال له : انه سوف يقتل ، ويقتل معه كل اصحابه . . وانه سيجرد من ثيابه ، ويجرد معه كل اصحابه . .

وابدى وهب استعداده المخلص لتحمل كل ذلك . . .

أليس من يتخذ قراراً بالدخول في الاسلام ، لا بد ان يتحمل مسؤولية

هذا القرار ؟ وإلا فكيف يمكن ان تعتبر اسلامه صادقاً .

هذه هي بداية قصة العائلة . . .

وهي بداية موفقة . . .

ولكن نهايتها تعتبر من أغرب ما عرفه الانسان ، فوهب أصبح أول شهيد مسيحي ـ أسلم قبل الثورة بأيام .

وامه : أُعتبرت أول ام في التاريخ تقول لأبنها :

ـ لن ارضى عنك حتى تقتل . . .

وزوجته : اعتبرت أول شهيدة من شهيدات الثورة لنستمع الى قصتها منذ البداية .

في صباح يوم عاشوراء . . . وفيما كان وهب يتحدث مع زوجته ، عن الحرب ، والحسين ، والحق والباطل . . دخلت عليه امه ، وقالت له بحزم وقوة :

ـ يا وهب . . قم وانصر الحسين . . .

فأجاب : لأنعمنك عيناً . . .

ثم نهض ، وحمل سيفه ، ولبس لامة حربه ، وخرج من الخيمة حتى اذا استأذن الأمام في دخول المعركة . انحدر نحو الساحة وهجم على أول مجموعة من قوات العدو . ودخل معهم في معركة عنيفة ، وقتل بعضهم ، ثم بطريقة ذكية انفلت منهم وعاد الى الخيمة .

كانت امه لا تزال في خيمته تتحدث مع زوجته ، وفوجئت به يدخل عليها ، وسيفه يقطر دماً ، وعليه آثار طعنات السيوف ، والرماح . فقال لها :

ـ ارضيت يا أماه ؟

ـ لا . . .

- «لا ارضى عنك حتى تقتل بين يدي ابن رسول الله » . . . .

صحيح انها كانت امه . . ولكن صحيح ايضاً انها كانت تريد لولدها كل خير . . فهي تعرف قيمة : ان يدافع الانسان عن دينه وعن ابن بنت رسول الله . . . فالمقتول هنا سيكون صديقاً ، لدى الله . . . واية فرصة ستتاح لابنها لكي يحمل وسام الصديق غير ان يقتل في ذلك الصباح ؟

وكررت عليه . . .

- افهم يا وهب : لن ارضى عنك حتى تقتل . . .

ومن غير ان يقول شيئاً ، قفل راجعاً الى المعركة . . .

ولكن زوجته - التي احست هذه المرة بخطورة القضية قفزت اليه ، وضمته الى صدرها . . وبدأت تلتمسه . . .

- عزيز يا وهب . . .

نور عيني يا وهب . . .

لا تفجعني بنفسك . . .

لا ترملني . . .

لا . . . .

وهنا تدخلت الام - لتضع حداً لتأخر وهب من نيل الشهادة - فصاحت بزوجته من جانب :

- اتركيه . . .

ثم صاحت به من جانب آخر :

- يا وهب . . . لا تسمع قولها . . . وارجع وقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله ليكون غداً شفيعك عند ربك . . .

وهكذا خلصت وهب . . . ودفعته خارج الخيمة . . . حيث عاد الى

الساحة وهو ينشد للحرب :

اني زعيم لك ام وهب
بالطعن فيهم تارة والضرب
فعل غلام مؤمن بالرب
حتى يذيق القوم مر الحرب
اني امرؤ ذو مرة وعبب
ولست بالخوار عند النكب
حسبي بنفسي من عليهم حسبي
اذا انتميت في كرام العرب

وخاض معركة عنيفة ، قطعوا فيها يديه ، وفيها كان يفر ، ويكر عليهم ، واذا به يسمع صوت زوجته :

ـ فداك نفسي يا وهب . . .

« قاتل دون الطيبين . . .

« قاتل دون الصالحين . . . »

التفت . . رأى زوجته وهي تحمل عموداً من اعمدة الخيمة ، وتحاول ان تقاتل بها الرجال . . .

فأوصل نفسه اليها وبادرها :

ـ هيه . . . الآن كنت تنهينني عن القتال . . وتقولين لي لا تفجعني بنفسك . . . لا ترملني ؟ ثم جئت تقاتلين معي ؟

فقالت :

ـ يا وهب . . لا تلمني . . ان واعية الحسين قطعت نياط قلبي ، وهدت أركاني . . . ورغبت معها عن الحياة . . . لقد سمعته يقول :

- واغربتا ه . . .

واوحدتاه . . .

واقلة ناصراه . .

أما من مجير يجيرنا . . .؟

أما من ذاب يذب عنا . . .؟

وسمعت اصوات نسائه قد ارتفعت بالبكاء في الخيمة فخرجت لأقاتل معك وانال السعادة . . .

حاول ان يعيدها . . ولكنها رفضت العودة . . .

فاستغاث بالحسين (ع) فناداها الإمام :

- جزيتم من أهل بيتي خيراً . . . ارجعي الى النساء . . . بارك الله فيك . . فإنه ليس على النساء قتال . . .

ورجعت . . .

لم تكن ترثي لحاله . . . بمقدار ما كانت تغبطه ، وهو ينال شرف الموت من اجل الله والحق . . .

ولذلك فعندما سقط وهب على الأرض . . . نسيت ظروف المعركة ، فأسرعت اليه ، ولكنها وصلت اليه متأخرة . . . كان جسداً هامداً ، فانحنت عليه تصبغ شعرها بدمه وهي تغمغم :

- هنيئاً لك الجنة . . يا وهب . .

وبقيت فترة من الوقت وهي تقلب خصل شعرها في دمائه . مما اثار عواطف العدو ، فخاف قائد الرجال - شمر بن ذي الجوشن - من حدث تمرد في بعض قطعات الجيش ، فأمر بعض الجنود ان يحفروا ظهرها بالرماح من الخلف ، ويقضوا عليها ، وهي تغسل شعرها بدم زوجها .

وهكذا . . . قتلوا زوجة وهب ، الشابة التي هنئت زوجها بالجنة .

وكانت أول امرأة تنال الشهادة في ثورة كربلاء . . .

●

هـل عرف العـدو ان ام وهب هي التي كانت وراء شهـادته . . . ربما . . .

بدليل انه عندما جاؤوا بجسد وهب الى عمر بن سعد ، أمر ان يقطع رأسه ، ثم يرمي به الى امه . . .

هل كان تنكيلاً بها . . .

أم كان حباً في تلوين الجريمة ؟

أم أرادوا ان يعقموا جرح الأم في موت ابنها ؟ .

ولكن . . . من قال ان الأم المؤمنة تفقد اعصابها إذا واجهت رأس ابنها الشهيد ؟

جاء الرأس ـ وهو يدور في الجو ـ ووقع على مقربة من أم وهب . . . فحملته بكل رباطة جأش ، ومسحت ـ بطرف ثوبها ـ الـدم والتراب من وجهه . . . ثم وقفت على عمود خيمة كان مرمياً في الساحة ، وقالت بصوت عال :

ـ الحمد لله الذي بيض وجهي بشهادتك . . .

ثم رمت به الى معسكر العدو . .

لماذا ؟

ربما لكي تقول لهم . . . لقد انتهيت من ابني في سبيل الله . . . وموته لن يعني لي غير . . . المجد . . . فاسترجعوا هديتكم .

●

ثلاث قرارات اتخذتها العائلة المسيحية ، ودخلت بها التاريخ من أوسع أبوابه .

١ ـ قرار الدخول في الاسلام . . . وقد اتخذه وهب . . .

٢ ـ قرار الشهادة في سبيل الله . . . وقد اتخذته امه .

٣ ـ قرار الموت معه . . . وقد اتخذته زوجته . . .

فياليت عائلاتنا تتعلم .

٩ ـ الأم تبحث عن الموت لولدها

عندما تكون القضية عادلة . فإن صفاء الروح يزداد اتساعاً الى درجة ان تبحث «أم» لا تملك غير وليد واحد .. تبحث عن قلادة الشهادة لكي تعلقها على جيده ... آه ..

ما أجمل ان يؤمن الانسان بقضية عادلة ...

●

ـ عمره : أقل من احد عشر عاماً ...

طوله : أقل من طول سيف مستقيم ـ إذا ركز على الأرض .

ملامحه ... تحكي عن هدوء ، وتصميم ، وبطولة ...

رأته بعض النساء ، وهو يلبس الخوذة ، ويحمل على ظهره السيف ، ويمشي كالأبطال المنتصرين بإتزان عظيم .

اقترب من إحداهن ، وسألها : اين خيمة الحسين ؟

كان الامام ـ حينئذٍ ـ داخل خيمة القيادة ، يراقب سير المعارك .. فدلته المرأة اليه ... وسرعان ما اختفى بين الخيام .. بينما كانت المرأة تلاحقه بنظراتها .

ترى : ماذا يريد من الحسين ؟

هل سيطلب ماءاً ؟

وماذا سيقول له الحسين ؟

اذا كان يريد الماء ، فما معنى السيف الذي يتقلده ، بينما هو يخط على الأرض خطوطاً عرجاء كأنها الأفعى ؟

هل يريد ان يقلد الكبار في حمل السيف ؟

بكل رباطة جأش دخل خيمة الامام .. فضمه الحسين الى صدره ، وبادره :

ـ ماذا تريد يا بني ؟

ـ الاذن . . .

ـ الاذن ؟ الاذن في ماذا ؟

ـ أبا عبد الله .. لقد قتل أبي في المعركة .. وأُريد ان أُقاتل القوم ، فإذن لي .

كانت نبراته هادئة . . . وكان تلهفه للحصول على رخصة الحرب شديداً ، كأنه عريس يبحث عن غرفة الزفاف .

نظر اليه الامام طويلاً ، فانزلقت عيناه الى خديه الممتلئين دماء الى قده ، الى السيف الذي بدا وكأنه أطول منه ، إلى رجليه الحافيتين . ثم قال (ع) لمن حوله :

ـ هذا قتل أبوه في المعركة .. وأخشى ان لا ترغب أمه في القتال . . . ولكنه بادر قائلاً :

ـ سيدي .. إن امي هي التي قلدتني حمائل سيفي .. وأمرتني بذلك . . .

فامتلأت عينا الإمام .. بالدموع .. وقال :

ـ بارك الله فيكم .

واعتبرها الطفل اذناً له . . . فانحدر الى الساحة مهرولاً

وسمعه العسكر يقول ـ وهو يهجم على العدو :

أميري حسين ونعم الأمير . . .
سرور فؤاد البشير النذير . . .
له طلعة مثل شمس الضحى
له غرة مثل بدر منير
علي وفاطمة والداه . . .
فهل تعلمون له من نظير؟

●

هل كانت هذه الأنشودة من صناعته ؟

أم ان امه هي التي صنعتها . . ثم حفظها هو؟

لم يعرف أحد . . .

إنما الذي عرفوه . . ان هذا الطفل . حارب مثل الكبار . . وردد انشودة الحرب مثل الكبار . . . وحتى موته جاء مثل موت الكبار . . .

فقد قطعوا رأسه . . . ورموا به الى معسكر الإمام . . .

كأنهم بذلك أرادوا أن يخوفوا امه . . . أو ينكلون بها لكي تكون عبرة لبقية النساء . . .

ولكن الام كانت فوق أن يهد من عزيمتها رأس ابنها المقطوع . . .

إن إيمانها بعدالة قضيتها كان يزداد صفاءاً وهي تقدم هذا الطفل قرباناً على طريق الله والحق . . . والعدل .

إن رأس ابنها المقطوع كان يعني لها : قنديل شهادة ، ولذلك فإنها امسكت بالرأس ، وكان الدم لا يزال يتدفق منه بحرارة ، وأخذت تمسح عنه

التراب وتقول :

-أحسنت يا نور عيني . . .

احسنت يا سرور فؤادي . . .

ثم رمت بـه الى جانب معسكـر العدو . . وحملت عمـوداً للخيمـة وانحدرت نحو الساحة وكانت تصيح :

« أنا عجوز في النساء ضعيفة . . .

خاوية . . بالية . . نحيفة . . .

ضربكم بضربة عنيفة . . .

دون بني فاطمة الشريفة » .

لماذا رمت الرأس الى معسكر العدو ؟

ربما لكي يعرفوا أن الايمان يصنع المعجزات . . . فيجعل الام تقاتل برأس وليدها . . في سبيل تحقيق ارادة الحق في الأرض . . .

وربمـا لكي يحمـل رأسـه جنبـاً الى جنب مـع رؤوس الشهـداء في كربلاء . . . الى الكوفة والشام ، فيزداد مجده ، ويرتفع قدره . . وربما لأنها كانت تريد ان تقول : أن الرأس الذي اهديته في سبيل الله لا أسترده . .

●

وهكذا يصنع الايمان بالنفوس . !!!

١٠ . لا .. للماء .. اذا لم يكن غير العطش وسيلة للرفض ..

الثورة تزيد في الاعمار ..

إن عجلات التاريخ خلال الثورة تقطع المسافات الطويلة بسرعة كبيرة .

فيكبر الاطفال بدل الساعة عاماً .. وبدل اليوم قرناً .. ويبدأون في حمل قضية الامة وهم في عمر البراعم .

●

بطريقة بربرية ، أوقف العدو أسرى معسكر الامام وعددهم ٨٤ طفلاً ، وامرأة ، وشاب واحد أقعده مرض حاد .

وبعد أن احرق على رؤوسهم الخيام .. واستلب ما كان عليهم من الحلي ، وأدوات الزينة بطريقة وحشية ، حتى أن أحدهم عقب فتاة صغيرة بعقب رمحه .. فهربت منه وهي لا تدري ما يريد ، حتى إذا عجزت عن مواصلة الركض وقفت في وجهه ، وقالت :

ـ يا شيخ .. سلام عليكم ..

وبدل أن يرد التحية بمثلها ، عمد الى قرط في اذنها وحاول ان يخرجه من اذنها .. ولكنه عصى عليه .. فما كان منه الا ان قطع اذنها بسيفه .. واخرج منها القرط .

بعد ذلك .

بعد ذلك . .

« ترحم » أحد جنود العدو على الأطفال عندما رآهم . . يسقطون على الارض من شدة العطش ، فجاء الى عمر بن سعد ، وسأله ان كان ينوي قتل الأسرى أم لا ؟ ربما لكي يعرف ان كان عليه أن يتحمل متاعب قتل ٨٤ طفلاً وامرأة ـ أم لا . . . ؟

فأجابه عمر بن سعد بالنفي .

فجاء الى « الشريعة » وملأ آنية خزفية بالماء ، وجاء بها الى الاطفال . . وهم يقفون في صف طويل مدهوشين لا يفهمون ما يجري حولهم ـ وقدم آنية الخزف إلى الاول .

كان يظن انه سيمسكها بكلتا يديه ، ويعب منها كل ما فيه .

ولكن الطفل عندما رأى ماء رفض ان يشربه .

فقدم الآنية الى الثاني . . . ورفض . . . هو بدوره . . ان يشرب . . فقدمها الى الثالث ، فالرابع ، فالخامس ، وكلهم رفضوا أن يشربوا .

الا ان الأخير منهم . . وكانت فتاة صغيرة . . امسكت بالآنية وانحدرت بها نحو ساحة المعركة . . فلحقها الرجل ، وهو يصيح :

اين ؟ اين ؟

قالت :

ـ اذهب للحسين . . انه كان عطشاناً . . اريد الحسين .

فقال لها الرجل :

ـ الحسين قتل . .

فرمت الآنية ، وكسرته ، وقالت :

ـ واذلاه . .

ماذا كان يملك الأطفال غير العطش ، وسيلة لرفض الذل ، والخنوع ؟

وماذا كانوا يملكون هدية . . للامام ليكون رمزاً للوفاء له غير كسر آنية

الماء ؟

١١ . صلاة الى جانب الجسد المقطع

الثقة بالله ..

وتحسس حضوره : زخم روحي يزيد من قدرة الانسان على تحدي المأساة .

فالمؤمن اقوى من الجبال : فهي تزول .. ولكنه لا يتزلزل .

ان مآسي الحياة ، لا تناوش الجسد ولكنها تناوش الروح . ولا شيء يدعم الروح كالثقة بالله وتحسس حضوره .

●

كان كل شيء منتهياً ..

المعركة التي بدأت في الصباح ، انتهت عند المساء بمقتل كامل احد المعسكرين ، وهو المعسكر الأصغر حجمًا ، بكل رجاله ، وشبابه ، وكثير من اطفاله ايضاً .

كانت ذيول المعركة مشرفة على الانتهاء ..

الصحراء تتململ تحت أرجل عشرات الالوف الذين تجمعوا حلقات ، حلقات وهم يتحدثون فيما حدث : من قتل من ؟ من قطع رأس من ؟ من بقي ؟

بعضهم كان مشغولاً بمعالجة الجرحى .

وبعضهم كان يصلح سلاحه الذي التوى في الحرب .

وبعضهم كان يتعهد فرسه الذي اصيب .

وبعضهم كان يستعرض ما سلبه من خيام الامام .

وبعضهم اوجعه ضميره فآثر النوم مبكراً .

مع مرور الزمن كانت المهمة تخف .. فالجميع .. كانوا متعبين الى درجة كبيرة .

ولم لا ؟

أليسوا قد اشتركوا في معركة قاسية جداً استمرت طيلة النهار كله ؟

الساعة تقترب من منتصف الليل ، والأصوات تهدأ ، حتى كأن الصحراء تخلو من الناس ، لا صوت إلا ما يطلقه بعض الجرحى ، وهم يطلبون الاسعاف ، أو يبحثون عن الماء .

ميدان المعركة كان منقعاً بالدم ..

أجساد هنا وهناك .. أعضاء بشرية مقطعة .. سيوف ورماح مطروحة .. خيول مقتولة .

خيام المعسكر المنتصر كانت تملأ مسافة ستين إلى سبعين كيلو متراً ، وكانت أشعة النور الخافتة المنبعثة من فوانيس عادية داخل الخيام ، تتراقص ما بين الأطناب ، ثم لا تلبث أن يطفأها الجنود ، وينامون .

خيام معسكر الامام تحولت الى رماد ، بعد أن احرقها العدو ، وكان ينام عليها نساء واطفال الشهداء ، بعد ان فقدوا كل شيء .

الآن .. هدأت الأصوات .

كان القمر وهو ابن عشرة أيام ، يتوسط السماء ، فيلقي على الأجساد

نوره الخافت ، ويزيد من وحشة الصحراء .

ماذا كان يعمل القمر ؟

هل كان يستعرض نتائج ما حدث ـ وماذا كانت النتائج غير التنكيل ، والتقطيع ، والسلب والنهب والحرق ؟

هل كان يبحث عن المعسكر الآخر ، الذي اجتاحه بنو الإنسان ، فأبادوا رجاله ، واستلبوا اشيائه واحرقوا خيامه ؟

أصحيح انهم كانوا من بني الانسان ؟

وهل يصنع بنو الانسان ما صنع اولئك ؟

ام ترى ان بني الانسان اكثر وحشية من بني الحيوان ؟

ومتى كان الحيوان يقتل بني جنسه ؟

متى دخلت الذئاب في معركة ضد بعضها البعض ثم :

متى دخلت ضحاياها في معركة ضد بعضها البعض .. ومن بعيد .. من على جسد خيمة محروقة .. من بين اطفال صغار كانوا يتوسدون رمال الارض .

كان القمر يقطع السماء ببطىء . وكانت الفوانيس قد اختفت .. والاصوات سكتت .

كلهم ناموا ..

كلهم سكتوا ..

كلهم استسلموا للصمت .. كأن الصحراء لا تحمل أحداً أو كأنها تعبت مما تحملته في النهار ، فآثرت النوم في احضان السكوت .

من هناك تحرك شبح إمرأة ..

تحرك الشبح ببطىء .. وقف على رجليه بصعوبة .. نظر الى

اليمين .. الى اليسار .. إلى الأمام .. إلى الوراء ..

ثم تحرك .

كان الشبح مطمئناً إلى انهم نائمون .. وان احداً لا يراه ومع ذلك فإنه كان يمشي بحذر .

كان يمشي قليلاً ، ويستريح قليلاً .. ولما وصل الى الميدان انحنى على الجثث وبدأ يمشي ، كأنه يبحث عن شيء .

ـ هل كان يبحث عن ضائع ؟

وماذا يمكن ان يكون ضائعاً هناك الا الشرف ، والكرامة ، والانسانية ؟

ـ هل كان يريد ان يتأكد مما رأته عيناه في النهار ؟

وماذا بقي له من أمل ، بعد ان قطعوا اجساد اعزائه واحداً بعد واحد ، ورفعوا رؤوسهم على الرماح ، وطبلوا وزمروا ، وفرحوا واستبشروا بالانتصار ؟

ـ هل كان يحاول ان يعيد اليهم الحياة ؟

وكيف تعاد الحياة الى الاجساد التي لا أيدي لها .. ولا رؤوس ، ولا أرجل ؟

كانت صاحبة الشبح : زينب اخت الامام الحسين ، وكانت قد فقدت خلال النهار كل ما تملك .

فقد قتل من اخوتها : تسعة .

ومن ابنائها : ثلاثة .

ومن اولاد عمومتها : احد عشر .

ومن اولاد اخوتها : ستة .

ومن الاصحاب : اثنان وسبعون .

وفقدت خلال عملية اقتحام الخيـام ، وحرقهـا خمسين طفـلاً وطفلة سحقوا تحت حوافز الخيل .

اذن لم يبق لها اي امل لتبحث عنه ، فماذا جاءت تصنع ؟

لنتابع رحلتها الحزينة . .

ها هي تتحسس بيديها الاجساد . . وتشمها . . وتحتضن بعضها ثم تتركه .

وفجأة تلقي بنفسها على جثة مقطعة ، ليس لها رأس وبها اكثر من مئات من الجراحات الثقيلة .

لنقترب الى الجثة حتى نعرف كيف هي :

انها جثة يلتصق صدرها بظهرها ، كأنها مطحونة بقوة كفها اليمـين مقطعة الى النصف . احدى اصابع يدها اليسرى مقطوعة . . على الصدر آثار سهام ذات رؤوس متعددة .

هذا هو الجسد الذي رمت زينب نفسها عليه ووضعت خدها عـلى صدره

تأكدت زينب من انها هي الجثة التي تبحث عنها .

انهمرت دموعها . . ولكنها خفت عبرتها ، لان العدو كان على بعد خطوات منها . .

بكت بصمت . .

اصحيح انها جثة اخيها : الحسين ؟

وأجهشت بالبكاء . . كـادت ان تصيح ـ وليكن مـا يكون ـ ولكنهـا تذكرت وصيته التي صرح بها قبيل موته :

ـ اخية زينب . . اذا انا قضيت نحبي فلا تشقي علي جيبـاً ، ولا تخدشي علي وجهاً . .

تذكرت صوته ساعة جمع النساء ، وقال :

ـ استعدوا للبلاء . . ان الله حافكم وحاميكم وسينجيكم من شر الأعداء ، ويعذب اعدائكم بأنواع العذاب ، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم ويحبط اجركم . .

لم يكن يراها احد . .

ولم يعرف التاريخ ما قالته في ذلك الليل الحزين لقلب اخيها الذي داسته الخيل واوقفته عن الحركة . . ولكنه سجل كلمتها العظيمة جداً جداً عندما رفعت وجهها إلى السماء . . ومدت يديها تحت الجسد . . ورفعته على رؤوس اصابعها . . ومع قطرات الدمع التي كانت تنزلق على خدها ، قالت :

ـ اللهم . . تقبل هذا القربان من آل محمد . .

فهو اذن قربان على طريق الله . .

ولا بد ان تعقبه قرابين . .

ولا بد ان الثورة ستستمر . .

ثم . . وضعت الجسد المقطع على الأرض . . وتوجهت الى القبلة . .

في البدء حاولت ان تصلي من قيام . . ولكن ركبتاها خانتاها فوقعت . وهكذا جلست على الرمال . . وبدأت تصلي .

كان جسد اخيها على جانبها الأيمن . . وكانت اجساد ابنائها ، واخوتها موزعة على التراب .

ولكنها غمضت عينيها عن كل ذلك ، ورفعت يديها الى اذنيها ، وقالت بصوت خافت ـ :

ـ الله اكبر . .

يقول الامام علي بن الحسين ـ الذي شهد ذلك الموقف :

ـ لقد صلت عمتي زينب صلاة الليل ، في ليلة الحادي عشر من المحرم ، وهي جالسة .

وكانت صلاة مستحبة لم تتركها زينب في ذلك الليل المهول .

١٢ . على الرمح : رأس طفل رضيع

عندما تكون القضية ، قضية : ان يكون الدين ومبادىء العدل والحق او لا يكون ؟ فان كل شيء يصبح رخيصاً : المال والبنون ، والنفوس .

ولكن الامر بحاجة الى شجاعة :

شجاعة بذل المال .

وشجاعة تقديم الاولاد .

ومع الشجاعة تهون المصيبة . وتكون كالضربة التي توقظ ولا تقتل .

●

أصحيح ان الايمان بالله كجهاز المراقبة ، والتدقيق (الكنترول) يعدل تصرفات الانسان ، ومواقفه ، وتدقيق افكاره وعقائده ؟

أصحيح ان الذي ينسلخ عن خوف الله يمكن أن يرتكب أبشع جريمة ، بأسهل مما يشرب كأس الماء ؟

أصحيح ان الذي يرتكب الجريمة بشكل مكرر ، يلتذ منها لانه يتعود على ممارستها ؟

لقد أجاب على هذه التساؤلات جيش الالحاد الذي كان يقوده عمر بن

سعد في صحراء كربلاء .. اجاب عليها عملياً عندما اقدم على قتل وذبح الاطفال امام عيون الامهات ، وكأنه يمارس هواية صيد العصافير .

واجاب عليها عندما اقدم على ذبح طفل لا يتجاوز عمره الثامنة ـ جده رسول الله ، وابوه الامام الحسن : سيد شباب أهل الجنة ـ وهو في حضن عمه الامام الحسين من دون ان يشعر بأي حرج ..

واجاب عليها عندما رفع على رمح طويل رأس طفل رضيع عمره ستة أشهر ..

ان عنصر « الايمان » فقد عند العدو . فلم تعد التجاوزات عن الانسانية تؤشر له من قريب أو بعيد ، تماماً كما تتعطل أجهزة المراقبة في جهاز الفرن فلا يسجل فيه ارتفاع أو انخفاض النيران .. وربما انفجر الفرن نتيجة تصاعد النيران ومن دون أن يحس به أحد .

ان كل انسان فيه نوازع الشر .

ولكن الذي يمنعه عن ذلك هو ايمانه بالله ، والخوف من عقابه ، والحذر من مراقبته ، فإذا ما تعرض الايمان للتعطيل فان من الممكن أن يرتكب أي جريمة تصل اليه يده من دون ان يشعر بالحرج ..

ولا بد لمن يحاول ان يرتكب جريمة من أن يقتل في ذاته « الايمان بالله » أولاً ثم يقدم عليها .. وإلا فان جسمه أعجز من ارتكاب ما يمنعه ضميره .

●

والآن لنستعرض ما يمكن ان يرتكبه من لا ايمان له . أفلت الطفل . « عبد الله بن الحسن » وعمره ثماني سنوات ، أفلت نفسه من يد امه ، وركض باتجاه النقطة التي سقط فيه عمه الإمام على الأرض .

كان الامام إذ ذاك مشغولاً بنفسه : يحاول أن يجمع التراب تحت ظهره لكيلا يبدو في الانظار ، كالساقط على الارض وإنما يتوسد التراب ، كالمتكىء ...

خرق الطفل طوابير الأعداء الذين كانوا يحيطون بالإمام وهم يرمونه بالحجارة ، والعصي ، ولا يتجرأون على الاقتراب منه ، ورمى بنفسه على صدر عمه . . .

فضمه الامام اليه . .

وهنا تقدم أحدهم ، وتدافع مع مجموعة من جنود العدو باتجاه الامام ، ورفع سيفه في الهواء لينزل به على رأسه .

نظر الطفل الى السيف ، وهو يرتفع من أجل ضرب الامام فصاح بحامله ، مذعوراً :

ـ يا بن الخبيثة أتريد ان تقتل عمي ؟

وكانت كلمة « يا بن الخبيثة » ثقيلة على الرجل (. . .) فحول السيف من رأس الامام ، إلى جسد الطفل ، وأنزلها بكل قوته عليه . . ولكن الطفل ، اتقاه بيده الصغيرة . . فانقطعت من الكتف ، وبقيت معلقة بجلد رقيق .

فالتفت الطفل الى أمه ـ وكانت واقفة بباب الخيمة تنظر اليه بدهشة تعقد اللسان ـ وصاح :

ـ اماه . . لقد قطعوا يميني . .

والتفت إلى الامام وصاح :

ـ يا عم لقد قطعوا يميني . .

فألصقه الامام بصدره . . وبدأ يقول له ـ وكأنه يسليه :

ـ يا أبن أخي . . اصبر على ما نزل بك . . واحتسب في ذلك الخير فان الله يلحقك بآبائك الصالحين . . برسول الله . . وعلي بن أبي طالب ، وحمزة . . وجعفر . . وأبيك . .

ان أقسى قلب لا بد أن يرق لهذا المنظر . فالحسين مثخناً بالجراح

يعالج نفسه .. والطفل الوديع الجميل على صدره يشخر في دم كتفه المقطوعة ، وكل واحد منهما ينظر الى صاحبه .

ولكن ماذا لو قتل الايمان في نفوس القوم ؟

لقد عمد أحدهم ـ من أجل نيل العار ـ الى مجموعة نبالة فطلب منهم أن يرموا الطفل مرة واحدة ويقضوا عليه .

كل ذلك وامه تنظر اليه ..

وعمه ـ كذلك ـ ينظر اليه ..

ثم ابعدوا جثة الطفل الهامدة برؤوس الرماح عن جسد الامام .. وبدأوا يتدافعون لقتله .

هل رأيتم مجموعة قطط تتدافع على طير جريح يسقط من عال ؟

هكذا تدافع العدو ـ في غياب من الايمان ـ على الامام ، وكل يمني نفسه لكسب « شرف » قتله لدى السلطات ـ تدافعوا نحوه .. وتدافعوا .. فصاح فيهم :

ـ ويلكم أعلى قتلي تجتمعون ؟

« اني لأرجو الله أن يكرمني بهوانكم .. ثم ينتقم لي من حيث لا تشعرون » .

كان عمره حينئذ يقرب من الستين عاماً وله هيبة الشيوخ وكانت الجراحات قد زادت في هيبته وهو ـ بعد ذلك كله ـ لم يبد ضعفاً ، بل حاول مرات ومرات أن ينهض ، ولكن بادروه بسهم ، أو ضربوه بسيف ، أو طعنوه برمح ..

فقام .. وسقط ..

فقام .. وسقط ..

وكانت عيناه الغاضبتان تلاحق كل من يضربه ، فيصاب بالخوف ، والذهول .

وتوقف الجيش لحظات عن متابعة مقتله ، عندما فاجأتهم زينب من وراءهم ، وهي تنادي :

وامحمداه . .

واعلياه . .

وافاطمتاه . .

واحسناه . .

الآن قتل جدي . .

الآن قتل أبي . .

الآن قتلت امي . .

وصاحت في قائد جيش العدو :

ـ ويلك يا أبن سعد . . أيقتل أبو عبد الله ، وأنت تنظر اليه ؟

وكادت الضمائر ان تلتقط هذه النداءات ، لولا ان نور الايمان كان قد انطفأ فيهم قبل ذلك .

فتقدم الى الامام احدهم ، وضربه بالسيف على معصم يسراه ، فأطارت كفه . .

ثم تقدم آخر ، فضربه بسيفه على عاتقه ، فوقع على الأرض فانهالوا عليه ، وضربوه بالحجارة والعصا ، والرماح والنبال والسيوف ، حتى اجتمع حوله تل صغير من أعقاب الرماح وبقايا العصى ، والحجارة حوله .

وتقدم اليه شمر بن ذي الجوشن وقلبه على ظهره ، وبه حياة ، وجلس على صدره ، وامسك بلحيته ، وبدأ يقطع رأسه ، وبينما كانت الرياح عاتية

تلهب ظهره من الوراء ، كان يرفع رأس الامام على الرمح .. وصاح الجيش الفارغ من الايمان صيحة النصر .. وبدأت الطبول تدق نشيد الأفراح .

●

هل كان الجيش الذي ارتكب هذه الوحشية مقتنعاً بصحة موقفه ، أم تراه كان يدرك خطأه ؟

لا شك أن السلطات استغلت اسم الدين ، شأنها شأن أية سلطة ظالمة في التاريخ .. ولهذا نجد ان عمر بن سعد يقول ساعة يأمر جيشه بالهجوم على معسكر الامام .

ـ يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشري ؟ !!

ولما ينتصر على الامام ويرفع رأسه على الرمح يصيح ـ الله أكبر !! ؟

وحين يريد ان يحرق الخيام على رؤوس الأطفال والنساء ينادي :

ـ علي بالنار لأحرق بيوت الظالمين ؟!

وربما كان بعض الجنود واقعاً تحت تأثير الدعايات ولذلك كان على الامام ان يصبر على كل تلك الوحشية حتى يخلص الدين من مستغليه ، ربما كان عليه ان يرتفع في الايمان الصادق كلما سقط عدوه في قاع الفراغ ، حتى يضع « قيم الايمان » ويعطي المثل الصحيح لمواقف المؤمنين .

ولكن :

ما ذنب الأطفال ؟

هل يمكن تصور الاقتناع في ذبحهم في أحضان الآباء ، والامهات ؟

●

مساء اليوم الحادي عشر من محرم الحرام عام ٦١ هـ . كان موعد انسحاب جيش عمر بن سعد من أرض المعركة .

كانت الصحراء اشبه شيء بخلايا نحل : كـل مجموعـة من الجنود

يتجمعون حول بعضهم البعض ، ويتعاونون على حمل المعدات ، والمغانم ، وانزال الخيم وحملها . . الأصوات تختلط مع بعض . . طبول الانتصار تقرع باستمرار . . عمر بن سعد واقف على التل يأمر وينهي . . اعلام القبائل ترتفع الواحدة تلو الاخرى ، ويتجمع حولها رجال القبائل أكثر من ثلاثين قبيلة اشتركت في مقتل الامام ، وها هي تلملم رجالها وتتفقدهم من أجل العودة .

تقاسموا رؤوس الثوار ، حسب نظام قبلي وبدأت الرماح الطويلة ، تحمل رؤوس الشهداء . .

بعض القبائل كانت قد حازت على رأس شهيد منذ يوم عاشوراء ، وبعضها الآخر كانت تبحث عن كبير في جيش الثورة لكي تحز رأسه .

وتحرك الجيش من موقعه بينما كانت الطبول تقرع بشدة ، وهوسات الفرح تثير الغبار ، وتملأ الصحراء بالضجيج . وفجأة سمعت صفارة القائد . . وأمر عمر بن سعد ما الذي حدث ؟

ولماذا توقفت الطبول ؟

واشرأبت الأعناق تبحث عن سبب التوقف المفاجىء . كل واحد يسأل صاحبه : هل حدث شيء ؟

وبعد مرور فترة قلقة تبين الأمر : ان قبيلة من القبائل لم تحصل على « رأس » شهيد ، ولذلك فانها رفضت العودة من غير « شرف » امتلاك رأس ؟ !

وحدثت المشكلة . .

الجيش لا يتحرك إلا إذا تحرك كله ، والبحث قائم على قدم وساق من أجل العثور على « رأس » .

مرت ساعة وجهود الجيش ذهبت هباءاً . . لا رأس بين شهداء الثورة ! وتذكر حرملة بن كاهل الأسدي ـ قائد فرقة الرماة ـ حادثة . وكانت

بمثابة « رأس الخيط » لحل المشكلة .

فقد تذكر انه في اواخر لحظات الحرب .. وبينما بقي الحسين وحده ذهب الإمام الى داخل الخيمة .. وحمل معه ـ شيئاً ـ ملفوفاً بثوب .. ظنه بعضهم انه قرآن ، ولكن تبين انه طفل صغير لا يتجاوز عمره الستة أشهر .

حمله الحسين علي يديه ، وصاح بهم :

ـ يا قوم .. إن كان هنالك ذنب للكبار .. فلا ذنب لهذا .. خذوه واسقوه شربة من الماء ، فوالله لقد جف اللبن في صدر امه .

وظل يطلب منهم ذلك فترة من الوقت ، حتى اختلفت الجنود فيه .. منهم من طالب بارواء الطفل ، ومنهم من خالف ، فقال عمر بن سعد لحرملة :

ـ اقطع نزاع القوم .

وعرف حرملة ماذا يعني .. فأمر أن يرميه الرماة بالسهام ويقضوا عليه .

وهكذا كان .

فقد خرق سهم مجنون نحر الرضيع .. وارداه قتيلاً .. على كف أبيه .

فأخذ الإمام يملأ كفيه من دم نحره العبيط ، ويرمي به الى السماء ويقول :

ـ هون على ما نزل بي انه بعين الله .

« اللهم ان كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى ..

« اللهم ان كنت حبست عنا النصر ، فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين .. واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل » .

تذكر حرملة كل ذلك .. فقال للجيش : لقد حلت المشكلة فرأس هذا الطفل ليس ملك احد بعد .

وانتشر الجنود يبحثون عن جثته .. ولكن بلا جدوى ، فجثة الطفل ليست موجودة .

وتذكر حرملة مرة اخرى ، ان الامام لم يحمل جسد طفله الى خيمة الجثث ، لأنها كانت في تلك اللحظة ممتلئة بالنساء الثكالى .. ورغبة منه في أن لا يجرح قلب امه حفر له قبراً صغيراً بجفن سيفه ولفه بثيابه ، وصلى عليه ودفنه ـ كما يذكر التاريخ ـ وانحلت المشكلة .

فقد ذهبت مجموعة رجال غلاظ الى قبر الطفل ، وحفروه وأخرجوا جثته ، وقطعوا رأسه الصغير ، وتحركوا باتجاه الكوفة ..

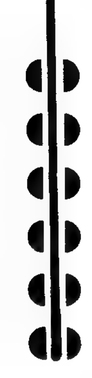
وعادت الطبول تقرع من جديد .

وعادت الأحلام تهتز علامة النصر .

فقد ارتفع على الرمح ، رأس طفل رضيع !!

عينات

عن رؤية الشهيد



للامام الحسين رؤيته الإسلامية العميقة للحياة ، وتتجلى هذه الرؤية في مواقفه ، كما تتجلى في كلماته وخطبه ، التي القاها في مختلف المناسبات . .

وللوقوف على عمق الرؤية الحسينية ، لنستعرض بشكل سريع نماذج من كلماته القصيرة في مختلف القضايا .

المحك . . أيام الشدة :

الالتزام بالقيم ، والأخلاق ، ومبادىء الدين لا يجب فقط في الأيام العادية ، و « الظروف التي تسمح بذلك » وانما في ايام الشدة . . ايضاً . .

فليس مؤمناً ذلك الذي يلتزم بالدين ، عندما لا يكون في التزامه أي خطر عليه . .

وليس عابداً الله ، من يتخلى عنه عندما يكون الالتزام بأوامره في طرف ، ومصالحه في طرف آخر . .

المؤمن هو الذي يتخلى عن كل شيء ، في سبيل الحفاظ على التزاماته أمام الله تجاه خلقه .

اما الذي يتخلى عن ذلك عندما تعصف به أزمة ، أو ينتابه بلاء . . فدينه كذب . . والتزامه نفاق . .

يقول الامام :

ـ الناس . . عبيد الدنيا . . والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت

معائشهم . فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديّانون !

عبادة الأحرار :

عبادة الله ، والخضوع له ، يمكن ان ينطلق من الخوف منه ومن عقابه ، أو من الطمع في جنته وثوابه ، او من الوعي بالمسؤولية تجاهه . .

إذن العبادة ثلاثة : عبادة الخوف ، وعبادة الطمع ، وعبادة الوعي . .

والناس اما « عبّاد ـ عبيد » أو « عبّاد ـ تجار » أو « عبّاد ـ أحرار » .

يقول الامام :

ـ ان قوماً عبدوا الله رغبةً ، فتلك عبادة التجار . وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد . وان قوماً عبدوا الله شكراً . فتلك عبادة الأحرار ،

وهو أفضل العبادة !

●

العلاقة الطبيعية بين الله والإنسان :

العلاقة بين الله والانسان هي علاقة اخذ وعطاء . فمن صار كما يريد الله ، جعله الله كما يريد هو .

يقول الامام :

ـ اوصيكم بتقوى الله ، فإن الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوّله عما يكره

إلى ما يحب ، ويرزقه من حيث لا يحتسب !

●

لا يُخدع الله عن جنته :

بعض الناصحين للناس يتاجرون باسم الجنة والنار ، فيحذّرون الناس من عذاب النار ، ومن الذنب والمعصية بينما هم لا يخافون من العذاب ، ويرتكبون المعصية .

وهؤلاء ظنهم انهم سيدخلون الجنة .

ولكن .. هيهات .. فالله لا يخدع عن جنته .

يقول الامام :

« إياك ان تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه ، فإن الله تبارك وتعالى لا يخدع عن جنته ولا يُنال ما عنده إلا بطاعته ، انشاء الله » !

●

المؤمن... لا يسيىء ولا يعتذر

المؤمن : ليس فقط هو الذي يصليّ ويصوم .

بل انه الذي يسيطر سيطرة كاملة على تصرفات نفسه . وهو ـ لذلك ـ لا يرتكب عملاً يتطلب الاعتذار .

يقول الامام :

« اياك وما تعتذر منه .. فان المؤمن لا يسيىء ولا يعتذر . والمنافق كل يوم يسيىء ويعتذر » !

العالم .. من ينقد ذاته :

كيف نميّز بين « العالم » الحقيقي الذي يفهم الحياة وبين « العالم » الذي يحفظ معلومات ؟

الطريق واضح : فالعالم الحقيقي ليس متعصباً ، ولذلك فهو ينتقد حديث نفسه . وأيضاً فانه يفهم الاسلوب الجيد عكس العالم المزيف .

يقول الإمام :

« من دلائل العالم انتقاده لحديثه ، وعلمه بحقائق فنون النظر » !

●

الأخوة الصادقة و . . . المزيفة :

الأخوّة بحاجة الى « تغذية » . والتغذية هنا تعني مزيداً من العطاء من كل طرف .

ومن دون العطاء المتبادل ، قد تدخل الاخوة في « التناقض » مما يعني موت الاخوة .

هناك من ينسى أن للأخ حقوقاً ، ولذلك فانه قد يضيع هذه الحقوق ومن ثم فانه يدفع الاخوة الى الانهيار ، وكما قال الامام علي (ع) : « فليس بأخٍ من ضيّعت حقوقه » .

يقول الإمام الحسين . . الاخوان أربعة :

١) فأخ لك ، وله .

٢) وأخ لك .

٣) وأخ عليك .

٤) وأخ لا لك ، ولا له .

ـ فالأخ الذي لك وله فهو الأخ الذي يطلب باخائه بقاء الاخاء ، ولا يطلب بأخائه موت الأخاء فهذا لك وله ، لأنه إذا تمّ الأخاء طابت حياتهما جميعاً ، وإذا دخل الأخاء في حال التناقض بطل جميعاً .

ـ والأخ الذي هو لك ، فهو الأخ الذي قد خرج بنفسه عن حال الطمع الى حال الرغبة فلم يطمع في الدنيا اذا رغب في الأخاء فهذا موفرّ عليك بكليته . .

ـ والأخ الذي هو عليك فهو الأخ الذي يتربص بك الدوائر ويغشي السرائر ويكذب عليك بين العشائر وينظر في وجهك نظر الحاسد ، فعليه لعنة الحاسد .

ـ والأخ الذي لا لك ، ولا له ، فهو الذي قد ملأه الله حمقاً فأبعده

سحقاً فتراه يؤثر نفسه عليك ويطلب شحاً ما لديك !

●

الأجر . . . للمبادرة

ان يكون صاحب المبادرة في كل عمل طيب ، فهذا يعني ان يكون صاحب الجزاء الأوفى .

يقول الامام :

« للسلام سبعون حسنة : تسع وستون للمبتدىء ، وواحدة للراد » !

●

العطاء . . . لا يميز :

ليس من الصحيح ان ينكمش الانسان إذا اكتشفت أن عطائه أصاب من لا يستحقه . ذلك لأن الطيب هو الذي يعطي بلا تمييز ، فإذا لم يكن « الأخذ » مستحقاً فان العطاء يستحق أن يصل اليه .

مرة قال رجل عند الامام : إن المعروف إذا أسدى إلى غير أهله ضاع . فقال الإمام :

« ليس كذلك . ولكن تكون الضيعة مثل وابل المطر تصيب البرّ والفاجر » ! .

الأفضل . . . أن لا تهدر كرامتك :

هناك من يكون « سخياً » في هدر كرامته فتراه لأقل حاجة يرفع كفّ المسألة الى الناس . وبذلك يريق ماء « الوجه » بسرعة من دون أن يفكر : ان ماء الوجه يتبخر اذا سقط على الأرض ولا يمكن اعادته .

قد يقول البعض : وما العمل ؟ ان الحاجة لا تعرف الكرامة ؟

ـ حسناً .. ولكن ليأتي السؤال عن طريق غير مباشر .. مثلاً عن طريق الكتابة .

هذا ما يقوله الإمام .

فقد جاءه رجل من الأنصار يريد ان يسأله حاجة فقال الإمام :

ـ يا أخا الأنصار .. صُن وجهك عن بذلة المسألة ، وارفع حاجتك في رقعة ، فإني آت فيها ما سارّك ان شاء الله .

واضاف :

« ولا ترفع (تطلب) حاجتك إلاّ الى أحد ثلاثة .. الى ذي دين ، أو مرّوة ، او حسب . فأما ذو الدين فيصون دينه ، واما ذو المروّة فانه يستحي لمروّته ، واما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك ان تبذله له في حاجتك فهو يصون وجهك ان يردك بغير قضاء حاجتك » !

●

إياك وظلم الضعفاء:

أن تظلم من يجد أنصاراً من الناس : جريمة .

وان تظلم من لا يجد ناصراً إلا الله : جريمة اكبر ، ونتيجة أشد .

يقول الإمام :

« اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً الا الله عز وجل » !

●

عن التحية

جاءه رجل وبدأ كلامه بقوله : « كيف انت عافاك الله ؟ فقال له الامام : « السلام قبل الكلام .. عافاك الله » وأضاف :

ـ البخيل : من بخل بالسلام .

« ولا تأذنوا لأحد حتى يسلم » !

●

عن الصدق والكذب:

لا يكذب الا العاجز الذي ينعكس عليه الصدق سلباً . .

اما الشجاع فهو دائمًا صادق .

وهكذا فإن الإمام يقول :

ـ الصدق عز والكذب عجز !

●

أن تعرف قدرك

ان تعرف قدرك : هو الخطوة الاولى في سبيل استثمار طاقاتك . .

ومن المفروض ان يتجنب الانسان ان يضع نفسه في غير الموقع الذي يتناسب مع شخصيته . . لأن المرء حيث وضع نفسه . . .

يقول الإمام :

لا تتناول الا ما رأيت نفسك له أهلاً !

حقائق الاخلاق

ما هي حقيقة الصفات الحسنة ؟

ما هو الحلم ؟

وما هو الوفاء ؟

وما هو التكبر ؟

وما هو السفه ؟

يقول الامام :

ـ « الحلم : زينة !

والوفاء : مروءة !

والاستكبار : صلف !

والسفه : ضعف !

ومجالسة أهل الفسوق : ريبة ! » .

الإحسان إلى الآخرين :

الاحسان الى الآخرين ، بأي شكل كان ، عو عمل المعروف الذي امر الله به ، وأمر بالأمر به أيضاً . .

يقول الامام :

ـ « اعلموا ان المعروف مكسب حمداً ، ومعقب اجراً ، فلو رأيتم المعروف رجلاً (بعيونكم) لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم لرأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار » .

حاجة الآخرين اليك .. نعمة .

عندما يحتاج اليك شخص فلا تهرب منه .. وعندما تقضي له حاجته فلا ثمن عليه ..

يقول الامام :

« حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم » !

التحدث عن الآخرين في غيابهم

التحدث عن الآخرين بسوء ، اذا كان في غيابهم فهو علاقة العجز ، والصلافة .

وهو بالاضافة الى ذلك يوجب عذاب الله .

يقول الإمام :

« كف عن الغيبة فانها إدام أهل النار» !

من هو الشيعي الصادق ؟

قال رجل للامام :

ـ يا بن رسول الله أنا من شيعتكم .

فقال له الامام :

« اتق الله ، ولا تدعين شيئاً يقول الله لك : كذبت وفجرت دعواك .

ان شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش وغل ، ولكن قل انا من مواليكم ومحبيكم » !

كيف نعرف الصديق عن العدو

ليس الذي يمدحك دائمًا هو صديقك دائمًا . .

فالذي يريد « خيرك » ويحاول ان يصحح اخطاءك هو صديقك الحقيقي . .

يقول الامام :

« من احبك انهاك ، ومن ابغضك اغراك » .

التجربة والعقل

العقل ، نعمة ، لأن العقل نور يكشف للانسان مجاهل الطريق ، ومسالكها .

ولكن السؤال كيف نقوي العقول ؟

يقول الامام :

ـ طول التجارب (وكثرتها) زيادة في العقل !

اذا استطعت على ذلك فأفعل ما تريد :

جاء رجل الى الامام وقال له :

ـ أنا رجل ارتكب المعاصي ، فعظني بموعظة اكف عنها . .

فقال له الامام :

ـ افعل خمسة أشياء واذنب ما شئت :

فأول ذلك : لا تأكل من رزق الله واذنب ما شئت !

والثاني : اخرج من ولاية الله (وسلطانه عليك) واذنب ما شئت !

والثالث : اطلب موضعاً لا يراك الله فيه واذنب ما شئت .

والرابع : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت .

والخامس : إذا أدخلك خازن النار الى النار فلا تدخل ، واذنب ما شئت !

الأخلاق الرفيعة

يقول الامام :

- أيها الناس : من جاء (في العطاء) ساد ، ومن بخل رذل (وسقط) وان اجود الناس من اعطى من لا يرجوه (ان يبادله العطية) وان اعفى الناس من عفى عن قدرة ، وان اوصل الناس من وصل من قطعة .. والاصول على مغارسها بفروعها .

عطاء الثورة . .

ومحاولات الاغتيال . . .

البكاء .. وفلسفة الرابطة

سؤال هل الامام الحسين قتل من اجل البكاء عليه فقط ؟

والجواب من قال لكم ذلك ؟

إن الحسين قتل من أجل هدف : هو تحقيق الحق ، وإبطال الباطل .

أما بكاءنا عليه فليس يعني اننا نعتقد ان الحسين جاء الى الأرض لكي يقتل ، ونبكي عليه ، ويغفر الله لنا ذنوبنا بالبكاء عليه ـ كما يعتقد المسيحيون في السيد المسيح ـ .

حاشا لله .. ان يرسل اوليائه الى الأرض لكي يعذبوا ، ويقتلوا ، ويعذابهم ، وقتلهم يغفر الله للعصاة من الخلق . حاشاه وهو يقول :

« وان ليس للانسان الا ما سعى » .

فالسعي الشخصي للفرد هو الذي يرفع الإنسان لدى الله ، أو ينزله .

أما بكاءنا على الحسين ، فهو من أجل ان نعقد رابطة عاطفية ، وروحية ، ونفسية بيننا وبينه ، لعلها تدفعنا الى الطريق الصحيح ، والسعي الحثيث وراء منهاجه في الحياة .

فالبكاء ليس من أجل نشر المأساة ، وإنما هو من أجل ربط الثورة ـ باحداثها ، وتفاصيلها ، وآلامها ، وآمالها ـ بالناس .

بل نستطيع ان نقول : ان البكاء يأتي كنتيجة لرابطة ما بين الحسين والباكين .

فولا انشداد الإنسان بصاحب المأساة ، لما أثارت مأساته في نفسه العاطفة ، ومن ثم فلا يبكي .

وقد يتساءل البعض : وما قيمة الدموع التي تراق من أجل المأساة ؟

والجواب : ان للحسين جانبين :

١ ـ جانب المأساة .

٢ ـ وجانب القضية .

وبكلمة اخرى : جانب الحق المضيَّع ، وجانب الجسد المقطَّع .

وجانب المأساة هو الذي يعصر أعصاب الانسان ، ويسيل دمعته ، ولكنها يجب ان ترتبط بشكل او بآخر بجانب القضية فيه .

وواضح ان سرد جانب القضية في الحسين ، وربطها بجانب المأساة يثور الانسان ـ من حيث يشعر او لا يشعر ـ ويصقل فيه الوجدان ويعيد اليه ضميره .

وهذه الدمعة لها قيمة كبيرة ، روحياً ونفسياً وعاطفياً لأنها تأتي نتيجة انشداد بين الباكين ، وبين الحق المضيع ، وانزجار منهم عن الباطل .

وهي دمعة تترك اثراً مثل اثر الزيت الذي يزيد من وقدة النار .

وهل غريب بعد ذلك ، إذا قلنا . ان مثل هذه الدمعة تطفىء نيران الذنوب ؟

زيارة الحسين .. لماذا ؟

ـ صحيح انكم تـزورون الحسين مرات عديدة كل عام ؟

ـ في الحقيقة ليس « مرات عديدة كل عام » وانما مرات عديدة كل يوم ، فيما لو استطعنا ذلك .

ـ ولم هذا الإسراف في الزيارة لقبر ميت ؟

ـ قد نختلف معكم في كون الحسين ميتاً أم حياً وما دام ان الله يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

ولكن .. لنفترض انه ميت . ان زيارتنا للحسين هي زيارة للشهامة ، والإخلاص ، والتضحية ، والـدين ، وكل فضيلة عـرفها الانسـان . لأن الفضيلة تجسدت في الحسين كأنبل ما يمكن ان تتجسد في شخص ، ونحن انما نزوره لكي نعب من تاريخ الحسين ، وذكرياته روح التضحية والاخلاص والدين .

ان ما تجلى في الحسـين ، واصحابـه من الوعي ، ويقـظة الضمير ، والايثار ، والنضال من اجل الله ، اصبح مقروناً بـذكره بحيث لا يتـذكر الانسان كلمة الحسين ، او كلمة كربلاء الا وتصطف في خاطره صفوف طويلة من الفضائل .

ولهذا فإننا لا نزور الحسين فحسب ، وانما ندعو كل إنسان يجب ان يحمل صفات الإنسان ، الى هذه الزيارة .

ان الشعوب اليوم لكي تزرع روح التضحية في نفوس ابنائها تقوم ببناء قبر رمزي لجندي مجهول لكي توحي للناس بأنه شهيد من اجل شيء مقدس : كالاستقلال ، او التحرير .

ولكن هل نحن بحاجة الى قبر جندي مجهول ؟

إن الحسين الذي ناضل من اجل الحق ، والحرية ، والعدل ، وكل شيء جيد في الحياة يعطي روح التضحية لزائريه ويزرع فيهم الثقة بالنفس ويحملهم على التمسك بالمبادىء .

إن جذوة الثورة يجب ان تغذي بالدم ، وبالروح ، وبالتقديس ، وبالتكريم .

والحسين هو ثورة . هو قمة الشهادة . هو ينبوع الرفض للفساد . ولذلك فان على المسلمين ان يستلهموا من قبره اخلاق الشهداء ، وتصميم الثائرين ، وطريقة الرفض .

ولكي نفهم قيمة الزيارة نذكر بعض الكلمات التي يرددها الزائرون لقبره في مناسبات الدم : كعاشوراء . او في مناسبات الفرح كيوم العيد . . ففيها معاني التضحية يوحي بها الزائر الى نفسه ويرددها مع نفسه ، وبذلك يقترب إلى اهداف الامام ، وتدخل الثورة في شعوره : فيكون جذوة ثورة .

ففي بعض المناسبات نجد الزيارة التالية :

اللهم صل على الامام الشهيد المقتول المظلوم ، والسيد القائد والعابد الزاهد ، الوصي الخليفة الصديق الطهر الطاهر ، والتقي الهادي المهدي الزائر المجاهد العالم .

« اللهم صل على سيدي ومولاي كما عمل بطاعتك ، ونهى عن معصيتك ، وبالغ في رضوانك ، واقبل على امانك ، غير قابل فيك غدراً سراً وعلانية يدعو العباد اليك ويدلهم عليك ، وقام بين يديك يهدم الجور بالصواب ، ويحيي السنة بالكتاب ، فعاش في رضوانك مكدوداً ، ومضى على

طاعتك ، وفي اوليائك مكدوحاً وقضى اليك مفقوداً لم يعصيك في ليل ولا نهار ، بل جاهد فيك المنافقين والكفار . اللهم فاجره خير جزاء الصادقين الأبرار » .

ونقف امامه في مناسبات اخرى لنقول :

« .. اشهد انك قد اقمت الصلاة وآتيت الزكاة ، وامرت بالمعروف ونهيت عن المنكر واطعت الله ورسوله .. »

ونقف امام قبره ايضاً لنقول :

ـ لبيك داعي الله ... ان كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد اجابك قلبي وسمعي وبصري .

« اشهد انك قد امرت بالقسط والعدل ودعوت اليهما وانـك صادق صديق صدقت فيما دعوت اليه » .

« واشهد انك قد بلغت عن الله ، وعن جدك رسول الله ، وعن ابيك امير المؤمنين ، وعن اخيك الحسن ونصحت ، وجاهدت في سبيل الله وعبدته مخلصاً حتى أتاك اليقين » .

ونقف امام قبر ابي الفضل العباس لنقول :

« السلام عليك يا بن اول القوم اسلاماً ، واقدمهم ايماناً ، واقومهم بـدين الله ، واحوطهم على الاسلام : اشهـد لقد نصحت لله ولـرسولـه ولأخيك ، فنعم الأخ المواسي ونعم الأخ الصابر المجاهد ، المحامي ، الناصر والأخ الدافع عن أخيه ، المجيب الى طاعة ربه ، الراغب فيما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل ، والثناء الجميل ، والحقك الله بـدرجة آبـائك في دار النعيم ... »

ونقف أمام قبور الشهداء لنقول :

« السلام عليكم يا انصار الله ، وانصار رسوله ، وانصار علي بن أبي

طالب ، وانصار فاطمة الزهراء ، وانصار الحسن والحسين وانصار الإسلام اشهد لقد نصحتم لله ، وجاهدتم في سبيله فجزاكم الله عن الاسلام واهله افضل الجزاء . فزتم والله فوزاً عظيمًا ، يـا ليتني كنت معكم فافـوز فوزاً عظيمًا ، اشهد انكم احياء عند ربكم ترزقون ، واشهد انكم الشهـداء ، والسعداء ، وانكم الفائزون في الدرجات العلى . . » الخ .

●

وأي روح عظيمة هي التي تزرعها في الانسان هذه الكلمـات التي تتحدث عن : الشهادة ، والدفاع عن الاسلام ، والاخوة ، وطاعة الله وطاعة رسوله ، واقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصح ، وهدم الجور ، واحياء السنة ، والصدق ، والايمان ؟

إننا عندما نقف امام عظماء التاريخ نقول لهم : ان عظمتكم تنبع من ايمانكم ، وصدقكم ، وجهادكم، واقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة الخ . . فإنما نزرع في نفوسنا حب الايمان ، والصدق والجهاد ، والصـلاة وايتاء الـزكاة الخ . .

وأي شيء اجمل من ان نملك في تاريخنا مثل هؤلاء الابطال ، ومثل هذه الزيارات ؟؟

انهاء القضية .. خيانة عظمى

سؤال : لماذا تكررون كل عام مأساة الحسين ؟

ان الزمان حل مشكلة الحسين مع يزيد : فالحسين قتل ويزيد مات ، ويمضي الآن ١٣٣٦ عاماً على الحرب التي وقعت بينهما . فلماذا التكرار ؟

هل تظنون ان اعادة مأساته تعيد الحياة الى الحسين ، ام انها تنكل بيزيد ؟

والجواب : في البدء لا بدأن نعرف مقام الحسين ، فالرجل ليس مجرد انسان عادي ، قاوم سلطات زمانه فقضت عليه وقتلته مع بعض اهل بيته ، وانتهت القضية .

وانما الحسين : « إمام » كما قال الرسول الأعظم : « الحسن والحسين امامان : قاما او قعدا » .

وقال : « الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة » .

وما دام انه « إمام » فهو قدوة ، يجب ان تعرف مواقفه لحظة بلحظة وموقفاً بموقف . وعلى كل المستويات الفردية ، والجماهيرية .

فما الطريق الى تفهيم الإمام للجماهير ؟

الطريق هو : عقد مجالس باسمه كل عام . اولاً لسرد قصته واستعراض مواقفه ، وثانياً لتكرار هذه القصة على مسمع الجماهير من اجل رسوخ الروح

الحسينية في نفوس الناس حتى يعملوا شعورياً او ـ لا شعورياً ـ كما كان يعمل الإمام .

يقول حديث شريف : « ان للحسين محبة مكنونة في قلوب المؤمنين » . وواضح ان هذه المحبة انما تتمركز عن طريق التكرار السنوي لقضاياه ، وحكاياته ، وبطولاته ، وكلماته . ليس فقط لاجل التسلية ، وانما لأجل الاقتداء .

هذا من جانب .

ومن جانب آخر فإن الحسين ليس ملكاً لجيل دون جيل . انه ثروة الامة في كل زمان ومكان ، ومن حق كل الأجيال ان تتعرف عليه وتقتدي به لأن كل الأجيال مطالبة بالعمل من أجل الجنة التي يكون الحسين سيداً لشبابها جميعاً .

وهكذا فإننا عندما ندرس في الحسينيات أو أي مكان آخر ـ سيرة الحسين فإنما نفعل ذلك لكي نتعرف على مواقفه وخطواته ، ونقتدي به باعتباره نموذجاً حياً للتطبيق في كل وقت . وباعتبار ثورته ثورة حية يمكن تكرارها في ظروف مناسبة .

فنحن نعيش معركة الحق والباطل ـ كما عاش هو ـ وعلينا ان ننتصر للحق ، ونقاوم الباطل فكيف نفعل ذلك ؟

لا بد ان نفهم الحسين ، ونزرع سيرته في نفوسنا لكي ننتصر ـ عند المجابهة ـ للحق ونقاوم الباطل .

نحن نحيي ذكر الحسين ، ليس لأنه رجل مظلوم حتى يقال : ان الظالم والمظلوم هنا حلت قضيتهما طبيعياً : فكلاهما مات ، وانما نحيي ذكراه كثائر هادف وكصاحب قضية عرف كيف يناضل من اجل قضيته ، وكيف يضحي لها ؟

وهذه قضية حية تبقى ما بقي الدهر .

وكما قال الشاعر :

كـذب المـوت فـالحسـين مخـلد

كـلما اخـلق الـزمـان تجـدد

وكل عام تبلغ مجموعات من الناس حد الرشد ، والعقل ، ولا بد أن يتعرف هؤلاء على فكر ، وثورة ، وأخلاق ، ومواقف الحسين .

لا بد أن يتعرف كل جيل على الإمام . ولا بد أن يتكرر عليهم سيرة الإمام لكي تصبح « وجداناً » في نفوسهم ، فيبغضوا الظلم والطغيان ، وينتصروا للحق والفضيلة .

والحق أقول لكم : لو أن الحسين أصبح ضميراً في نفوس كل الناس لما تكررت مآسي البشرية ، كما تتكرر اليوم .

إن أتباع مذهب آل البيت عندما بنوا في قلوبهم مجالس للحسين ، اختفى من تاريخهم الطغيان ، لأنهم كانوا يفتحون عيونهم ، وكلمات ذم الظلم والتعدي ، ومعاداة الظالمين تقرع آذانهم .

وكانت أول كلمة يسمعها هؤلاء في المجالس الحسينية هي كلمة : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

ولذلك فإن تاريخ هؤلاء أبيض ، لا توجد فيه صفحة واحدة من الظلم أو الطغيان . . هم حكموا بلاداً كثيرة كمصر ، وسوريا ، والعراق ولكنهم لم يظلموا ، لأن الحسين كان مجسداً أمامهم ، وبشاعة الظلم ، ونتائج الظلم كانت مغروزة في وجناتهم ، ولهذا فإن روح المعاداة للطغيان كانت حية في ضمائرهم .

إن مأساة كربلاء كواقعة يمكن أن تتكرر في غياب من الإيمان ، والخوف من الله ، كما تكررت فعلاً في عهود لاحقة نتيجة موت الحسين كقضية .

ونستطيع أن نقول ـ بكل إطمئنان القلب ـ : إن أحياء قضية الحسين ستترك أثراً كبيراً على الأمة ، فتمنع أفراد أي طاغٍ ، او ظالم ، وبالعكس فإنها تربي الملاكات العادلة ، لأن أشد ما يعين العادل على مواصلة الطريق إلى تحقيق العدل ، هو أن يفهمه الناس ، ويملكوا عنه رؤية صائبة ، ويجدوا فيما يعرفون امثلة له . كما أن أشد ما يخون الظالمين هو أن يملك الناس عنهم رؤية حقيقة وأن يجدوا فيمن يعرفون أمثلة لهم .

والإمام الحسين هو أعظم مثال للعدل . كما أن عدوه أكبر مثال للظلم .

فإذا ما أنحرف الحاكم عن الطريق : فإن يزيد سيتجسد في ذهنية الأمة ، ومن ثم تتجسد واجبات الأمة تجاه يزيد ـ المثال ـ .

ومن هنا نعرف سبب اصرار الطغاة من « ائمة الكفر » و « اشياع الضلالة » على طمس « معالم الحسين » ـ كما تنبأت زينب بذلك .

●

كل ذلك بالإضافة إلى أن الحسين قتل من أجل « الدين » فتكرار قضيته كل عام إنما هو من أجل إحياء الدين بإعتباره القضية التي دافع عنها الحسين .

فيقال له : للدين .

فيتساءل : وما هو الدين ؟

وتكون البداية الطبيعية لتعريف الدين ، وتفهيمه للجيل الناشىء .

من هنا نحن نعتقد أن القول بأن الحسين مات ، وأن عدوه مات أيضاً فلماذا تكرر المأساة ؟ أن هذا القول يكشف عن غباء كبير في صاحبه .

صحيح إن الحسين قتل .

ولكن ليس صحيحاً أن قضيته التي حارب من أجلها ، ماتت تماماً ، كما

أن قضايا الأنبياء التي حاربوا من أجلها ، لم تمت . فهل يجوز لنا أن نطالب بترك الأنبياء ، وترك إحياء ذكراهم لأنهم ماتوا ؟

إن إنسان اليوم - كإنسان الأمس - مرشح لأن يكون « يزيد » أو « عمر أبن سعد » أو « شمر » أو - على الأقل - جندياً من جنودهم ، لأن هؤلاء ماتوا بأجسادهم ، ولكنهم كمنطلقات خبيثة ، وكمواقف منحرفة لا زالوا مرشحين للتكرار . .

إذن . . فلا بد من محاربتهم بكل الأشكال . . محاربتهم داخل النفوس بتكرار قضيته ، بسرد مأساته ، وعن كل الطرق : بالبكاء ، والصراخ ، والعويل ، تماماً كما حاربهم الحسين بكل الأشكال ، والطرق ، باليد والتضحية ، والكلام ، والبكاء .

إن الإنسان الذي يشبع حباً للحسين ، يمنع تكرار عاشوراء ثانية ويتمتع بروح الشهادة .

●

ثم . . إن الحسين يمثل - بحق - « شهيد المبادىء » ونحن عندما نجلّ ذكراه ، فإنما نجلّ مبادئنا ، لأن الحسين قُتل دفاعاً عنها .

والا فإننا لا نجد قرابة قريبة بين أحدنا وبين الحسين .

أن الذكريات التي لها صبغة المبادىء لها - ايضاً - « قدسية المبادىء » ، وكما لا يجوز لنا أن نطالب بحذف الذكريات التي لها محتواها المقدس كذكرى اغتصاب فلسطين ، أو ذكرى الأستقلال ، أو ذكرى التحرير ، كذلك لا يجوز لنا أن نطالب بحذف ، أو منع ذكر الحسين .

بل هي الخيانة العظمى للمبادىء أن فعلنا ذلك ، لأن المطالبة بإنهاء الحسين ، هي المطالبة بإنهاء قضيته . وقضيته هي قضية الدين .

والذين يتساءلون عن جدوى إحياء ذكرى عاشوراء عليهم أن يتذكروا

أن العالم كله يكرر شعائر معينة بمناسباته الخاصة ، وأن المسلمين بالذات يكررون إحياء مناسبات معينة نظراً لمحتوياتها الفكرية ، والروحية مثل :

١) واقعة بدر .

٢) ذكرى الإسراء والمعراج .

٣) ذكرى الهجرة .

ومناسبات أخرى كثيرة ، لأن لها محتويات فكرية ، ولأنها تعطي دفوعات ثورية ، تقرب أنسان إلى أصحاب الذكرى .

وأي ذكرى ثورية توازي ذكرى الحسين : شهيد المبدأ ، وصاحب القضية ؟

إن منابر عاشوراء كانت على مر التاريخ : مناثر للاسلام ، فهي التي حافظت على تراث أهل البيت من الطمس أو الضياع ، كما أنها هي التي تهدي كل عام مئات الألوف من الشباب إلى التمسك بالدين ، وتفهيمهم ان هناك قضية مقدسة في الحياة تستحق الأفداء بالنفس والنفيس ـ كما فعل الحسين ـ وهي قضية الدين .

وهل تريدوننا ان نحذف قضية الدين ؟

كيف تصبح رفيقاً للحسين ؟

من منا لا يرغب في أن يكون الحسين معه ؟

من منا لا يرغب في أن يقف الحسين إلى جانبه ؟

من منا لا يرغب في أن يكون يوم القيامة في صف الحسين الطويل ، الذي يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ؟

من منا لا يرغب في أن يكون من الشباب الذي يسودهم الحسين في الجنة ، بإعتباره « سيد شباب أهل الجنة » ؟

إذا كنا جميعاً ممن يرغب في ذلك . .

إذا كنا جميعاً نتحرق شوقاً إليه . .

إذا كنا جميعاً نتمزق ألماً من الذين خذلوه ، وخانوه . ونتمنى لو كنا معه نحارب ضد أعدائه . .

وبكلمة : إذا كنا جميعاً بحاجة إلى الحسين ، فإن علينا أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال : كيف نتقرب إلى الحسين ؟

والجواب على ذلك يأتي من إدراك حقيقة بسيطة هي : أن الحسين حارب من أجل قضية .

فهناك « شيء ما » كان الحسين يدافع عنه ، ويحاول تحقيقه . . وأنه كان يرغب في حياته ، ويطالب ، ويلح لكي يأتي إليه الناس ـ جماعات او فرادى ـ ليعاونوه على تحقيق ذلك الشيء .

فهو لم يكن هدف نفسه .

أي أنه لم يكن يريد تحقيق رغباته الخاصة من وراء ثورته .

إنه كان ثائراً ، ولم يكن تاجر ثورة .

ونداءاته : هل من ناصر ينصرنا ؟ لم تكن « نداءات استغاثة » لتنفيس الكرب ، وإنما كانت « نداءات ثائر » يطلب النصرة لأهدافه .

وإذا كان الحسين كذلك . . فإن أبسط القواعد المنطقية تقول : إن التقرب إلى الشخص إنما يتم عبر التقرب إلى أهدافه ، فالتقرب إلى الرئيس إنما يكون بالتقرب إلى أهدافه ، وتحقيق أغراضه ، فبمقدار ما ينفذ الشخص من رغبات الرئيس يكسب عطفه ، وحنانه وتأييده .

فالوزير يكون مقرباً إلى الرئيس أكثر من « الحاجب » ، لأن الوزير يحقق رغبات أكثر مما يحققها الحاجب .

وهكذا فإن التقرب إلى الشخص يكون بالتقرب إلى تحقيق طلباته ، أو على الاقل محاولة ذلك .

فماذا كانت رغبات الإمام الحسين ؟

وعمن كان يفتش في صحراء العراق ؟

هو يجيبنا على ذلك بقوله : « ألا ترون الى الحق لا يُعمل به ؟ وإلى الباطل لا يتناهى عنه ؟ » .

فهل تريد أن تخطو الى الحسين بخطوات ؟

حاول كل صباح ان تقف إلى جانب الحق : نصرة مظلوم . رفع حاجة مضطر . إنكار عدوان . مساهمة في مشروع انساني . مقاومة طغيان . . الخ .

●

التقرب إلى الحسين يكون بتطهير الذات من دواعي الضعف المحيطة

بها . أن علينا أن ندرب أنفسنا على عشق الحق والخير ، حتى ترخص عندنا الأقوال والأنفس في سبيل تحقيق ذلك .

إن الإنسان الذي يقدم التضحية بنفسه في سبيل الحق ، وفي سبيل العدل ، وفي سبيل الحرية ، وفي سبيل الأرض ، وفي سبيل الانسان ، وفي سبيل الإستقلال . إنما يتحول إلى رفيق للحسين ، ومن ثم يصبح جزءاً من التاريخ الذي لا يمكن القضاء عليه .. إذ ليست وراء التضحية من قوة .

إن عملية تطهير الذات صعبة جداً ، ولكنها مسبوقة بما عمله الامام الحسين ، واصحابه ... ولا يمكن أن نكون حسينيين إلا بذلك .

لماذا نجدد الذكرى ؟

إننا . .

لم نكن في صحراء كربلاء عندما اطلق الإمام الحسين صرخته العظيمة ، قائلاً :

« أما من مغيث يغيثنا » . . ولكن تلك الصرخة لا تزال تدوي في كل يوم . وأن أدرنا بآذاننا فهل نستجيب لها ؟

أم نصم عنها أسماعنا كما فعل شيعة بني أُمية في يوم عاشورا ؟

إن نوع الاغاثة يختلف بالطبع بـإختلاف نوع المعركة في يوم عاشوراء كانت المعركة دموية . فكانت الاغاثة تتم بإراقة الدم في سبيل الله . بينما المعركة اليوم بها بأشياء اخرى ، والاغاثة تتم بها أيضاً .

الحسين عليه السلام . حارب من أجل الله ، واستغاث بنا من أجل الله . أي من أجل القيم التي أمر بها الله . من أجل التسليم لله . في كل الشؤون البشرية . . من أجل نبذ الشركاء والأصنام التي تعبد من دون الله .

من أجل أداء فرائض الله : الصلاة والصيام ، والحج والزكاة .

من أجل المحافظة على حدود الله بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

من أجل المستضعفين في الأرض . من أجل المظلومين والفقراء ، والمرضى والمنحرفين .

فلو أننا كنا نحب الحسين (ع) من اعماق قلوبنا حباً صادقاً ، فعلينا إغاثة الحسين ، لكي لا تموت تلك المبادىء التي أراق الحسين من أجلها دمه الزكي ، ودماء أبنائه وأخوته وأنصاره الكرام .

ولكي لا تعيش مبادىء يزيد ، وأبن زياد وعمـر بن سعد ، وتلك الطغمة الحاكمة التي حاربها الحسين .

وعندما نجدد ذكرى إستشهاد أبي عبد الله ، فلكي نتابع معركة الحسين مع يزيد ، ونخوض تلك المعركة من مواقعنا التي نعيش عليها وبأساليبنا التي نستطيع . . . فإذا لم نكن . . وللأسف . . في أرض كربلاء عندما استنصرنا الحسين عليه السلام لنعيش معركة الأجسام والسيوف . . فإننا اليوم موجودون وقادرون على أن نعيش معركة المبادىء والقيم .

ونجدد الذكرى بكل وسيلة ممكنة . بالإحتفالات التأبينيـة بالبكـاء ، بالمواكب المختلفة لكي نبقي أنفسنا في جو تلك المعركة وننتصر للمبادىء ، وإن فاتنا الإنتصار للاشخاص . . ونجدد الذكرى .

لنحشر يوم البعث ، في موكب الحسين حيث تتقدمها راية حمراء . . تشهد لنا بالجهاد في سبيل الله[1] .

---

(١) الإمام الحسين : مسيرة ثورية وهدف مقدس للعلامة السيد محمد تقي المدرسي .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
الحسين : الصورة والرمز	٧
ملامح الشهيد	٩
الحسين : الصورة	١٩
الحسين : الرمز	٢٦
مرحلتان	٣٣
الثورة أهداف وشعارات	٤٣
الأهداف	٤٥
الشعارات	٤٨
مع الأهداف والشعارات	٥٢
الخطوط الأولى لفجر الثورة	٦١
١ ـ الثورة تصميم وطهر	٦٣
٢ ـ الثورة شجاعة وحب	٧٢

الموضوع	الصفحة

٣ ـ الثورة تخطيط وتنفيذ	٧٧
١ . المجتمع الذي قتل الإمام	٨١
٢ . خطة الثورة	٩٢
٣ . الأهداف الاستراتيجية	١٠٠
٤ . الخطة العسكرية	١١٢
٥ . عوامل الصمود	١٢٥
قيم الثورة : قناديل على طريق النضال	١٤١
١ ـ الفرقة من أجل الحق خير من الاجتماع على ضلال	١٤٣
٢ ـ من لا يحق له ان يحكم لا يحق له ان يملك	١٤٦
٣ ـ الحرب مناقبية أولاً وخدعة ثانياً	١٤٧
٤ ـ احدهما اختار الموت والثاني رفض التجرد من عقيدته فقتل	١٥٨
قصائد الشهيد : صوت الثورة الحزين	١٦٣
عناق الموت . . . والبطولة	١٧١
١ . عرس الشهادة لا ينتهي	١٧٥
٢ . لقد وجدت ضميري	١٨٠
٣ . وغسلوا عار الخطيئة بالدم	١٨٤
٤ . مت : الوصية الخالدة	١٩٢
٥ . العبد المجهول يدخل التاريخ من باب الأبطال	١٩٦
٦ . هكذا يثور المؤمنون	١٩٩
٧ . قصة الوفاء بالوعد . . . بعد الموت	٢٠٥
٨ . ثلاث قرارات للبطولة	٢١٢
٩ . الأم . . تبحث عن الموت لولدها	٢٢٠

الموضوع	الصفحة
١٠ . لا . للماء إذا لم يكن غير العطش وسيلة للرفض	٢٢٤
١١ . صلاة الى جانب الجسد المقطع	٢٢٧
١٢ . على الرمح : رأس طفل رضيع	٢٣٤
عينات عن رؤية الشهيد	٢٤٣
المحك أيام الشدة	٢٤٥
عبادة الاحرار	٢٤٦
العلاقة الطبيعية بين الله والانسان	٢٤٦
لا يخدع الله من جنته	٢٤٦
المؤمن لا يسيء ولا يعتذر	٢٤٧
العالم : من ينقد ذاته	٢٤٧
الأخوّة الصادقة والمزيفة	٢٤٨
الأجر : للمبادرة	٢٤٩
العطاء لا يميز	٢٤٩
الأفضل : ان لا تهدر كرامتك	٢٤٩
إياك وظلم الضعفاء	٢٥٠
عن التحية	٢٥٠
عن الصدق والكذب	٢٥١
ان تعرف قدرك	٢٥١
حقائق الاخلاق	٢٥٢
الاحسان الى الآخرين	٢٥٢
حاجة الآخرين إليك . . نعمة	٢٥٣
التحدث عن الآخرين في غيابهم	٢٥٣
من هو الشيعي الصادق	٢٥٣
كيف نعرف الصديق عن العدو	٢٥٤
التجربة والعقل	٢٥٤

الموضوع	الصفحة
الاخلاق الرفيعة	٢٥٥
عطاء الثورة . . ومحاولات الاغتيال	٢٥٧
البكاء فلسفة الرابطة	٢٥٩
زيارة الحسين . . لماذا ؟	٢٦١
انهاء القضية . . خيانة عظمى	٢٦٥
كيف تصبح رفيقا للحسين	٢٧١
لماذا نجدد الذكرى	٢٧٤
الفهرس	٢٧٦